قواعد علم الخطابة
وفقه الجمعة والعيدين

تـأليـف

أ.د/ أحمد أحمد غلوش

عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق
جامعة الأزهر

قواعد علم الخطابة
وفقه الجمعة والعيدين

- الطبعة الأولى : القاهرة ١٩٧٨م
- الطبعة الثانية : القاهرة ٢٠٠٧م
- الطبعة الثالثة : القاهرة ٢٠١٢م

رقم الإيداع

(٢٠١٢/١٩٧٦٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

وبعـد ،،

فقد عاشت الأمة العربية ربيعها الحديث في عام ٢٠١١م وشهدت تونس ومصر ، واليمن ثورة مباركة خلصتهم من الظلم والطغيان ، وأعادتهم إلى الحياة الكريمة الحسنة .

وأظهرت هذه الثورات أهمية الخطابة في الحياة حيث كان للخطباء دور باز في إيقاظ الوعى ، وتفهيم الناس .

وانى إذ أعيد طيع مؤلفى هذا للمرة للثالثة اشكر الله على ما أنعم وهدى .

وأنادى الدعاة ليهتموا بمخاطبة الناس بالحسنى حتى يتمكنوا من قيادة الناس إلى الله تعالى بطريقة علمية صحيحة .

اسأل الله تعالى أن يوفق الجميع للخير ، ويهدى إلى سواء السبيل .

أ.د / أحمد أحمد غلوش

مدينة نصر

٠٧ ذى القعدة سنة ١٤٣٣هـ

٢٣ سبتمـــبر سنة ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـد ،،

فإنى أتوجه بالشكر لله تعالى ولكل من قرأ كتابى " قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين " في طبعته الأولى التي قررت بعد نفاذها أن أقوم بطبعه طبعة ثانية أتلافى فيها بعض الغموض الذي كان بالطبعة الأولى وأضيف إلى الطبعة الثانية الكثير من خبرات العمر ، وتقدم العلوم .

وسوف أحافظ بعون الله تعالى على الهيكل العام للكتاب من ناحية التقسيم والترتيب مع تنظيم محتوياته وتوضيحها .

والحمد لله فلقد أهتم العلماء والدعاة بالخطابة نظريا وعمليا ، ولم يعد هناك من يشكك في كونها علما أساسيا في مجال الدعوة إلى الله تعالى .

ومع ثبات قواعد العلم وأساسياته أرى الحاجة إلى الممارسة العملية ، وأهمية الخبرة الواقعية التي تكسب الدعاة الشجاعة الأدبية ، والثقة النفسية ، والثبات في المواجهة ، وعند المواقف الطارئة .

ولهذا فإنى بعون الله تعالى سأبرز الملامح والركائز التي يحتاج إليها الخطيب كلما أمكن ... مع بيان وتوضيح أسس الخطب لرسول الله ﷺ والسلف الصالح مفصلا المنهجية العلمية المستفادة منها .

واسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منى العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، ويجرينى عنه بكرمه سبحانه وتعالى في الدينا والآخرة ، وأن يرزقنى به الجنة . فهو على كل شئ قدير . وهو حسبى ونعم الوكيل .

أ.د / أحمد أحمد غلوش

أول رمضـان سنة ١٤٢٧هـ

مدينة نصر

٢٤ سبتمـبر سنة ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أكرم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـد ،،

فإن الخطابة فن من فنون الأدب الرفيع ذات التأثير النفسى والتوجيه الاجتماعى الأصيل ، ولأهميتها كانت صلتها بسائر العلوم واضحة .

وبرغم نشأة الخطابة بصورة فطرية فإنها صارت علما كاملا بموضوعه الذي يميزه عن غيره من العلوم ، وبخاصة بعد أن ألف أرسطو كتابا مستقلا عن الخطابة ترجمه ملخصا الفيلسوف ابن رشد . وبعدهما كثرت المؤلفات عن هذا العلم ... وتعددت المناهج التي احتوتها هذه المؤلفات ... ويرجع السبب في اهتمام المتأخرين بالخطابة إلى إحساسهم بالدور الخطير الذي تؤديه في الفرد وفى الجماعة مهما كان مستواه العلمى والأدبى .

ولقد وفقنى الله تعالى في إخراج كتابى " علم الخطابة " و " الخطابة العملية " قصدت بهما تأصيل الخطابة كعلم له ذاتيته المستقلة عن سائر العلوم لينال حقه الواجب من العلماء والباحثين ، وبخاصة أولئك الذين حباهم الله سبحانه وتعالى ، ووضعهم في ريادة التوجيه ، وأمانة التربية والبناء .

وكتابى هذا امتداد للكتابين السابقين أوجز فيه القواعد الأساسية لعلم الخطابة ثم أفصل في فقه الجمعة والعيدين لما لهما من صلة وثيقة بالخطابة . مع التركيز على التصور الشرعى ليوم الجمعة بما فيه من علم وعبادة . وعمل وهدى .

(١١)

إن الخطبة الدينية في الإسلام تعد أصلا للإعلام الدينى ، وتضع أسسا لفن الاتصال بالجماهير بما تحتويه من العناصر ذات التأثير النفسى ، والإقناع العقلى ، والجذب الوجدانى ، والدعاة إلى الله تعالى يحملون رسالة سامية تهدف إلى صناعة الإنسان بمنهج الله ، وتوجيهه نحو خالقه ، وانقاذه من التردى في هاوية الغى والضلال والارتقاء به في عالم الخير والنور والجمال .. وهذا الأمر ليس سهلا لأن الإنسان يقاد من داخله ، وأنى لعمل عادى أن يقوم بتغيير الإنسان من باطنه ! وبخاصة في عالمنا المعاصر الذي تعددت فيه ألوان الهوى وكثرت خلاله مذاهب الهدم بأساليبها الخبيثة ، وامكانياتها الكثيرة .

إن الدعوة إلى الله تعالى هي الجهاد في الحقيقة ، والدعاة هم المرابطون المسلمون وعليهم أن يدركوا دورهم ، ويفقهوا رسالتهم ويعلموا أنهم في موضع الرجال الذين وصفهم الله تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[1] .

والدعاة المخلصون يشعرون بمسئوليتهم ، ويستعدون لها . فإذا تكلموا حسنوا أقوالهم ، واذا عملوا أتقنوا أفعالهم ، واذا تخلقوا تمسكوا بما جاء من عند الله تعالى ولا يبغون في مقابل ذلك شيئا من عرض الدنيا الزائل ، ويدخرون جهودهم ليوم تشخص فيه القلوب والأبصار لله ، ترجو رحمة ، وتبغى رضا ، وتلتمس قربا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وبمتابعتنا لأعمال الدعاة في العصر الحديث نلحظ حاجتهم الشديدة لخطة علمية ترسم لهم الطريق وتحدد الغاية ، وتسهل أمامهم الرسالة ، وليس من المستحسن مطلقا أن تقوم الدعوة على الشدة والقسوة ، أو بالسب واللعن ، أو

---

(١) سورة النور ، الآية ٣٧ .

بالنفور والضيق ، بل يلزم لها أن تقوم على الحكمة ، والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى ، كما قامت أولا وكما بلغها رسول الله **ص** للناس .

لقد شرع الله تعالى خطبة الجمعة والعيدين ، ووضع لهما شروطا يتمكن بها الدعاة من إنجاح رسالتهم ، وتحقيق الأمانة التي وجبت عليهم ، ومن حكمة التشريع في هذا تكليف المسلمين بأن يذهبوا للمسجد مصلين . وفى نفس الوقت يتعلمون من خطيبهم بعض قضايا دينهم وبخاصة ما يتصل بحياتهم اليومية .

ولقد وقفت سعيدا أمام الحكمة من تقسيم الخطبة الواحدة إلى خطبتين ، لأنى أدركت أن الخطبة الأولى تتضمن موضوعا متكاملا ، وأن الخطبة الثانية تتضمن الإجابة على بعض التساؤلات التي يتصورها الخطيب دائرة في الإطار الذي حدده لموضوعه الأول .

لقد سعدت بهذا وقلت لنفسى أليس ذلك ما وصل إليه العلم الحديث مع الندوة المفتوحة ، حيث إباحة الأسئلة بعد الدرس والمحاضرة .

إن يوم الجمعة مدرسة فيها الشمول . وفيها الموضوعية ، وفيها نصر الإسلام والمسلمين في إطار عبادة مفروضة .

قصدت الحديث المطول عن الجمعة بجوار الحديث عن قواعد الخطابة لما بينهما من صلة وتناصر .

وانى أقدم كتابى هذا راجيا له أن يحقق ما يلي :

(١) إبراز أهم قواعد علم الخطابة لتكون أساسا للدعاة يعلمونه ، ويتحركون به على أساس موضوعى متين ليتحقق لهم ما يريدون .

(٢) الاستفادة من الجوانب التطبيقية للخطبة بشكل عام ، ولخطبة الجمعة والعيدين بشكل خاص لتظهر بخصائصها ومزاياها .

(٣) الوقوف على مزايا يوم الجمعة بمعرفة أهم ما ورد فيه من نصوص وأحكام لينال الاهتمام اللائق به .

(٤) فقه خطبة الجمعة ، وفهم أركانها ، وشروطها ، وحكمة التشريع منها لسعة حاجة المسلمين لهذه المعرفة .

(٥) فقه العيدين وبيان مدى ارتباط العبادة في الإسلام بالعلم .

إن الدعاة إلى الله تعالى طرف في الصراع المذهبى الحديث ، وعليهم أن يستعدوا بكل ما يستطيعون ، ولا يتم لهم الاستعداد إلا بالمعرفة الشاملة ، والوقوف على أسس العلوم المختلفة ، والاستفادة منها في القيام بدعوة الناس لله رب العالمين .

وعلى الدعاة أن يتأكدوا من نصر الله ، وأن يثقوا في أنفسهم وعملهم ، وأن يخلصوا لله بقدر الطاقة كلها .

واسأل الله تعالى أن يوفقنى ويوفق كل مخلص لدينه للحق والخير .

واسأله سبحانه أن يتقبل عملى هذا ويجعله لى ذخرا في الأرض ونورا في السماء . فهو سبحانه غايتى ، وما قصدت سواه ، وهو حسبى ونعم الوكيل.

أ.د / أحمد أحمد غلوش

مدينة نصر

أول المحـــرم سنة ١٣٩٤هـ

أول ديسمـــبر سنة ١٩٧٨م

الفصل التمهيدى

المدخل
إلى قواعد علم الخطابة

تمهيد :

التصور العام للعلم من مقدمات دراسة أى علم من العلوم ، ولذلك احتاج الأمر ونحن في مجال تقديم دراسة عن علم الخطابة وقواعدها أن ندرس في هذا الفصل التمهيدى عددا من المسائل التي تساعد في تصور علم الخطابة ، وأهميته ، وصلته بالعلوم الأخرى ودوره في الحضارات القديمة والحديثة .

وهذا المدخل ضرورى لعلم الخطابة ، لأن كثيرا من الناس لا يعده علما ويتصوره تدريبا عمليا لفطرة مستعدة ، وممارسة حركيه توجدها المناسبات ، والوقائع المختلفة .

وقد ساعد هذا التصور على البقاء ندرة الدراسة في علم الخطابة حين نقارنه بسائر العلوم الإنسانية والإسلامية كالتفسير والحديث . والتاريخ . والاجتماع .

ولهذا كانت ضرورة المدخل لتأكيد الحقيقة العلمية للخطابة ، لنقف من خلالها على تعريف العلماء للخطابة ونناقشهم في تعريفاتهم لننتهى إلى تعريف صحيح للخطابة ، ونشرحه .

ولنعرف كذلك أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية ، ودورها مع سائر العلوم والأساليب الأخرى .

ولنعلم صلة الخطابة بالإنسان ، ودورها في الحضارات المختلفة .

ولذا جاءت الدراسة مشتملة على المباحث التالية :

- **المبحث الأول** : تعريف علم الخطابة .
- **المبحث الثانى** : أهمية علم الخطابة .
- **المبحث الثالث** : علاقة علم الخطابة بالعلوم الأخرى .
- **المبحث الرابع** : الخطابة في الحضارات المختلفة .

المبحث الأول
تعريف علم الخطابة

الكلمات مكتوبة أو منطوقة ، واللسان أداة القول كما أن القلم أداة الكتابة والقول فنون متعددة تتمايز عن بعضها بخصائص معينه أحاطها العلماء بالفحص والدراسة ، تجلية لها ، وتحديدا لكل نوع .

والخطابة أحد فنون القول ، بل هى أشهرها ، وألصقها بالحياة البشرية بصورة عامة .

وقد استعمل العرب الفعل خطب يخطب من باب قتل ، يتعدى بنفسه ، وبحرف الجر ، يقال خطبه ، وخطب له ، وخطب فيهم ، وهكذا .

ومصدر الفعل خطبة بضم الخاء على وزن فعلة ، وخطابة بفتح الخاء على وزن فعالة ، ومعنى خطب وعظ على المنبر ، وخطب الناس ، ومن مصادر الفعل أيضا خطبة بكسر الخاء ، ومعناه طلب المرأة للزواج .

وقد استعمل العرب الفعل بفتح الخاء وضم الطاء يقال خطب من باب ظرف ومعناه صار خطيبا[١] .

جاء فى المصباح المنير أنه يقال فى الموعظة خطب القوم ، وعليهم خطبة بالضم ، وهى فعلة بمعنى مفعولة ، وجمعها خطب ، مثل غرفة وغرف فهو خطيب ، والجمع خطباء وخطيب القوم هو المتكلم فيهم ، وأما خطبة بكسر الخاء فمعناه طلب المرأة للزواج ، والرجال خاطب المرأة ، وخطاب مبالغة فى هذا[٢] .

---

(١) مختار الصحاح . مادة خطب .

(٢) المصباح المنير ، لسان العرب ، الصحاح مادة (خطب) .

و بتتبع اللفظ فى المعاجم اللغوية نرى أن الخطبة بالضم تعنى البيان الشافى ، والموعظة المؤثرة ، والمقالة المؤدية إلى الإقناع والاستمالة ، بينما الخطبة بالكسر تعنى طلب المرأة للزواج كما تقدم .

وقد اهتم العلماء منذ العصور القديمة بالخطابة ، وأفردوها بالتأليف والدراسة .

وأول كتاب مؤلف فى الخطابة هو كتاب "الخطابة" لأرسطو الذى كتبه باللغة الإغريقية ، وترجم حديثا إلى العربية ، وقام بتلخيصه الفيلسوف "ابن رشد" فى كتابة "تلخيص الخطابة" والمؤلفات المعاصرة عديدة لمواكية أهمية الخطابة وضرورة تخريج جيل من الدعاة الخطباء لتحقيق نهضة إسلامية .

وقد حاول العلماء وضع تعريف اصطلاحى للخطابة .

يقول أرسطو : الخطابة هى القدرة على النظر فى كل ما يوصل إلى الإقناع فى أى مسألة من المسائل[١] .

ويعرفها ابن رشد بأنها : قوة تتكلف الإقناع الممكن فى كل واحد من الأشياء المفردة[٢] .

وبالنظر فى هاذين التعريفين نرى اتفاقهما فى تحديد معنى الخطابة كما ارتآها كل منهما ، ونلحظ أن التعريفين يشتملان على عدد من العناصر المشتركة .

فالخطابة عندهما هى قدرة ، أو قوة أو طاقة تساعد من يتمتع بها على أداء الخطبة انطلاقا من هذا الاستعداد الذاتى .

وهى عندهما تهدف إلى الإقناع ، ووسائله بقدر الإمكان ، وهى كذلك فى رأيهما تدخل فى أى موضوع أو مسألة يراد الإقناع بها .

---

(١) الخطابة لأرسطو جـ١ صـ٩٠ .

(٢) تلخيص الخطابة لابن رشد صـ١٥ .

ويلاحظ على هذين التعريفين عدم الدقة فى تحديد المراد بالخطابة اصطلاحا .

لأن القول بأنها قوة أو قدرة أو طاقة تساعد وتمكن لا يفيد شيئا لأن الخطابة تتكون من كلام يقوم على القول واللفظ ، أما الاستعداد المعنوى فهو مرحلة تسبق الخطبة ، وقد لا يستفاد بها أصلا ، فكم من إنسان يملك هذه القدرة ومع ذلك لم يخطب مرة فى حياته .

وأيضا فإن تحديد الخطابة بأنها قوة الإقناع فى أى مسألة ، وأى موضوع على أى كيفية كان ليس صحيحا ، لأن التقرير الذاتى ، والتأمل الفردى يوصل إلى الإقناع وهو ليس خطبة أصلا ، كما إن إقناع الوالد لولده والشيخ لتلميذه ، والصديق لصديقة فى أى مسألة تدور بين الطرفين ليس بخطبة مع أن التعريف يشمله .

ويخص ابن رشد الإقناع بأنه الممكن فى المسألة ، والممكن فى الإقناع بها مع أن الخطابة تكون فى الإقناع الممكن ، والواجب ، وفى المسائل الإرشادية العامة التى لا تحتاج إلا لمجرد التنبيه فقط .

وفن الكلمة متنوع ، وكل أنواعه تهدف الإقناع ، والتوجيه ، فالمقالة المنشورة البليغة ، والكتاب الرائع المطبوع ، والصورة الأخاذة ، والمحاضرة الدقيقة ، والصيحة المستغيثة كل ذلك وغيره يفيد الفهم ، والإقناع ، والمشاركة ومع ذلك لا يمكن أن نقول : إن أحدا من ذلك هو الخطبة .

ولهذا نقول باطمئنان إن تعريفى أرسطو وابن رشد للخطابة تعريفان غير سديدين لأن كلا منهما غير جامع لكل ما هو خطبة ، وغير مانع لدخول غيرها فيها ، كما أنه يجعل الخطبة المستفادة من التعريف شيئا بعيدا عن الخطبة الاصطلاحية .

ومن خلال نقد ابن سينا للحكماء نرى أنه يضع تصورا يعرف به الخطابة ويحدد معالمها يقول ابن سينا " إن الحكماء قد أدخلوا الخطابة والشعر فى أقسام المنطق ، لأن المقصود من المنطق أن يوصل إلى التصديق ، فإن أوقع التصديق يقينا فهو البرهان ، وأن أوقع ظنا أو محمولا على الصدق فهو الخطابة ، أما الشعر فلا يوقع تصديقا ، لكنه لإفادة التخييل الجارى مجرى التصديق ، ومن حيث أنه يؤثر فى النفس قبضا أو بسطا عد فى الكلام الموصل إلى التصديق[١] .

ومن هذا الكلام نرى أن الخطابة عند ابن سينا هى التصديقات التى توقع الظن أو تقرب من الصدق ، ويميزها عن المنطق الذى يراه موصلا للبرهان اليقينى ، كما يميزها عن الشعر الذى يراه مفيدا للتخييل ، مثيرا للانفعالات النفسية .

ونحن نرى خطأ ما ذهب إليه ابن سينا ، لأن ثقته بالمنطق غلو واضح فليس كل المنطق مفيدا لليقين فلربما أوقع صاحبه في الخطأ إذا بنى قضاياه على تصورات خاطئة .

وأيضا فإن حصر ابن سينا الخطابة فى التصديقات المفيدة للظن غير سديد لأن الخطابة تعتمد على الحقائق المستمدة من الأدلة والمقدمات اليقينية ، كما تعتمد على القضايا الظنية المثيرة للانفعالات النفسية ، المؤدية إلى التأثر والإقناع ، وأيضا تعتمد على الخيال الواقعى لمخاطبة العواطف والوجدان .

إن الخطابة الدينية تعتمد على الحقائق الدينية ، وتقصد الوصول إلى اليقين التام ، ولا تعتمد على خيال وهوى .

---

(١) الخطابة صـ١٢ .

وكم من خطيب جمع حوله العلماء المتخصصين ، وأقنعهم بالحقائق التى يخاطبهم بها ، وهو فى نفس الوقت يقنع العامة ، وأصحاب العواطف المرهفة ، وأهل الثقافات المختلفين .

إن الإنسان عموما يقتنع بعقله ، ويستثار بعواطفه ، وينجذب بوجدانه وروحه ، والخطيب مسئول عن التوجه إلى هذه الجوانب للمستمعين على تنوعهم.

إن من الحقيقة والواقع تبين خطأ ما ذهب إليه ابن سينا فى تصوره للخطابة .

وقد حاول العلماء المعاصرون أن يضعوا تعريفا للخطابة يتلافون فيه ، المآخذ الموجودة فى تعريفات الأوائل ، فلم يجعلوا الخطابة مجرد قوة أو طاقة ولم يقصروها على الشئ المقنع ، ولم يجعلوها شاملة لكل فنون الكلمة المقنعة ولم يرتضوا لها أن تفيد الظن فقط ، ... نعم حاولوا تجنب هذه المآخذ ، ولذلك وضعوا تعريفات جديدة للخطابة .

يقول د/ أحمد الحوفى : "الخطابة هى فن مشافهة الجمهور واقناعه ، واستمالته"[١] .

ويعرفها آخر بأنها "خطاب يلقى من فرد على جماعة بقصد التأثير فى نفوسهم واقناعهم بأمر من الأمور"[٢] .

وهذان التعريفان يحددان الخطابة فى فنها الكلامى الخاص بها ، ويميزانها عن بقية فنون الكلام ، وهذا حق .

كما أنهما يجعلان الخطابة مشتملة على إقناع العقل ، واستمالة الوجدان واثارة النفس ، وهذا حق أيضا .

---

(١) فن الخطابة صـ٩ ، والدكتور الحوفى كان أستاذا للأدب والبلاغة في كلية دار العلوم .
(٢) البلاغة والأدب جـ٢ صـ٩١ .

لكن التعريفين يقصران الخطابة على جانب التطبيق الخطابى ذلك أن أى علم يشتمل على المواد الأولية للمكونات الذاتية للمعرفة الخاصة به ، كما يشتمل على صياغة هذه المواد فى قوالب معينة .

ويراد بالمواد الأولية أسس العلم ، ويراد بالصياغة فنية التطبيق لهذا العلم .

وبملاحظة هذين الجانبين فى العلم يمكن القول أن تعريفات المحدثين تنطبق على الجانب الفنى للخطابة ، أما أسس العلم وقواعده فقد سكتت عنه ، وهذا قصور يجعل الخطابة فطرة ، ومهارة عملية ... ويحرمها من وضعيتها العلمية التي جعلتها علما أساسيا له قواعده ، وموضوعة ، وهدفه .

صحيح أن التطبيق الصحيح ينبنى على القواعد والأسس الصحيحة ، لكن الأولى أن يكون التعريف مشتملا على الجانبين ، لأن الخطابة الفطرية تتضمن الفن فقط مع الجهل بالأسس والقواعد .

وأيضا فإن تعريف الخطابة بالخطاب تعريف للشئ بنفسه وهذا لا يجوز ولهذا سأحاول أن أضع تعريفا لعلم الخطابة شاملا لكل أجزاء العلم ، مميزا له عن كل ما عداه ، مشتملا على الجانبين العلمى و العملى ، سائلا الله أن يوفقنى فما قصدت إلا الصواب ، والله يهدى إلى سواء السبيل .

تعريف علم الخطابة اصطلاحا :

الخطابة هى علم يقتدر بتطبيق قواعده على تمكين شخص عالم به من مشافهة المستمعين ومواجهتهم بألوان متعددة من فنون القول لمحاولة التأثير فيهم ، واقناعهم وترغيبهم بأمر ما ، وتنشيط الحركة بينهم .

وهذا التعريف للخطابة يتضمن المسائل التالية :

أولا : بيان أن الخطابة علم كسائر العلوم له موضوعه ، وقواعده ، وأهدافه كما هو الشأن في سائر العلوم ...

ومن المعلوم أن علم الخطابة ليس علما جديدا مستحدثا ، بل إنه علم لازم البشرية من أول وجودها ، لأن الإنسان في بدايته وجد نفسه مضطرا للتعبير الصوتى عن مشاكله وقضاياه ، وخاطب الناس بها . فبرز خطيبا بصورة تلقائية ، ونحن نعلم أن عديدا من الناس كانت له قضية اضطروا لعرضها على الغير فى صورة خطبة يلقونها على مسامع الآخرين ، بصورة عفوية ...

وبالنسبة لتدوين العلوم كانت الخطابة قديمة أيضا ، لأنها دونت علما منذ نشأت الفلسفة فى بلاد الإغريق .

ثانيا : يعتمد علم الخطابة على مجموعة من القواعد والمبادئ التى يمثل وجودها قوة دافعة لإيجاد الخطبة فى عالم الواقع ، فليس وجود القواعد وجودا للخطبة ، وانما الخطبة هى مشافهة الناس على أساس هذه القواعد والمبادئ .

وقواعد هذا العلم متنوعة منها ما يتعلق بالكلمة ، واختيارها ، واعدادها ، ومنها ما يتعلق بالمتكلم وفطرته ، واستعداده ، ومنها ما يتعلق بالمستمعين ، وما يتأثرون به ،وما يؤثر فيهم ، ومنها ما يتصل بوسيلة الخطابة وطرقها ، وهكذا .

ثالثا : تتضمن الخطبة على عدد من فنون القول ، فبعضها يكون نثرا أدبيا ، وبعضها يكون أسلوبا علميا ، وبعضها يكون شعرا ، وبعضها يكون قصة وبعضها يكون خبرا أو إنشاء ... وهكذا تتنوع الفنون بشرط أن تتلاقى مع اختلافها حول الموضوع المعين للخطبة ، ليساهم كل منها فى عملية الإقناع ، والاستمالة ، والتوجيه .

رابعا : تتحدد الخطابة فى المقالة المعدة على نحو خاص ، الموجهة مباشرة للناس ، يلقيها الخطيب على جمع من المستمعين ، وليس منها الندوة التى يتحدث فيها أكثر من شخص ، وليس منها المحاضرة إذ يسمح فيها بالحوار ، والسؤال والتعليق ... وليس منها المقالة المعدة للطبع النشر وهكذا .

خامسا : تهدف الخطابة إلى التأثير فى المستمعين ، وتحاول توجيههم نحو موضوع مقصود ... وهى بذلك تخاطب العقل ، وتناجى الوجدان ، وترضى العواطف ، وهى فى بعض أهدافها قد تلتقى مع بعض فنون الكلمة المكتوبة أو المنطوقة لكنها تتميز بتوجيهها إلى العقل ، والعواطف والوجدان فى الموضوع الواحد ، وفى وقت واحد .

سادسا : ترتبط الخطبة بالإلقاء الشفهى ، ولذلك فإن سائر ألوان الكتابة لا يعد خطبة ، إلا إذا تحولت إلى كلمات مسموعة يوجهها شخص ما لجمهور من المستمعين .

ولأهمية الخطابة كان لها الدور الرئيسى في صدر الإسلام ، حيث خطب النبى ﷺ في يوم الجهر بالدعوة ، وكان يخطب في الوفود القادمة ، وفى الجيوش الداهبة ، وكان عليه السلام يكلف القادر على الخطابة أن يقوم بواجبه تجاه إخوانه وتجاه غيرهم ، يدعوهم إلى الخير ، ويأمرهم بالمعروف ويناهم عن المنكر .

وقد درج العلماء على تسمية الخطابة الدينية بالوعظ ، وتسمية القائمين بها بالوعاظ ؛ وهذا تضييق لواسع ، لأن الدين يشمل سائر جوانب الحياة ، وكافة أمور الآخرة ، وكل ما نتخيل الخطب فيه من تجارة ، وزراعة ، وصناعة ، وسياسة . وتعلم ، وحرب . هو من أساسيات الدين ولوازمه .

صحيح أن الدعاة إلى الله اليوم هم الأئمة والوعاظ الذين يباشرون بخطبهم جانبا من الدين ، يكاد ينحصر في باب الأخلاقيات ، أو في تعليم بعض أصول العبادات والتشريعات ، وابتعدوا عن أنواع كثيرة من الخطب القضائية ، والسياسية والعسكرية . وتركوها للمحامين والزعماء والعسكريين وقد يكون هذا سر تسمية الخطابة الدينية بالوعظ ، إلا أن هذا ليس اصطلاحا علميا ، وانما مسمى لا حقيقة له .

إن أول خطبة خطبها النبى ﷺ كانت بصفته رائدا حيث قال عليه السلام : "**إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم . والله الذي لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالشر شرا ، وأنها للجنة أبدا أو النار أبدا ، وأنكم لأول من أنذر بين يدى عذاب شديد**"[١] وواجب أن يتبوأ الخطيب مكان الريادة دائما ، ويخوض كافة المجالات باسم الدين ، ليبرهن عن حقيقة عموم الإسلام وشموله .

إن من ينظر في هذه الخطبة . وفى غيرها كخطبة الوداع مثلا يرى الجوانب الكثيرة ، والشمول الواضح للخطابة الدينية ، مما يجعلنا نرى ضرورة شمولها للوعظ وغيره .

وعلى الجملة فإن الخطابة ضرورية للدعوة ، وما أجدرنا أن نقوم بها ، ونعد لها رجالا قادرين على أدائها ، وأن نخلص النية لله ، ونقصد نشر الخير لأمتنا وللإنسانية كلها .

لقد تغير الزمان ويبدو أنه أثر في نفسية الناس ، فبعدوا عن التعليم الدينى وتركوا شرائع الله لدرجة أن أعمالهم وسلوكهم صارت غريبة كل الغرابة عن العهد الناصع للإسلام .

إن شعبنا يريد أن يجدد نفسه على أساس " العلم والإيمان " وهما معا من دعوة الله التي ننادى بوجوب نشرها ، وتطبيق تعاليمها .

وللخطابة دورها الهام في حركة التجديد . ويجب أن تتبوأه .

---

(١) السيرة الحلبية ج١ ص٤٠٥ .

والخطيب الحكيم يستطيع بما وهبه الله عز وجل من نور الحكمة . وقاطع الحجة . وساطع البرهان . أن يصحح القلوب ، وينبه العقول . ويطهر النفوس حتى ترجع عن غيها . وتعود إلى الاعتدال وتتحلى بالفضائل والكمال وتعيش بنور العلم وحلاوة الإيمان .

إن علم الخطابة له ذاتيته الخاصة التى يتميز بها عن غيره من العلوم ، وهو من العلوم التى تحتاج إلى الممارسة الطويلة ، والتدريب المستمر ، ولا يكفى معها العلم المجرد بالقواعد ، كما أنه يحتاج إلى فطرة مستعدة وقوة شخصية معينة .

ومن هنا كان اجتماع الفطرة الخطابية مع العلم بالقواعد العلمية ، ومصاحبة الخبرة التطبيقية من أعظم المناهج لتخريج خطباء أكفاء يملكون تنفيذ ما يوكل إليهم على وجه سديد .

إن الخطابة علم ينير لدارسه الطريق ولا يحمله على السلوك . هو يعطى المصباح . ولا يضمن لحامله أن يرى لجواز أن بعينه رمدا . وهو في هذا كسائر العلوم فليس كل متعلم للنحو ينطق بالفصحى . ومتعلم المنطق قد لا يعصم ذهنه عن الخطأ . وهكذا سائر العلوم النظرية . تعطى القانون فقط ولا يتمكن من التطبيق إلا من راض نفسه على قانون العلم وقواعده . يقول ابن رشد : وليس عمل هذا العلم " الخطابة " أن يقنع ولا بد . بل عمله أن يعرف جميع المقنعات في الشئ ويأتى بها في ذلك وان لم يقع إقناع[١] .

---

(١) تلخيص الخطابة صـ ١٣ . ويلاحظ أن ابن رشد يطلق على العلم اسم الصناعة دائما .

المبحث الثانى
أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية

الدعوة الإسلامية واجبة التبليغ ، لأنها نزلت من عند الخالق سبحانه وتعالى لإصلاح الحياة والأحياء بالمنهج الإلهى القويم .

والمنهج في حد ذاته لابد أن يكون واضح المعالم ، معلوما في حركته ، وغايته ، وتناسقه . وتكامله ، وقد حقق الله تعالى لمنهجية الدعوة هذه الحقائق ... إلا أن المنهج يحتاج بعد ذلك إلى من يفهمه ، ويؤمن به ، ويخلص له ، ويوصله إلى الغاية التى تحقق هدفه ، من حيث الذيوع والانتشار ، والإيمان ... وهكذا ... وبدون ذلك يبقى المنهج مستورا فى طيات الكتب ، وفى ثنايا صفحات التراث .

إن الدعوة إلى الإسلام منهج دقيق ، يهدف إلى نشر الإسلام ، وايصاله إلى الناس جميعا فى كل زمان ومكان .

والإسلام مجموعة من التعاليم الإلهية ، المشتملة على عدد من المفاهيم القابلة للتطبيق العملى ، المنتظمة فى أفعال ، وأقوال ، وأحوال ، محققة بذلك سعادة الناس فى الدنيا والآخرة .

وبهذا الفهم المجمل للإسلام ندرك أنه لا يتحرك بذاته شأنه شأن أى فكرة ولكنه يحتاج إلى من يؤمن به ، ويدرك أهميته ، وحاجة الناس إليه ، ويعمل على أن يكون داعية له ، يحمله إلى من يستطيع من الناس ، وبذلك يتحقق للإسلام ما أراد الله له من الانتشار والذيوع .

وليس كل إنسان مؤمن بالإسلام قادرا على تبليغه بالصورة الواجبة ، وفى إطار الشروط التى تجعل البلاغ عملية تربوية سليمة ، تبين المفهوم الصحيح للإسلام ، وتوضح منهج التطبيق فى أناة ، وتجعل الناس يقبلون أو يعرضون بعد معرفة دقيقة للإسلام ، وفهم صحيح لدين الله تعالى .

ومن هنا كانت ضرورة الدعاة للقيام بعملية الدعوة إلى دين الله تعالى ، وهذه الضرورة مسئولية الأمة المسلمة (أفرادا أو جماعات) كل على قدر طاقته وعلى الأمة أن تختار من بنيها من يتمتع بالاستعداد الفطرى لعملية الدعوة وتصقل هذه الفطرة ، وتنميها بالعلم ، والمعرفة ، والثقافة ، وبخاصة أن المعارف المعاصرة قدمت العديد المفيد فى مجال التوجيه ، والتثقيف ، والتربية ، والقيادة .

وبدون هؤلاء الدعاة تبقى الدعوة (الإسلام) كامنة فى مصادرها ، بعيدة عن مجالها ، وحينئذ يصير للناس عذر فى عدم إسلامهم ، يجيبون به الله حين يسألهم عن عدم إسلامهم قائلين له ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله : ﴿ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾[١] .

لقد أرسل الله تعالى محمدا ﷺ للناس وقال له سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[٢] . وأنبأه سبحانه بحمل رسالته ، وحصر وظيفته عليه السلام فى الدعوة والتبليغ فقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ ﴾[٣] . وقال سبحانه : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[٤] وبذلك وضحت أهمية الرسالة ، والرسول .

---

(١) سورة طه ، الآية ١٣٤ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٤٦ .
(٣) سورة المائدة ، الآية ٦٧ .
(٤) سورة النور ، الآية ٥٤ .

وقد قام النبى ﷺ بوظيفته خير قيام ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وبذل كل ما أمكنه ليصل الإسلام صافيا نقيا واضحا لسائر الناس .

وقد استن رسول الله ﷺ سنة حسنة فى عملية تبليغ الإسلام فكان يتخير من أصحابه من يقدر على التبليغ والدعوة ، ويكلفه بحمل الإسلام إلى مجموعة من الناس ، ويعلمهم ما نزل من القرآن ويفقههم فى دين الله تعالى ، وبهذه السنة الحسنة وصل الإسلام إلى النسوة فى بيوتهن ، والى القبائل فى ديارهم ، والى الأمراء والخاصة فى أماكنهم ،ووصل إلى المدينة بواسطة مصعب بن عمير رضي الله عنه والى اليمن بواسطة معاذ بن جبل ر ، وهذه السنة تشير إلى تكاتف كل أفراد الأمة فى تحمل الأمانة ، ورعاية مسئولية الدعوة إلى الله تعالى .

وقد استفاد الرسول ﷺ من كل وسيلة ممكنة لتبليغ الإسلام ، ودعوة الناس إلى دين الله تعالى .

فدعا الناس بواسطة أفراد يتخيرهم لما يرى فيهم من هدوء الطبع ، ودقة النظر ، والتدبر فيما يرى ويسمع ، وحبهم للصواب والمفيد .

ودعا ﷺ الناس بعد أن جمعهم فى عدد قليل ، بينه وبينهم معرفة ، وقد فعل ذلك يوم أن جمع أعمامه وعماته وأولمهم ثم دعاهم إلى الدين الحنيف .

ودعا ﷺ باستقبال الوفود المرسلة من القبائل والدول ليفصحوا الأمر ، ويقفوا على حقيقة الدعوة الجديدة فكان ﷺ يكرمهم ، ويسمع لهم ، ويسمعهم ، ويرجع إسلام أغلب القبائل العربية إلى هذه الوسيلة .

ودعا ﷺ بإرسال الكتب والرسائل إلى رؤساء الناس يدعوهم ومن خلفهم إلى الدخول فى الإسلام .

ودعا ﷺ بإرسال الدعاة إلى الأماكن البعيدة للبلاغ والدعوة ، وكان ﷺ يدور بنفسه على بيوت القوم ، وأماكن إقامة القبائل فى منى وعرفة ومزدلفة حين يأتونها فى مواسم الحج ، وفى زمن إقامة الأسواق .

وكثيرا ما خطب رسول الله ﷺ الناس ، ودعاهم إلى الله بالكلمة الطيبة ، والبلاغة المؤثرة ، والبيان الموضح فلما فرضت الصلاة ، وشرعت الجمعة ، صار أمرا واجبا إن تشتمل الخطبة على الدعوة ، وأصبحت الخطبة الدينية إحدى وسائل البلاغ والدعوة .

إن هذه الطرق النبوية فى الدعوة تعليم للأمة ، ليأخذوا منها ، ويسيروا على هداها ، وليعلموا أن تبليغ الإسلام واجب لازم ، والدعوة إليه حقيقة مستمرة إلى يوم القيامة ، وعامة لكل الناس ، أينما كانوا ، وفى كل زمان كانوا .

وفى القرآن الكريم آيات واضحة توجب الحركة بالدعوة ، وتلزم المسلمين بها ، وهذه بعض منها :

يقول الله تعالى :

- ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .
- ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[2] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ .

(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

- ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[١] .

- ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾[٢] .

والآيات كثيرة وهى فى مجملها تبين بوضوح :

- أن الدعوة إلى دين الله تعالى فريضة واجبة لابد منها لتحقيق الفلاح والهداية .
- وأن العلم بمنهجية الدعوة وخطوطها العامة مهم لنجاح الدعاة في تبليغ الإسلام .
- وأن وضوح موضوع الدعوة فكرا ووسيلة من أساسيات الحركة الدعوية لأن الجهل بذلك يحرم الناس من فوائد الدعوة .
- وأن مواصفات الداعية القائم بهذا الواجب تشمل الجوانب الإيمانية ، والنفسية ، والعلمية ، والاجتماعية حتى يتمكن من التعامل مع المدعوين ويحقق لدعوته الانتشار المطلوب .
- وأن مسئولية الأمة جميعا تجاه دين الله تعالى فريضة ملزمة وبخاصة في العصر الحديث الذي تنوعت فيه الثقافات وتعدد الصراع والتسابق .

إن الأمة المسلمة هي أمة الخير ، به تتصف ،وعليه تعيش ، وله تعمل وعلى قيمه تنشئ بنيها وتربيهم ، ولذا يكون الحق فيها أقوى من الباطل ، والعدل أعلى من الظلم والجوانب الإنسانية الراقية أظهر ، وأدوم ، وأكثر قبولا وتقديرا من أى شئ سواها .

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٢٢ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٩ .

إنها باختصار هى أمة داعية ، وآمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر ، وهى المسئولة عن الدعوة إلى الإسلام ، وفى إطار مسئوليتها تهيئ جماعة الدعاة ، وترعاهم ، وتعلمهم ، وتدربهم على فنون الدعوة ومخاطبة الناس .

والخروج للدعوة جهاد فى سبيل الله بالكلمة ، تحتاج لأناس ملأ حب الإسلام قلوبهم ، وفقهوا تعاليمه وتوجيهاته وتحملوا المشاق فى سبيل علو شأنه ، وسطوع أنواره ... هؤلاء الذين علموا وعملوا هم أولى الناس بفقهه ، والدعوة له ، لأنهم بتقواهم يعلمهم الله ، وبإخلاصهم فى العمل تتضح أمامهم الأسرار ، والخبايا ، وبحبهم للدعوة تتولد فيهم طاقة ربانية تهديهم إلى الحق ، وتفتح أمامهم مغاليق القلوب والعواطف .

وموضوع الدعاة إلى الله نشر الخير كله ، بين أفراد أمتهم ، وعند غير أمتهم ، والخير كله هو الإسلام بمنهجه المتميز بعقيدته الصافية ، وشريعته المنتظمة المفصلة ، وأخلاقه الكريمة الراقية ، وهذا المنهج ينتج حين يطبق الخير والمصلحة لمن يطبقه فردا أو جماعة ، وتطبيق الإسلام أمر ميسر لمن يقبل عليه .

والدعاة وهم ينشدون هذا الموضوع يتجهون إليه فى إطار منهج معين ، فعليهم التزام الحكمة فى حركتهم ومقالتهم ، واتصالاتهم ، وسائر أعمالهم وتعنى الحكمة معهم الهدوء ، والنظام ، والدقة ، والخلق ، والتخطيط بعيدا عن المغالاة أو التقصير ، نائين بسلوكهم عن السوء والعدوان .

والموعظة والجدل فى إطار الحسن دائما ، وهذا يعنى التزام الخلق الكريم البادى فى كلمة راقية ، أو توجيه سديد ، أو حوار هادف مفيد .

إن طرق الدعوة ووسائلها فى إطار هذا المنهج مع تعددها وتنوعها لا تكون إلا خيرا ... تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتحبب الناس فى الإيمان ، وتأخذهم إلى الله فى قناعة ورضى .

ورسول الله ﷺ هو قدوة المسلمين والدعاة فى الإيمان ، وفى التطبيق العملى ، وفى الدعوة إلى الإسلام ، منهجا وحركة وأسلوبا وتلك كلها جوانب حية فى الأمة التي اصطفاها الله تعالى بوحيه ، وجعل فيهم رسوله **ص** .

إن طرق الدعوة عديدة ، وقد أضفى عليها العصر الحديث بمعارفه ومخترعاته الكثيرة طرقا أخرى ، وهى فرصة أمام المسلمين ليضاعفوا الجهود لخدمة دينهم مستفيدين من مستجدات العصر وعلومه فى إطار الخيرية الإسلامية ، وتحت مظلة المنهج الإسلامى الصحيح .

وهنا ننظر إلى كافة الطرق والوسائل الممكنة فى الدعوة لنعلم حقيقتها وجدواها ، ونعرف أيها أكثر نفعا وارشادا ، وأيها أنسب للموقف والشخص والوقت لتصل الدعوة لغايتها ، وتحقق الهدف منها .

ومع النظر والتفحص تعلو الخطابة ، وتبقى أسلوبا مفيدا للدعوة أكثر من أى أسلوب آخر ، وتستمر شاهدة على أهميتها وخطورتها في التأثير والفائدة ، وهذا يدعونا إلى الاهتمام بها .

إن الإنسان يسيره وجدانه أكثر مما يسيره فكره ،والفرد مع الآخرين ينسى خواصه الفكرية . ومواهبه الأصيلة، ويندرج في وجدان الجماعة . **يقول لوبون:**

"وأعظم الرجال لا يتفاوتون عن العامة في الأمور التي مرجعها إلى الوجدان . كالدين . والأدب . والميل . والنفور . وهكذا إلا نادرا "[1] وليس هناك من هو أجدر من الخطبة في استمالة الوجدان ، وتهييج الشعور ، وتحقيق الانفعال المؤدى إلى الاندفاع والعمل .

---

(١) روح الاجتماع صـ٣ .

والفرد الذي يسيره العقل وحده . لا تغفله الخطابة الدينية ، لأنها قائمة على الحق بعيدة عن التغرير . تستعمل الأدلة البرهانية ، والأدلة الظنية حتى تصل إلى أعلى درجات اليقين .

إن ارتباط الخطابة بالعاطفة الدينية دافع إلى الاهتمام والمتابعة ، وأيضا فإن وجود الأمية ، وكثرة الأعمال وضيق الوقت دوافع رئيسية إلى ضرورة الخطابة . لأنها تخاطب الأمى على قدر طاقته ، تقرب له البعيد ، وتذلل أمامه الصعب ، وتوجز الزمن لمن لا يجده من أصحاب الأعمال ، وتركز المعانى الكثيرة في كلمات قليلة وتقدمها لمن تزحمه مشاغل الحياة .

والخطابة أسلوب للدعوة يوجز للناس المعارف المطلوبة ، وييسر لهم الحصول عليها بلا عناء ، والإنسان المشغول بأعباء الحياة ، ورجل الأعمال المنهمك فى عمله ، والموظف وأهل التخصصات المختلفة يجدون فى الخطبة الفكرة موجزة ، دقيقة ، مؤيدة بأدلتها ، يأخذونها فى وقت قصير ، تغنيهم عن قراءة كتاب ، أو الرجوع لعدد من المصادر لو أرادوها بأنفسهم .

والخطابة تتجه إلى جميع الناس ، إذ نراها تخاطب العالم المتخصص ، والشخص العادى والمثقف البسيط ، كبارا أم صغارا ، رجالا أم نساء ، سادة أم عبيدا ، أغنياء أم فقراء ، ولعل ما يساعد الخطابة على هذا ما تراه معها من تنوع الأسلوب ، وتعدد الأدلة ، وتلوين الخطاب والتوجيه .

والخطابة الدينية هى أساس الخطابة ودعامتها ، وهى الهدف الرئيسي لهذه الدارسة ، وهى أقوى الأساليب الدعوية وأكثرها فائدة ، لأنها تقدم للناس فى أطر منتظمة ، وبصورة دورية ، ويأتيها المستمعون طائعين لنداء الله رب

العالمين وهو يقول لهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[١] .

إن الاستماع لخطبة الجمعة عبادة ، ولا يجوز لمستمعها أن يتكلم ولو كانت الكلمة نصيحة لصاحبه ، يقول النبى ﷺ "**إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة : أنصت ، والإمام يخطب فقد لغوت**"[٢] .

فى هذا الجو الدينى تكون الخطبة ، ويكون النفع .

فالمستمع مصل مسلم جاء يعبد ربه ساعيا لسماع الخطبة ، طاردا عن نفسه كل شواغل الدنيا ، يجاهد نفسه ليفهم ما يسمع ، ويعى ما يقال .

والخطيب إمام داعية يعى جيدا رسالته ، ويعد خطبته إعدادا جيدا وفق الأصول الفنية ، وتبعا للمبادئ الشرعية وبذا تتم الفائدة وتكون خطبة الجمعة كما أريد منها فى مجال الدعوة .

إن الخطيب فى مسجده يقدم كل أسبوع موضوعا دينيا كاملا ، يخدمه بعلمه ، ويأخذه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وبذا يقدم الإسلام من خلال الخطابة .

إن العام يتكون من اثنين وخمسين أسبوعا فلو تصورنا داعية يتقن خطبته ، ويقدم من خلالها الإسلام ، فإنه بذلك يعد جامعة متخصصة فى تفهيم الإسلام ، وتعليمه لكافة الناس ، إنه فى عام واحد يدرس هذه الموضوعات العديدة ، فما بالك بعشرات السنين والأعوام .

---

(١) سورة الجمعة ، الآية ٩ .

(٢) صحيح البخارى . كتاب الجمعة . باب الإنصات يوم الجمعة جـ٢ صـ١٣ .

ولو تصورنا مسلما يقبل على المسجد كما هو الواجب ، ويتقن ما يسمع فإنه سوف يتلقى من المعارف الإسلامية ، وعلوم الدين أكثر مما يتلقاه طالب الجامعة المتخصص مهما كان مستواه .

إن الخطبة الدينية جامعة ضخمة خرجت الأجيال الإسلامية العديدة منذ العصور الأولى ، ويكفى أن تعلم أن السلف الصالح تعلموا الإسلام من المسجد وفهموا ضرورة القيام بالمسئولية من خلاله فقدموا الإسلام صافيا للناس ... وآمن الناس بالله واتجهوا إلى المسجد يعبدون ويتعلمون ، ففهموا الإسلام .

إن الخطبة الدينية حركة معرفية رائعة ، ولذلك كانت محل اهتمام رسول الله ﷺ واهتم بها أصحابه ﷺ ويجب أن تكون محل اهتمام المسلمين فى العصر الحديث .

والخطيب الداعية يستطيع بما وهبه الله عز وجل من نور الحكمة ، وقاطع الحجة ، وساطع البرهان ، أن ينبه العقول ، ويفتح القلوب ، ويطهر النفوس ، ويأخذ الناس بعيدا عن متاهات المماراة ، وغياهب الظلمات ، وينفرهم من مزاعم الأعداء ، ووساوس الشياطين ، والله لهؤلاء القوم خير معين .

المبحث الثالث
علاقة علم الخطابة بالعلوم الأخرى

تتماسك العلوم الإنسانية ، وتترابط لتحقيق هدف عام وهو إفادة الإنسان والترقى به . ولذلك يستفيد كل منها بغيره ، والخطابة في مقدمه العلوم التي تحتاج إلى غيرها من العلوم ، لأن هدفها الإقناع والاستمالة ، ولا تستطيع ذلك إلا إذا أحاطت بالأدلة وأنواعها . والبشر ونفوسهم ، والمجتمع وطريقة تغييره ، ولهذه الصلة الوثيقة بين الخطابة والعلوم . يقول ابن رشد : "إن كل صناعة إنما هي معلمة أى مبرهنة ومقنعة في الجنس الذي تنظر فيه لا في جميع الأجناس ، وأما الخطابة فهى تتكلف الاقناع في جميع الأشياء ، وفى أى مقولة كانت ، وأى جنس كان ، ولذلك لا تنسب الخطابة إلى جنس خاص[١] أو جانب ما . ورأى ابن رشد يشير إلى أن الخطابة تكون في سائر المجالات وجميع الأنشطة الإنسانية" ، وانما كان لها موضوعها الخاص لأنها تضع قواعد تنظيم القول ، وتحدد عوامل تأثير القائل ، ومراعاة خصائص المستمعين أيا كان القول أو كان قائله ، أو كان مستمعوه .

وسوف نذكر هنا العلاقة بين الخطابة وأهم العلوم الإنسانية :

أولا : علاقة علم الخطابة بعلم الاجتماع :

اتسع نطاق علم الاجتماع العام وأصبح يتناول فروعا كثيرة ، صارت علوما اجتماعية خاصة ، وهى دائما في زيادة ، **ومنها :**

(أ) علم دراسة بيئة المجتمع ، وقيام القرى ، والمدن ، ووظائفها .

(ب) علم الإنسان من حيث أصوله البشرية ، وتفاعله مع المجتمع وانقسامه إلى بيئات مختلفة ، وقبائل متعددة .

---

(١) تلخيص الخطابة صـ١٦ .

(ج) علم السكان وهو علم يدرس تركيب السكان ، والكثافة ، والهجرة ، والمواليد ، والوفيات .

(د) علم الاجتماع الثقافى وهو علم يدرس الثقافات ، ومدى انتشارها ، وتخلفها . والصراع فيما بينها .

(هـ) وهناك علوم أخرى كعلم الاجتماع الأسرى ، والاقتصادى ، والسياسى والتربوى ، واللغوى ، والدينى ، والأخلاقى ، والجمالى ، والعمالى ، والعسكرى ، والنسوى ... الخ وكل منها يدرس الظواهر ، والنظم التي تقع في مجاله .

والظاهرة الاجتماعية هي أساليب وقوالب التفكير ، والعمل الانسانى التي يزاولها الأفراد ويصبون فيها أعمالهم في كل مجالات حياتهم الاجتماعية ولا تكون ظاهرة إلا بعمومها ، وشمولها .

وتتميز الظاهرة بأنها عامة ، ومترابطة ، وملزمة ، ومستقلة ، ومصدرها العقل الجمعى لا الفردى .

وعلم الاجتماع بفروعه المختلفة يهتم بالظواهر التي توجد في المجتمع على تنوعها ، ويدرسها دراسة نظرية وعملية . بمعنى أنه يدرس الحقائق المحيطة بنشأة الظاهرة وتطورها وأنماطها ويدرس العلاقة بين سائر الظواهر واكتشاف وظائفها . والقوانين الاجتماعية التي تحكمها ، وذلك لينتفع بهذه القوانين في عملية الارتقاء بأحوال المجتمعات . وحل مشكلاتها . وتحسين مستويات الجنس الإنسانى بصفة عامة .

إن العمليات الاجتماعية تتفاعل فيما بينها توافقا أو تنافرا وتحدث في مجتمعنا ظواهر جديدة مؤثرة .

ولما كان علم الاجتماع هكذا فإننا نرى حاجة علم الخطابة إليه ، لأن الخطبة الجيدة هي تلك التي تهتم بالواقع ، وتتناول ظاهرة موجودة لها أهميتها

في الناس ، وتحتاج إلى إصلاح وعلاج . والخطبة لا تستطيع العلاج الناجح إلا إذا ألمت بكل ما قدمه علم الاجتماع في شأن هذه الظاهرة من البداية إلى النهاية .

إن دراسة البنيان الاجتماعى ، والعمليات الاجتماعية ، والتنشئة الاجتماعية ، والتغيير الاجتماعى . من الضرورات الهامة للخطيب . لأنها هي التي تمكنه من الإحاطة بواقعية المجتمع الذي يخاطبه ، ومن ثم يقدم الدواء الملائم للقضية التي يتناولها .

يقول الفارابى : " إن الخطيب إذا أراد بلوغ غايته ، وحسن سياسة نفسه في أموره فليتوخ طباع الناس ، وتلون أخلاقهم . وتباين أحوالهم "[١] .

ويقول أفلاطون : لكل أمر حقيقة ، ولكل زمان طريقة ، ولكل إنسان خليقة فعامل الناس على خلائقهم ، والتمس من الأمور حقائقها ، وأجر مع الزمان على طرائقه[٢] .

وهذا يدل على تأكيد الصلة بين علم الاجتماع وعلم الخطابة ، وضرورة الاستفادة بقوانين الاجتماع في الخطابة ، بل أن الدراسة الميدانية الحديثة لعلم الاجتماع تحتاج إلى الخطابة أيضا .

إن التوعية الاجتماعية تعترف بدور الخطابة الرئيسى في مجال التوعية وبخاصة في المجتمعات التي تشيع فيها الأمية ، حيث لا يستطيع الناس قراءة الكتب ، أو الصحف ، أو النشرات التي تستهدف التوعية ، وينادى علماء الاجتماع بضرورة الاستفادة بدور العبادة في التوعية لأن الناس يأتون إليها طواعية . وبشكل منتظم ، بخلاف الحال إذا وجهت إليهم دعوة للحضور في مكان عام فإنهم لا يأتون إلا نادرا ، وأيضا فإن طاعة الناس لما يسمعونه من

---

(١) تلخيص أصول الخطابة صـ١٨ .

(٢) المصدر السابق صـ١٩ .

إمام المسجد وخطيبه سهلة لتأييدها بالأدلة الشرعية ، ووضعها في الإطار الإيمانى ، بخلاف ما يأتيه من غير هذا الطريق فإنه يثير التساؤل ، والنقاش ولا تتحقق الاستجابة إلا بعد تردد طويل ...

ثانيا : علاقة علم الخطابة بعلم النفس :

يهتم علم النفس بدراسة الجانب الباطنى في الإنسان ، فيعرف بالغرائز والدوافع ، ورد الفعل ، وطرق الترقى بالخلق ، والسلوك ، والتسامى في الفكر والعمل ، ابتداء من الضمير والقلب ، لأن الإنسان يقاد من داخله في الحقيقة ، ولا يعمل شيئا بإخلاص إلا إذا اقتنع به عقله ، ورضيت به نفسه . ومادامت الخطابة تهدف إلى التأثير في الناس لحملهم على ما يراد . فيجب على القائم بها لكى يحقق هدفه . أن يعرف كيف يصل إلى قلوب الناس ، ويؤثر فيهم ، ويحملهم على الانقياد له . ولن يستطيع أن يصل إلى هذا إلا بعد دراسة نفسية الجمهور الذي يخاطبه . ومعرفة خصائصه ، وعناصر تكوينه ، والعوامل التي تؤثر فيه . والدوافع التي تحركه ، وتلك كلها من موضوعات علم النفس .

إن الإنسان يحركه وجدانه ، خاصة وهو في جماعة ، فلو فهمت دوافع نفسه . ومصدر سلوكه . لتمكن الخطيب بسهولة من الوصول إلى وجدانه ومصدر انفعالاته ، واستطاع حينئذ أن يعلو بالغرائز ، وأن يغير أنماط السلوك إلى ما هو أفضل ، وأن يقود الجماعة إلى ما يريد .

وحين يتمكن الخطيب من مخاطبة النفسية البشرية ، والوصول إلى أغوارها تعتبر عملية التغيير سهلة وممكنة .

وعلى الخطيب أن يعرف أن الجماعة تنقاد بالاستمالة كما تقاد بالإقناع وواجب عليه أن يركز على الغرائز البشرية ويخاطبها بالطريقة التي تصلحها ولذلك لزمه الإحاطة بعلم النفس بسائر فروعه .

ثالثا : صلة علم الخطابة بعلم المنطق :

لا تخلو الخطابة من المنطق أبدا ، فهى تعتمد على تصورات ، وتصديقات ، وأدلة ، وبراهين ، ففيها القياس بأنواعه ، وفيها قواعد الجدل ، والبرهان ، والحد ، والرسم . وهذا ما حدا بالأقدمين من علماء الإغريق والعرب أن يجعلوا الخطابة جزءا من المنطق .

وبعد استقلال الخطابة عن المنطق نراها تستخدم المنطق حين أدائها لدورها ، حتى اشتهر في الخطبة القياس الخطابى ، والقصص الجدلى . والأقيسة الاضمارية ، وغيرها ، وكل ذلك أخذته الخطبة من المنطق . وصاغته بصورة تلائم مقامها لأنها تسوق القياس بذكر إحدى مقدمتيه مكسوة بالطلاء الجمالى الذي يجعله مقبولا من النفس والعاطفة ، وتحذف الكبرى غالبا مكتفية بالنتيجة التي تتجلى بعد توضيح المقدمات بأساليب مختلفة .

والقصص الجدلى نوع من البراهين المنطقية التي ترد في صورة حوار بين طرفين يقصد كلاهما الانتصار لما يرى ، وينتهى هذا النوع من الجدل بانتصار الجانب الذي يقصده الخطيب ، وبذلك يصل إلى ما يريد من خلال الجدل المذكور .

والجدل العقلى يرد في شكل حوار بين أشخاص القصة التي يستغلها الخطيب للتأثير والتدليل ، ويختلف عن النوع السابق في أنه يعيش مع كافة عناصر القصة ، ولا يظهر المقصود بصورة مباشرة ، ولكنه يبدو متخفيا خلال أطراف القصة ، ويصل إلى المقصود في النهاية .

والقياس الإضمارى هو القياس الذي تظهر نتيجته من غير ذكر مقدماته لأنها مفهومة من فحوى الكلام ، ويبنى الخطيب كلامه على تفهيم المقدمات من غير نص عليها ، وكأنه يطلب من المستمع أن يجتهد بعقله لاكتشاف المقدمات المطلوبة .

هذا :

ويجب على الخطيب أن يجعل خطبته متماسكة يأخذ بعضها بحجز بعض وهذا لا يكون إلا بتسلسل الأفكار ، وتتابعها . مع قوة الأسلوب ، وحسن العبارة ، وجمال الألفاظ .

وهكذا فعلم المنطق خادم لعلم الخطابة لأن المنطق كما يعصم الذهن عن الخطأ في التفكير . يستنبط أيضا ما يرشد الذهن إلى الأخذ بقوانينه . وكل ذلك يخدم الخطابة والخطيب .

رابعا : صلة علم الخطابة بالدراسات الإسلامية :

في البيئة الإسلامية ، وعلى ألسنة الدعاة يظهر الارتباط الوثيق بين الخطابة وسائر المعارف الإسلامية لأن الخطابة حينئذ تتناول قضايا إسلامية . تعرف بها . وتحاول نشرها في المستمعين مستعملة كافة طرق الإقناع والجذب والوضوح . وهذا غير ممكن إلا باللجوء إلى المصادر الإسلامية للاستشهاد بها والاستفادة منها في عملية التأثير .

إن إيراد الآية القرآنية في موضعها . وتفسيرها . وبيان وجه الاعتبار بها ، وسر الإعجاز فيها ضرورة في المجال الإسلامى . كما أن الحديث النبوى له دوره الكبير في هذه العملية التوجيهية الخطيرة . ولذا وجب أن يكون صحيحا مخرجا بعيدا عن الضعف والعلل .

ومن هنا اشترط الفقهاء والعلماء لمن يتصدى للخطبة الدينية أن يكون فاقها لدينه . عالما بمصادره ، فاهما لجملة الدراسات الإسلامية بمختلف أنواعها لدرجة أنهم يمنعون قيام الخطبة على الأحاديث الموضوعة ، أو الضعيفة أو التي لا يعرف الخطيب الحكم عليها .

إن الخطيب المسلم يعطى لجمهوره علما ، ودينا ، ويؤمل في التأثير فيهم وتوجيههم إلى الخط الذي يعمل له ، وهذه لا تكون له إلا بإحاطته الدقيقة

بالدراسات الإسلامية وبخاصة في القضايا التي يخطب فيها لأن الظل لا يستقيم والعود أعوج ، وفاقد الشئ لا يعطيه .

– وكيف ينشر الإنسان علما . وهو يجهله ؟!

– وماذا يقول فيه . وهو غير فاهم له ؟!

– وهل يسمعه جمهوره وهو لا يبين ؟!

إن المتأمل للواقع يلمس مدى حاجة الخطيب في المجال الإسلامى للمعارف والدراسات الإسلامية المختلفة ، فكم من خطيب رفعه الناس على الأعناق تقديرا له ، واعجابا به ، وكم من خطيب انصرف عنه الناس لجهله بالإسلام ومصادره ، وتخلفه في مختلف الدراسات الإسلامية .

وأهم العلوم الإسلامية التي يحتاج إليها الخطباء :

(أ) القرآن الكريم . حفظا للفظه ، وفهما لمعناه ، واستنباطا لعلومه واحاطة للموضوعات التي أشار إليها .

(ب) السنة النبوية رواية ، ودراية مع الإحاطة والمعرفة بجوانبها المختلفة ، والفهم الواعى للسيرة النبوية الشريفة .

(ج) الأحكام الفقهية مع معرفة طريقة استنباطها من مصادر الإسلام .

(د) العلم بالتاريخ الإسلامى وأهم التغيرات التي طرأت على المجتمع المسلم وبخاصة في عصر رسول الله ﷺ ، والخلفاء الراشدين ، وزمن السلف الصالح .

(هـ) العلم بالأديان والمذاهب المعاصرة ودراستها دراسة مقارنة ليتمكن من عرض الإسلام ، والدفاع عنه ، ورد الزيف الذي يتفوه به الأفاكون .

وبهذا يتمكن الخطيب أن يقوم بدوره الإسلامى الصحيح .

خامسا : الخطابة وسائر العلوم الإنسانية :

والعلوم الإنسانية عديدة . كعلم الأخلاق . والجمال ، والتاريخ . وغيرها وكلها تدور مع الإنسان . من ناحية ما يجب أن يكون عليه ، أو من ناحية إحساسه تجاه الحسن الجميل ، أو من ناحية علاقته قديما بغيره . وهكذا ولذلك ترتبط كلها بالخطابة ارتباطا وثيقا .

إن الخطيب الناجح هو الذي يحيط بسائر العلوم الإنسانية ليتمكن بهذه الإحاطة من مخاطبة الإنسان بشكل ناجح ومفيد ، ويقصد الداء وهو يعرف دواءه ، وينادى وهو يعرف كيف يستجاب له ، ويأخذ بالألباب لأنه يناجيها ويجذبها إليه .

إن الإنسان هذا المجهول قد أحاطته دراسات عدة من أجل فهمه ، ومعرفة حقيقة مظهره ومخبره ، ويجب أن توضع هذه الدراسات في خدمة الإنسان نفسه بعد ذلك .

إن دراسة التاريخ يجب أن تؤدى إلى فهم قوانين الحركة والعمران .

ودراسة علم الأخلاق يجب أن تؤدى إلى أن يتحلى الإنسان بالفضائل . ويبتعد عن الرذائل .

ودراسة علم الجمال يجب أن تملأ حياة الإنسان باللذة والبهجة .

وهكذا يجب أن تؤدى دراسة العلوم الإنسانية إلى هدفها التطبيقى الذي يظهر في الإنسان ولمصلحته .

وعلم الخطابة بعد ذلك كله يستفيد من قوانين سائر العلوم الإنسانية ونتائج دراستها ، ليؤدى دوره بوفاء وقوة .

المبحث الرابع
نشأة الخطابة وتطورها

نشأت الخطابة بصورة تلقائية ، ولازمت الإنسان منذ وجوده . معتمدة على الفطرة ، وكان ينميها لدى الإنسان حاجته إليها . بسبب انتشار الأمية . وبعد البلدان . وصعوبة المواصلات ، وبعد ذلك أخذت تنفصل شيئا فشيئا حتى نالت استقلالها بصورة تامة ، وخاصة في العصر الحديث ، ولقد ظهرت الخطابة واضحة في دول الحضارة المتقدمة .

الخطابة في مصر القديمة :

ظهرت الخطابة بشكل تلقائى بين الجماهير في مصر القديمة ، وكانت خطبهم توجه إلى الآلهة . والكهنة . والأمراء ، وكان حكماء الدولة وكهانها يوجهون نصائحهم إلى الشعب على شكل مواعظ وخطب ، وقد حفظت لنا نصوص الأهرام أنشودة للشمس تخاطب مصر في تعداد طويل . ورائع . للمنافع التي تستمتع بها تحت حماية وسيادة إله الشمس "رع" .

وأيضا كان الكهان يوجهون خطبهم إلى الملك ، شارحين له أوضاع الشعب الاجتماعية والاقتصادية ، وكان الملك أيضا يوجه خطبة تقليدية إلى الوزراء حين تقليدهم أو إقالتهم .

ولقد كان أفراد الشعب في أحيان قليلة يوجهون خطبهم إلى الملك نفسه يشكون له أحوالهم ، ويستعطفونه في حل مشاكلهم .

وقصة الفلاح الفصيح توضح لنا منزلة الخطابة في شعب مصر القديم ، فلقد أطال الرجل وأفصح عن مظلمته ، وطالب بالعدل في شكل جميل ومثير لدرجة أن الملك استجاب له بعد تأثره[١] .

---

(١) تطور الفكر والدين في مصر القديمة صـ١٧٩ ، ٣٠٨ ، ٣٤١ .

ويظهر لنا من تتبعنا لنصوص الأهرام . والنصوص البردية . أن الخطابة المصرية كانت فطرية ، وأنها كانت تراعى الأسلوب النفسى المؤثر وفى طياتها نجد روعة البلاغة . ودقة المعنى ، وكانت تختلط دائما بأفكار المصريين عن الآلهة والدار الآخرة ... ويبدو أن الملك والأمراء والكهنة كانوا يتعلمون فن الإلقاء الخطابى ، بينما باشره الشعب بصورة فطرية .

الخطابة في بلاد اليونان :

وجدت الفلسفة في بلاد الإغريق ، وكثر الجدل ، وقد أدى ذلك إلى اهتمام اليونانيين بتعلم فنون القول ، وطريقة الخطابة . وأسلوب التأثير المؤدى إلى استمالة الجماهير نحو الفكر المراد حملهم عليه ، وقد ساعدت فطرة اليونان الخطابية على الامتياز في الخطابة بعد تعلم أصولها .

يقول شارل سنيوبوس : "امتازت أثينا أولا ببلاغة خطبائها فكانت حقا بلد الأدب ، وحسن الإلقاء . فبالخطب في مجلس الأمة تقررت الحروب ، وعقد الصلح ، ووضعت القطائع والضرائب ، وتمت المناقشة في كل الشئون العظيمة فللخطباء كانت السلطة ، وعلى الأمة أن تعمل بنصائحهم ومواعظهم"[١] .

وقد وصل بشأن الخطابة عند اليونان أن تولى الخطباء قيادة الجيش أثناء الحرب ، فقد عين "كليون" قائدا ، وعين "ديموستين" في قيادة حرب فيليب .

وأخذ الخطباء فى اليونان ينشئون خطبا . ويبيعونها لمن يقوم بخطبتها ، لقاء أجر يأخذونه ، وقد ثبت أن " أشيل " أخذ مالا من ملك مقدونيا ، وأن "ديموستين" أخذ مالا من ملك الفرس[٢] .

وهكذا برز الخطباء في بلاد اليونان مما دفع الكثير إلى تعلم أصولها ، واتقان أدائها ، طمعا في المزايا التي تعود عليهم من ورائها .

---

(١) الخطابة : صـ٥ .

(٢) أصول الخطابة : صـ٥ .

ويعتبر السوفسطائيون[١] أول من اعتمد على الخطابة بصورة أساسية لنشر أفكارهم ، وذيوع مذهبهم ، ذلك لأنهم لا يقرون بثبات حقيقة ما ، ويقولون : إن الأشياء وهم وخيال ، ويدعون الجزم بعدم تحقق شئ من الأشياء ، إلا أنهم انقسموا في تقرير قولهم هذا .

حيث نرى بعضهم يثبته بالعناد والمعارضة . ويزعم آخرون أن الحقائق تابعة للاعتقاد . فالشئ صدق عند من يعتقد صدقه ، وكذب عند من يعتقد كذبا وينادى فريق ثالث منهم بالشك في ثبات الحقائق . فلا ينفون ولا يثبتون .

ولعل أفكار السوفسطائيين هذه هي التي دفعتهم إلى الفن الخطابى ، والبيان الأخاذ ، يتقنونه ، ويعلمونه لأبنائهم لينتصروا به لمذهبهم .

وقد قام كل من "برويكوس" القوسى . "وبروتاغوراس" و "جورجياس" بفتح مدارس للخطابة يعلمون فيها قوانين الخطابة التي توصلوا إليها بأجر باهظ كى يتمكنوا هم وتلامذتهم من السبق الكلامى ، وتلبيس القول من غير اهتمام بالحقيقة لأنه لا حقيقة لديهم .

وقد ارتبطت الخطابة السوفسطائية بالفلسفة الكلامية ، واعتمدت على الصور الفنية الخيالية ، ولم يكن لها حقائق معينة تهدف إليها .

---

(١) السوفسطائيون : هم جماعة من مفكرى اليونان وجدوا في القرن السادس قبل البلاد يقولون بتغير العالم . وعدم ثبوت الحقائق ، وقد هيأت الظروف لوجودهم . لأن فلاسفة اليونان الأول كانوا يبحثون عن أصل العالم وهم الفلاسفة الطبيعون وعلى رأسهم "طاليس" .
وجاء بعده " الفيثاغوريون " ليقولوا إن العالم عدد ونغم وكان على رأسهم " فيثاغورس " .
ثم جاء بعد هؤلاء السوفساطائيون ليجدوا أنفسهم أمام حلول متضاربة قدمها الفلاسفة ، الأمر الذي جعلهم يقولون بمذهبهم ويدللون عليه .
والسوفسطائيون فرق ثلاثة هي العنادية ، والعندية ، واللا أدرية .
والعنادية يعارضون لمجرد المعارضة ولا يعنيهم الحق ، وقصدهم الجدل والمعارضة فقط .
والعندية قوم يتمسكون بما لديهم ، ويتحمسون له وأن كان باطلا .
واللا أدرية قوم ينفون كل شئ ولا يعلمون شيئا ولا يثبتون حقيقة لأمر ما .

وبعد السوفسطائيين ، جاء " سقراط " الذي عاشر السوفسطائيين . وخبر مذهبهم . واستمع لخطبهم . ورأى كيفية تلاعبهم بالأفكار . وتلوينهم للحقائق فها له ذلك الحال وأخذ على نفسه أن يدلل على ثبات الحقائق ، ويبطل دعاوى هؤلاء ومن أجل ذلك نجد " سقراط " يدرس الخطابة . وقوانين الجدل . وينادى بدراسة النفس الإنسانية ، وكان له في مجال مدافعة السوفسطائيين دور بارز ، حيث جعل للخطبة حقيقة ثابتة مع اعتمادها على الأسلوب البيانى ، والفلسفة العقلية ، وكان يجارى خصمه حتى يوقعه في التناقض ، ثم يقنعه بالفكرة مستعملا الاستقراء والتمثيل .

ثم جاء " أفلاطون " فسار على نمط أستاذه "سقراط" ونادى بنظريته في المثل ، ووضع قوانين جمهوريته . وفيها برز دور الخطباء في نشر الحق والخير . وغرس الأخلاق الفاضلة .

ويلاحظ أن جدل أفلاطون صاعد ونازل ، فهو في صاعده يسلك طريق الاستقراء فيتبع الجزئيات المحسوسة ليتوصل بها إلى المهايا الكلية المسماه بالمثل ، ومنها يتوصل إلى مثال المثل ، وهو مثال الخير ، الذي بلغ نهاية الثبات والاستقرار والخلود .

وفى نازله يستدل على وجود الأشياء بالمثل ، فيحكم على الشئ بحسب قربه أو بعده من المثال . وهذا الجدل شبيه بالقياس المنطقى لأنه استدلال بالكلى على الجزئى .

وهكذا نجد أفلاطون يستعمل الجدل في إثبات الحقائق . ومن المعلوم أن الأدلة الجيدة هي التي تضم إلى دقة المعنى حلاوة الأسلوب ، مما يجعلنا نعرف خصائص الخطابة عند أفلاطون ، ونعلم أنها تدور على الدليل الجدلى بنوعية ، والاهتمام بالأسلوب البيانى الجميل ، مع تركيزها على حقائق الخير للوصول بالإنسان إلى الارتباط بعالم المثال ، ويلاحظ أيضا أن الخطابة الأفلاطونية ظهرت مرتبطة بفلسفته ونظريته في المثل .

ثم جاء "أرسطو" الذي عرف بالمعلم الأول . ووضع الأسس لعلوم كثيرة كعلم المنطق بما فيه من برهان وجدل . وناقش السفسطة ، وتعقب مبادئها . وسلم بالمظنونات والمحتملات ليكون منها أدلة لها قوة البراهين المنطقية المؤسسة على البديهات والقواعد العلمية الثابتة .

وأخيرا أخرج أرسطو أول كتاب مدون في الخطابة حيث عرفها كعلم وبين أقسامها ، وفصل في أسلوبها وحدد جزئياتها ، وتكلم عن الخطيب ونبرته وأشار إلى بعض الموضوعات التي تبرزها الخطابة .

ويعد كتاب أرسطو أول كتاب وضع في علم الخطابة ، وقد ترجم إلى العربية أكثر من مرة ، وشرحه ملخصا ابن رشد .

ومن "أرسطو" بدأت الخطابة في استقلالها ، لأنه وان ساواها بالجدل وعرفها بقوة الإقناع ، فلقد تمثل البلاغة في الخطابة . ووضع شروطا للخطيب وحدد لها المجال الذي تفيد فيه . وضرب أمثله لعناصر الخطب الجيدة في مناسبات عدة .

الخطابة في دولتى فارس والهند :

لم يبرز دور تنظيمى للخطابة عند فارس والهند ، ويبدو أن السبب في ذلك هو النظام الطبقى المقدس الذي يحدد لكل إنسان وظيفته من يوم مولده ومع ذلك فلقد كان الأمراء يحتاجون إلى الخطابة في بعض الأحايين ، وكانوا يستأجرون خطباء من بلاد اليونان ، كما حدث لـ "ديموستين" الذي عمل في بلاط فارس فترة من الزمن ، ويبدو أن ذلك هو السبب في أن في الهند كتبا مدونة في الخطابة مع عدم معرفة مؤلفيها ، وفى أن للفرس حرصا على التحضير الطويل . فكرا وزمنا . قبل الخطبة . كما علمنا من الجاحظ حيث يقول : "في الهند معان مدونة وكتب مجلدة لا تضاف إلى رجل معروف ، وفى

الفرس خطباء إلى كلامهم عن طول فكرة ، وعن اجتهاد وخلوة ، وعن معاونة ودراسة"[١] .

الخطابة عند الرومان :

إذا جئنا إلى دولة الرومان فإننا نجدها تبدأ في حركتها العلمية متأخرة عن بلاد اليونان ، وتبدأها مركزة على القانون لا الفلسفة ، ومن هنا لم يجدوا معلم الخطابة في بلادهم ، فاستقدموه من بلاد الإغريق . يعلمهم هذا الفن في مدارسهم الرومانية التي أنشاؤها بكثرة بعد ما علموا منزلة الخطابة في الإقناع والاستمالة . وأحسوا بحاجتهم إليها .

ولقد كان الرومان في أشد الحاجة إلى الخطابة بسبب الصراعات الكثيرة . والمناقشات الحادة التي وجدت بين طوائف الشعب ، حيث حاولت كل طائفة أن تتغلب على غيرها ، ولذلك اندفعوا جميعا إلى تعلم الخطابة . وتعليمها لأولادهم بعدما كانوا يعتمدون على الجدل القانونى قبل ذلك .

وبالفعل وصل الرومان إلى كامل بغيتهم يوم أن تمكنوا من الاستيلاء على بلاد اليونان في أواخر عصر الجمهورية سنة ١٤٦ ق.م فقاموا على الفور بإحضار العديد من المثقفين اليونانيين الذين امتازوا بالإلقاء الخطابى ، وتمكنوا بذلك من تأسيس الفن الخطابى الرومانى المتميز بالفكر المنظم ، والمعانى المنسقة ، والأسلوب الرائع المتميز عن اليونان بتأثير الثقافة القانونية من حيث التفصيل ، والترتيب ، والاستنباط ، ومن حيث إجادة الإلقاء ، وفن التأثير .

ويبدو أن الرومان كانوا يملكون فطرة الخطيب الممتاز لأنهم أقبلوا على قواعد العلم فاتقنوها ، وبزوا الكثير في هذا المجال ، ويعتبر "شيشرون" مثلا واضحا على تقدم الرومان في الخطابة .

---

(١) البيان والتبيين جـ٢ صـ٣٧ .

وقد وصل تعلق الرومان بهذا الفن أن حصروا التربية العالية فيه ، وقصروا الوصول إلى عضوية مجلس الشيوخ على الخطباء وحدهم ، وكان الخطباء هم المحامون ، ومنهم يؤخذ القضاء .

إن الأغنياء كانوا ينفقون الأموال الكثيرة من أجل أن يتقن أولادهم الخطابة حبا للعلم . وضمانا للمستقبل . وبذلك كثر الخطباء في روما .

الخطابة عند العرب :

وأما العرب فقد هيأتهم ظروفهم ليكونوا خطباء مبرزين ، ذلك أن تباعد الديار ، ووجود التفرق ، والإحساس بالسيادة عند كل قبيلة ، مع إيمانهم بشعور قومى عام أساسه اللغة ، والدين ، والجنس ، كل هذا جعل العرب يهتمون بالخطابة فكانوا يقدمون الخطيب إلى جيرانهم ، يجمع صوتهم ، ويفاخر بهم ، وفى الحروب يهجو ويدفع ، وفى المناسبات يهنئ ويحمل البشرى .

ولقد اتجه العرب إلى الخطابة بفطرتهم . من غير تأثر بسواهم من الأمم الأخرى ، وكان استعدادهم الفطرى واضحا . **يقول الجاحظ :** "وكل شئ للعرب فإنما هو بديهة وارتجال . وكأنه إلهام ، وكانوا أميين مطبوعين لا يتكلفون ، وكان الكلام الجيد عندهم اظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر وأقهر"[١] .

وقد نظر العرب إلى حالهم فوضعوا نظاما يكفل الأمن . ويقلل الصراع وكان هذا النظام نفسه سببا لإزدهار الخطابة العربية وتنوع أغراضها .

وفحوى هذا النظام أنهم أقاموا أسواقا تدور مع أيام السنة ، وفى جميع أماكن الجزيرة ، وحتى يحققوا أكبر فائدة من هذه الأسواق جعلوها مكانا للكسب المادى ، وتقوية للشعور القومى ، ودفعا للتسابق الأدبى واللغوى والعقلى .

---

(١) البيان والتبيين جـ٣ صـ٢٨ .

وقد اختاروا لهذه الأسواق الأشهر الحرم حتى يضمنوا لأنفسهم الحركة الآمنة ، والقول الجرئ ، والنقد الحر ، وأقاموها في سائر أنحاء الجزيرة العربية لكى يشترك الجميع فيها حتى يحققوا أكبر الفائدة منها .

وقد تميزت الخطابة العربية بالقصر ، والارتجال ، والسجع ، واشتمالها على الحكمة . وبعدها عن الجدل والفلسفة . ودورانها غالبا حول الفخر ، والمنافرة ، والمدح ، والتهنئة ، والتأمل ، وكانت تخلو أحيانا من التسلسل والترتيب .

وظل العرب في الجاهلية يعتمدون على الفطرة ، فلم يؤسسوا دارا لتعليم الخطابة ، أو يعينوا أستاذا لها ، وانما اكتفوا بدار الندوة والأسواق . لأنها منابر القول . وفيها يتبارى الخطباء . ويقدمون من واقعهم مدرسة تطبيقية ونظرية في نفس الوقت .

إن العرب في هذا الزمن السحيق كانوا يعجبون بالنشاط ، ويقومون بالهجرات إلى بلاد الأنهار في حرية مطلقة بعيدا عن سلطان الكهنة أو سيطرة الحكام . وكل ذلك ينمى الخطابة التي اشتهر بها العرب .

يقول الجاحظ عنها : "وجملة القول أنا لا نعرف الخطب إلا للعرب"[١] ومراده أن العرب أجادوا بفطرتهم هذه الصناعة . وسبقوا غيرهم إلى كثير من أنواعها .

واستمر العرب هكذا حتى جاءهم الإسلام ، وآمنوا به دينا قويما . ومع إيمانهم هذا علموا أن عليهم واجب تبليغه إلى العالم كله ، فقاموا بالواجب بكل ما أمكنهم من وسائل ، وهنا ساعدتهم موهبتهم الخطابية على أداء هذا الواجب.

---

(١) البيان والتبيين جـ٣ صـ٢٧ .

لقد كان العربى يخاطب الملوك والقواد شارحا لهم دينه ، طالبا منهم أن يدخلوا فيه . وقد ازدهرت الخطابة لديهم خاصة بعد استقامتهم مع القرآن الكريم والسنة النبوية وقد استفادوا كثيرا بهما وظهرت هذه الفوائد في أساليب الخطابة ومعانيها وأغراضها .

أما استفادتهم في الأساليب فقد تهذبت ألفاظهم ، وترقت أساليبهم ، وهجروا كثيرا من الألفاظ المعيبة ، واستبدلوها بألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية ، وعدلوا عن الأساليب القديمة إلى الأساليب السهلة الممتنعة ، كما أدى ذلك إلى توسيع معانى بعض الألفاظ . واشتقاق بعضها من بعض ، وقد كثرت محاكاة الخطباء لعبارات القرآن الكريم والسنة النبوية واستشهدوا بهما واقتبسوا من نصوصهما وامتثلوا كثيرا من بيانهما .

وأما أستفادتهم في المعانى ، فلقد شاعت الدقة والعمق والسمو في معانى الخطابة واستعملوا المعانى الإسلامية بدلا من المعانى القديمة ، والتزموا الصدق والأخلاق في خطبهم وكانوا دعاة الخير دائما .

وأما استفادتهم في الأغراض فقد هجروا الأغراض الجاهلية كالمنافرة والهجاء والعصبية . ودعوا إلى المحبة والعفة والمساواة ، ودارت خطبهم على الأغراض النبيلة كالدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والحث على الإيمان ، والجهاد في سبيل الله ، وتحصين الجوارح والأرواح ، والتمسك بتعاليم الله تعالى ، ومداومة النصح والتوجيه .

وقد استمر العرب ينمون خطبهم ملتزمين بروح الدين . حتى جاءت الدولة الأموية ، وظهرت العصبية من جديد ، ووجدت الفرق من شيعة ، وخوارج ، ومرجئة ، وأمويين . واستتبع ذلك كثرة الفتن . في العراق ، وفى الأمصار الأخرى ، فأدى كل هذا إلى اهتمام العرب بفن الجدل ، حيث حاول كل فريق أن ينتصر لرأيه وجماعته ، مما أدى إلى نمو الخطابة ، وتنوعها

وازدهارها ، مع عدم خروجها عن صورتها الإسلامية ، لأن كل خطيب كان يعتز بنسبته الإسلامية ، وقوميته الدينية ، لقرب عهدهم برسول الله ﷺ .

ولم تكن الخطابة في ذلك العصر وقفا على طائفة خاصة ، بل كان من المتكلمين والمحدثين والمفسرين خطباء كالحسن البصرى وواصل بين عطاء ، واشتهر لكل فريق خطباء وشعراء وعلماء .

وقد ظهر في العصر الأموى اللحن على بعض الألسنة لاتساع الدولة ، واختلاط المسلمين بغيرهم ، كما ظهر في لسان عبيد الله بن زياد ويوسف بن خالد وزيادة النبطى[١] .

وذلك ليس أمرا عاديا ، لأن عهد العرب بجاهليتهم قريب ، والنصوص الدينية فيهم عربية اللفظ والمضمون ، ولذلك كان اللحن نادرا .

وفى العصر العباسى : كثرت العلوم الفلسفية في بلاد العرب ، بعد ترجمة العلوم إلى العربية ، ووجد فن الكتابة ، وفن المقال ، مما أدى إلى ركود الخطابة ، وضعفها ، إلا أن الخطابة الدينية استمرت في قوتها ، وأخذت دورها في الوعظ والإرشاد ، وكان القراء يقومون بالقراءة في المساجد ، ويخطبون الناس في سكون ووقار .

وقد استفادت الخطابة العربية بصورة عامة من المؤلفات التي كتبت أو ترجمت في علم الخطابة ، حيث ترجم ابن سينا وابن رشد كتاب الخطابة لأرسطو ، وألف الأب لويس شيخو كتاب "الخطابة" وظهرت مؤلفات عديدة للخطابة أدت إلى ازدهارها ، ونموها ، وتنوعها ، وحافظت على قواعدها وأركانها .

ومازالت الخطابة تنمو ، ولسوف تظل تنمو مع تطور الأجيال وتقدم الأمم شأنها شأن سائر العلوم لتؤثر في المستمعين وتحملهم على الخير .

---

(١) البيان والتبيين جـ٢ صـ٣ .

ويمكننا أن نقسم المؤلفات الحديثة في الخطابة إلى نوعين رئيسيين :

الأول : المؤلفات التي تتناول أصول الفن وقواعده وأركانه وتاريخه ، وهى مؤلفات نادرة وقليلة ، ومتأثرة بغموض الفلسفة الإغريقية التي أخذت منها مصادرها الأولى ، وأرى أنها في حاجة ماسة إلى الاستفادة من الدراسات الإنسانية الحديثة فهناك علم الاتصال الذي وضع للإعلام نظرية يمكن الاستفادة منها في توضيح قواعد علم الخطابة ، وطرق الإعداد والتهيئة ، والاستعانة بما وضعه الإعلاميون للتأثير الصوتى ، والحركى ، والفنى ... وهكذا .

كما يحتاج علم الخطابة إلى وضع ضوابط لمعرفة آراء الجمهور والمستمعين ، فبرغم أن اتصال الخطيب بالناس اتصالا مباشرا إلا أنه لا يمكنه معرفة رأى المستمعين ، ومدى تأثرهم بقوله ، ومقدار طاعتهم لما أشار عليهم به ، ولذلك كانت معرفة رد الفعل ، ومعرفة الأثر بالطرق التي وضعها الإعلاميون أمر هام للخطيب ...

وهكذا يمكن الاستفادة بالعلوم الحديثة لإثراء الخطبة ، واجادة الخطيب .

الثانى: المؤلفات التي تدون نصوص الخطب في المواضيع والمناسبات المختلفة وهذا النوع قد يحلل عناصر بعض الخطب ، وقد يكتفى بإيراد شواهد الخطبة فقط ، وهذا النوع من المؤلفات الخطابية يرجع إليها الدعاة كثيرا .

وانى هنا أنصح بعدم الاعتماد الكلى على هذه المؤلفات لأنها وان كانت تهتم بمناسبة متكررة إلا أن الجمهور بنفسياته وعقلياته لا يتكرر ، ولذلك وجب على الخطيب أن يجعل هذه الخطب مرجعا يضيف إليه من ثقافته وتجاربه .

ويا ليت الخطيب يتعلم فن الكتابة فيكتب خطبته كاملة ويضع العناوين لعناصرها ، ويدون في نهايتها الملاحظات الايجابية والسلبية التي توصل إليها بعد إلقائها ... إن ذلك نوع من النقد الذاتى البناء الذي يفيد في حالات كثيرة .

الباب الأول

قواعد علم الخطابة

(٥٩)

قواعد علم الخطابة

تمهيد :

علم الخطابة له موضوعه الذي يتخذه مجالا للدراسة والبحث ، وله هدفه الذي يعمل لتحقيقه والوصول إليه .

وفى العصر الحديث لم يعد الأمر قابلا للصدفة والتلقائية بالنسبة للخطابة لما لها من أهمية في حركة المجتمع والناس .

إن العالم ملئ بالمساجد التي تحتاج لخطباء علماء يجيدون فن التأثير ، ويجمعون الإيمان والعلم ، وحب العمل لنشر الإسلام ، وتبليغ دين الله تعالى ، ويجيدون الإقناع والخطاب .

إن التجمعات البشرية فى المصانع ، والجيش ، والجامعات ، ومختلف الجمعيات، وسائر التوجيهات تحتاج للخطباء المجيدين لتحقيق غاياتهم ومآربهم.

وقد اهتمت جامعه الأزهر بإنشاء كلية الدعوة الإسلامية ، وأقسام الدعوة في الكليات الأخرى لتتحرك الدعوة إلى الناس بمنهجية عالمة ، وقواعد ثابتة وبذلك يخدم العلم العمل ، ويساعد الفكر التطبيق والأمل .

وفى هذا الباب سيكون الحديث عن قواعد العلم وأساسياته .

إن الخطابة في جملتها أقوال هادفة رتبت وفق منهج علمى معين ، يتحدث بها شخص عالم بما يقول ، ويوجهها لجمهور من الناس ، بهدف التأثير فيهم واقناعهم بما يراد منهم ...

وعلى هذا فالأقوال هي الخطبة .

والقائل هو الخطيب .

والجمهور هم المستمعون وتلك هي قواعد علم الخطابة الرئيسية ... يقول ابن رشد : " إن الكلام مركب من ثلاثة جوانب .

من قائل وهو **الخطيب** .

ومن مقول فيه وهو الذي يعمل **القول فيه** وهو **الخطبة** في حد ذاتها .

ومن الذين يوجه القول إليهم **وهم المستمعون**[١] فأكد بذلك أركان علم الخطابة وقواعده .

إن علم الخطابة يتناول كل ركن من هذه الأركان الثلاثة . فيعرف به ، ويقسمه أقساما معينة من أجل تفهمه ، ودراسة أبعاده المتعددة وفق المنهج العلمى . وبعد ذلك تكون دراسة قواعد العلم وقوانينه بينه واضحة ، أمام الخطباء وكل من يتصدى لهذه العملية التوجيهية الهامة .

إن علم الخطابة يتصل بسائر العلوم كما ذكرنا ، يفيدها . ويستفيد منها في إطاره الموضوعى . وواجب على المشتغلين به أن يوجهوه إلى النافع المفيد ، ويبتعدوا به عن الأغراض السيئة المرذولة حتى يتضح للعلماء ولغيرهم الوجه الحقيقى لهذا العلم ، فما وضعه واضعوه إلا لخدمة الإنسان والترقى به فى حياته الخاصة والعامة .

وستتحدد دراستى لهذا العلم في أركانه للثلاثة المذكورة . في فصول ثلاثة حيث يرد كل ركن في فصل خاص وذلك على النحو التالى :

- **الفصل الأول** : في الخطبة .
- **الفصل الثانى** : في الخطيب .
- **الفصل الثالث** : في المستمعين .

والله الموفق ،،،

---

(١) تلخيص الخطابة جـ٢٨ ، الخطابة لأرسطو صـ١٦ .

الفصل الأول

الخـطـبـة

تمهيد :

الخطبة بصورة عامة ليست أمرا سهلا ، ولا تكون حسنة ونافعة إلا بالجهد والدراسة والتعب .

إنها تخاطب عقولا فاهمة ، ومتنوعة ... وتحاول أن تقنع الوجدان ، وترضى الأرواح ، ولذلك لابد لها من التركيز على عناصر معينة لتكون مقبولة ومفيدة .

إن الخطيب حين يقصد الخطابة لابد له أن يعرف الموضوع الذي سيتكلم فيه بشرط أن يكون المستمع في حاجة إليه ، وأن يقسمه تقسيما علميا عقليا حتى يستكمل كافة عناصره .

وأن يرجع إلى المراجع والمصادر المتعلقة بالموضوع ليستخرج منها ما يحتاج إليه في موضوعه ، وفق العناصر التي حددها ، وأن يتحلى بأسلوب ملائم للمناسبة ، أخاذا للعقول ، مبينا للمراد بوضوح ، لأن من المعلوم أن البيان البليغ من الحكمة ، وأن الإنسان مولع بتتبع الجمال في كل مواطنه ، وبخاصة مع اللفظ والعبارة ... وعلى الخطبة أن تكون مرتبة منسقة ، وأن تكون في جملتها متلائمة مع الظروف والمناسبة التي ستلقى فيها .

وذلك كله يحتاج إلى دراسة الخطبة من جوانبها المتعددة ، وأهم الجوانب التي سندرسها حول الخطبة تشمل المباحث التالية :

- **المبحث الأول** : إعداد الخطبة .
- **المبحث الثانى** : محتويات الخطبة .
- **المبحث الثالث** : أنواع الخطبة عند أرسطو .
- **المبحث الرابع** : الأنواع الحديثة للخطبة .
- **المبحث الخامس** : بين الخطبة وأشباهها من فنون القول .

وستأتى الدراسة مفصلة بنفس الترتيب فيما يلي :

المبحث الأول
إعـداد الخطـبة

الأمر العظيم يحتاج إلى تخطيط واعداد ، حتى يكون على قدر المقام الذي وضع له ، ألا ترى رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يستعدون لدورهم بكل ما أوتوا من قوة . فهذا سيدنا موسى عليه السلام حينما قال الله : ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ ﴿ قَالَ ﴾ موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ﴾ [1] فنجده عليه السلام يطلب من ربه أنه يلهمه الاستعداد لدوره بعد فهمه له ، وتخطيطه لما يحتاجه هذا الدور.

فبرغم أن الله سبحانه وتعالى أمده في بداية التكليف بمعجزات العصا واليد من أجل أن يصهره ويحوله إلى عبد متوكل ، موقن بنصر الله . رغم تحقق ذلك له نجده عليه السلام يطلب من ربه إعدادا خاصا قبل لقاء فرعون ، لأنه يطلب من الله أن يشرح له صدره ، وأن يسهل له أمره . ليقبل على البلاغ وهو منبسط النفس ، مستسهل تنفيذ الأمر . ونجده أيضا يطلب أن يحل الله عقدة لسانه لئلا يقع منه خلل البته في رسالته ، ويطلب كذلك أن يشركه هارون عليه السلام في التبليغ ليشد أزره ، وقد استجاب الله له كل ما طلب .

وهذا رسولنا **ص** يدرك خطورة دوره فيبذل الجهد في المحافظة على وحى الله إليه ، ويحاول أن يصونه بكل الوسائل الممكنة وهو ينزل إليه فقال الله له : ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[2] .

---

(١) سورة طه ، الآيات ٢٤ . ٣٠ .

(٢) سورة القيامة ، الآيات ١٦ . ١٩ .

والخطبة من المسائل الصعبة الخطيرة ، يستشعر ذلك كل من مارسها عمليا ، وواجه جمهورا من الناس في يوم ما . يقول عمر بن الخطاب ﷺ : "**ما يتصعدنى كلام كما يتصعدنى خطبة النكاح**"[١] .

وقيل لعبد الملك بن مروان : **عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين** .

فقال : **كيف لا يعجل على . وأنا أعرض عقلى على الناس في كل جمعه مرة أو مرتين**[٢] . ولصعوبة الخطبة وجب الإعداد لها .

والإعداد هو التهيئة والتحضير ولا بد منه للخطبة ليبرز المعنى في ثوب قشيب مؤثر . يقول الجاحظ : "**إن المعنى إذا اكتسى لفظا حسنا . وأعاره البليغ مخرجا سهلا . ومنحه المتكلم قولا متعشقا صار في قلبك أحلى . ولصدرك أملأ . والمعانى إذا كسيت حسن الألفاظ الكريمة . وألبست الأوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقادير صورها . وأربت على حقائق أقدارها بقدر ما زينت . وعلى حسب ما زخرفت . فاذكر هذا الباب ولا تفرط فيه**"[٣] .

واعداد الفكرة والمعنى واظهارها بصورتها اللائقة يمر بمراحل متعددة لأن تخير الموضوع وتحديده في العقل والرضى به يمثل **مرحلة** .

كما أن تحليل الموضوع لعناصره الأساسية واختيار أدلته وتنسيقها يمثل **مرحلة ثانية** .

وأيضا فإن صياغة المعانى والأدلة في قالب بيانى فصيح ، وأسلوب بليغ يتناسب مع المستمعين يمثل **مرحلة ثالثة** .

يقول ابن المعتز : "**إن البلاغة بثلاثة أمور . أن تغوص لحظة القلب في أعماق الفكر ، وتتأمل لوجوه العواقب . وتجمع بين ما غاب وما حضر** .

---

(١) البيان والتبيين جـ١ صـ١٠١ .

(٢) الخطابة للخومى صـ٢٣ .

(٣) البيان والتبيين جـ١ صـ١١٧ .

ثم يعود القلب على ما أعمل الفكر . فيحكم سياق المعانى والأدلة . ويحسن تنفيذها . ثم تبديه بألفاظ رشيقة مع تزيين معارضها واستعمال محاسنها"[١] .

إن غوص العقل في البحث والنظر يوصل إلى تحقيق المرحلة الأولى كما أن إحكام السياق يمثل المرحلة الثانية واختيار الألفاظ الرشيقة يمثل المرحلة الثالثة .

يقول الشيخ علي محفوظ : "من أراد العظة البليغة" والقولة المؤثرة فليعمد إلى المنكرات الفاشية . ولاسيما ما كان منها قريب العهد ،وحديثه على ألسنة الناس ثم يقدم أكبرها وأخطرها فيجعله محور خطابته ،وموضع عظته ، ثم يفكر فيما ينشأ عن هذا الحادث من آثار يحصيها . ثم يستحضر الأدلة من الآيات والأحاديث والآثار . ثم يأخذ في كتابة الموضوع بعد ذلك إن شاء[٢] .

فنجد أن من قال في البلاغة ، ومن قال في الخطابة يقسمون الإعداد للخطبة إلى مراحل أربع :

- **المرحلة الأولى :** تعرف بمرحلة اختيار موضوع الخطبة .
- **والمرحلة الثانية :** تعرف بمرحلة تحديد عناصر الخطب .
- **والمرحلة الثالثة :** تعرف بمرحلة اختيار الأدلة والنصوص .
- **والمرحلة الرابعة :** تعرف بمرحلة التعبير البيانى والتركيب البلاغى .

وبعد هذه المراحل تستقيم الخطبة ، وينجح الخطيب .

---

(١) البيان والتبيين جـ١ صـ١٣٥

(٢) هداية المرشدين صـ١٣٧ .

المرحلة الأولى
اختيار موضوع الخطبة

حينما يحتاج أمر ما إلى إلقاء خطبة ، فإن على الخطيب أن يبحث أولا عن الموضوع الذي يناسب هذا الأمر ، ويتفق مع رغبات المستمعين ، ذلك أن الموضوعات كثيرة . ومناسباتها عديدة ، فما يناب التهنئة لا يناسب العزاء وما يقال في الصلح غير ما يقال في الجهاد ، وخطبة الأعياد والمناسبات الدينية غير ما في الأيام العديدة سواها ، والخطبة في جمهور العلماء تختلف عن الخطبة في العامة ، وهى في الحضر تختلف عن الريف والبادية ، والمناسبة ، ودائما تتأثر الخطبة بالبيئة ، والثقافات وطبيعة الجماعة .

وأيضا فإن الموضوع الواحد قد يلقى بأوجه متنوعة ، وما يثير اليوم قد لا يثير غدا تبعا لتغير الموقف والحال ، وهناك من يناسبه الإيجاز ومن لا يفيده الإطناب .

ثم إن الناس يتأثرون بفكرهم ودينهم ، ولا بد أن تتناسب الخطبة معهم وقد تحدث أحداث فى وقت ما تشد الانتباه ، ولذلك يحتاج الناس إلى من يساعدهم فى هذا الحالة ، ويحدد المنهج الذى يرضاه الإسلام[١] .

ومن هنا كانت أهمية اختيار موضوع الخطبة . وتحديده وفق اعتبارات موضوعية معينة ، واختيار الموضوع هو المرحلة الأولى في الإعداد ، وحتى يكون إيجاد الموضوع في إطاره العلمى وجب أن ينبنى على الاعتبارات التالية :

---

(١) مثال هذا الأحداث التى يسئ بعض الناس من المسلمين وغير المسلمين إلى رمز أو قيمة إسلامية في هذه الحالات تهيج المشاعر، وتتألم النفوس ، ويحتاج الناس في هذا الحال إلى من يقودهم إلى الطريق الصحيح الذى يرد الإساءة ولا يضر أحدا من الناس .

(أ) نفسية المخاطبين :

يتأثر الإنسان بعدد من المؤثرات بعضها فطرى . والآخر مكتسب ، وبعضها نابع من الواقع أو آت إليها من خارجها ، ولا ينجو إنسان ما من هذه العوامل التى تؤثر فى نفسه وعقله وشعوره ، فهى تلازمه ، وتعيش معه ، وتدفعه إلى سلوك معين . وتجذبه نحو غاية خاصة ، بل إنها تساعده على التعامل مع كافة المواقف النفسية والاجتماعية ، وتعينه على بلوغ أهدافه ، وتمكنه من الدفاع عن فكرته ، ورد انتقادات الناس الموجهة إليه .

والاتجاهات الفردية صورة لاتجاهات الجماعة بشكل عام . وكلاهما إما أصلى أو طارئ[١] .

والخطيب يمكنه معرفة اتجاه الأفراد والجماعات إذا لاحظ العوامل التي تحدث الاتجاهات العامة ، وتؤثر في نفس الأفراد . وتنميها .

وقد أشار علماء النفس الاجتماعى إلى انحصار هذه العوامل في البيئة والوراثة . وامكانية الشخص ذاته . لأن البيئة تعطى للناشئة تقاليدها وعاداتها فأبناء التجار يأخذون طبع آبائهم . وأبناء العلماء يتجهون نحو البحث والمعرفة ، وأبناء العمال والمزارعين يتقنون ما رأوا آباءهم يعملونه ، وفى المواقف السياسية ، وفى الأحداث الطارئة يجد الإنسان نفسه منفعلا بها مشتركا فى أحداثها . وعن طريق الوراثة يرث الابن الخلق ، والطبع ، وصورة السلوك . وتقوم الثقافة الشخصية للإنسان بتوجيهه ، لأنه يفهمها ، ويعمل بها عن اقتناع ورضى .

ومن المؤكد أن هذه العوامل تساعد أيضا في ذيوع الاتجاهات الطارئة وتوصيلها للغير ، وتؤثر فى الاتجاهات الثابتة فى النفس .

---

(١) المقصود بالاتجاهات الأصيلة تلك المؤثرات الثابتة مع الإنسان منذ مولده بسبب الوراثة ، والمقصود بالاتجاهات الطارئة تلك المؤثرات التي تأتى وتذهب تبعا للمواقف والأحداث البيئية .

وملاحظة الاتجاهات الفردية والجماعية يمكن الخطيب من التركيز على القضايا المؤثرة في المستمعين ، وعدم التصادم المباشر مع الاتجاهات السائدة ، ومناقشة الاتجاهات بمنهج لين رقيق بصورة عامة ، ومن هنا تأتى أهمية اختيار موضوع الخطبة ليكون متفقا مع نفسية المستمع .

ومن هنا يختلف الموضوع في القرية عنه فى المدينة ، والخطبة للعمال تغاير الخطبة للمثقفين ، كما أن ملاحظة هذا الجانب النفسى يؤدى إلى اختيار الطريقة الصحيحة للموضوع ، وتقديمه بطريقة معينة ، لأن الطريقة التي تقدم بها المعلومات إلى الأفراد ذات أثر بالغ في التأثير وتعديل الاتجاه .

ومن التجارب الطريقة فى هذا الباب أن "**هو فلاند**" قدم لمجموعة من طلاب الجامعات في أمريكا عددا من قصاصات الصحف . وقال لنصف الطلبة : إن أمريكيين هم الذين كتبوا ما في هذه القصاصات . وقال للنصف الآخر : إن القصاصات هي أجزاء من جريدة "البرافدا" الروسية وبأقلام روس .

ولاحظ أخيرا أن طلاب النصف الأول وافقوا على ما جاء في القصاصات . وطلاب النصف الآخر وقفوا ضده[١] .

والسبب في هذا التغاير أن الاتجاهات النفسية الفردية لها أثر قوى في الاستفادة مما يسمع أو يقرأ ، ولو تصورنا خطيبا يخطب الطلبه في وسائل النجاح . وطريقة الامتحان ، فإنه يلقى ترحيبا ، وقبولا لأنه خاطب الطلبة فيما يشغلهم نفسيا ، ولو خطب الناس عن حب رسول الله ﷺ فى مواسم الطاعات للقى قبولا أكبر .

ولو تصورنا خطيبا آخر يخطب أهل المدينة بطريقة مقاومة الآفات الزراعية فإنه يقابل بالظن والنفور .

---

(١) علم النفس الاجتماعى صـ٨ .

إن الخطيب الأول ينجح في عرضه لأنه لامس حاجة الجمهور وركز على اتجاهاتهم ، والخطيب الثانى لا ينجح في شأن لأنه في جانب والمستمعون في جانب آخر بعيد عنه .

ويمكن للخطيب أن يعرف الاتجاهات النفسية للجمهور بواسطة اختلاطه بالناس ، وسعة قراءاته ، وسؤاله المختصين العاملين مع الجماعة كالاخصائى الاجتماعى ، والمرشد الدينى ، ومهندس الزراعة وغيرهم ... ويمكن للدعاة فى كل إقليم أن يجتمعوا بصورة دورية لبحث الاتجاهات الموجودة ، واختيار الخطب ، والعناصر والأدلة المناسبة .

(ب) عقلية المخاطبين :

الإنسان مخلوق عاقل ، وعلى قدر تعقله يكون ونشاطه مع الناس ، والبشر ليسوا على عقل واحد ، فمنهم العبقرى النابه الذي يفهم بالإشارة ويدرك باللمحة ، ويعيش قضايا مجتمعه بفكر راق ، ولب حكيم ...

ومنهم متوسطو الثقافة ، متوسطو الإدراك ، يفهمون ماديات الحياة ، وتعجز عقولهم عن التجريد ، والتخيل ...

ومنهم قوم هم أشبه بالسوفسطائيين الإغريق ، يحبون الجدل ، ويميلون إلى المعارضة . واستمرار الحوار والنقاش مع الناس .

ومن هنا وجب على الخطيب أن يدرك المستوى العقلى والفكرى للمجتمع الذي سيخاطبه ليتمكن من إفادته .

وادراك المستوى العقلى للمخاطبين أيسر من الوقوف على نفسياتهم لأن ظهور العقل أثناء الفكر والحديث أمر ممكن ، وأيضا فإن الوقوف على عدد المثقفين ، ومعرفة تخصصاتهم ، والإحاطة بنشاطهم في المجتمع أمر ليس خافيا على من يريد الوقوف عليه .

وعلى ضوء المستوى العقلى للمخاطبين يمكن اختيار الموضوع وتحديد عناصره ، وصياغة أسلوبه حتى لا يبعد عن الناس ، ولا يعلو على فمهم ، ولا يسفل فينصرف المستمعون .

وقد تحدث العلماء عن تنوع المستوى العقلى للناس .

يقول الألوسى : **إن الناس ذو عقليات ثلاثة :**

فطائفة : منهم أصحاب نفوس مشرقة . قوية الاستعداد لإدراك المعانى قوية الانجذاب نحو المبادئ العالية . مائلة إلى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه ، وهؤلاء هم أصحاب العقل الراقى في الناس ولابد لهؤلاء من موضوعات تناسب دقتهم وفكرهم .

وطائفة ثانية : هي عوام الناس الذين يملكون نفوسا كدرة ، ضعيفة الاستعداد للمعانى ، شديدة الإلف بالمحسوسات ، قوية التعلق بالرسوم والعادات ، قاصرة عن درجة البرهان ، وهؤلاء قوم يستثارون بسهولة ، ولا عناد عندهم وهؤلاء يناسبهم الموضوع البسيط الملائم لبساطتهم ، الخالى من الإغراب والتفلسف .

وطائفة ثالثة : معاندة مجادلة بالباطل ، تقصد دحض الحق لما غلب عليها من تقليد الأسلاف ، ورسخ فيها من العقائد الباطلة[١] وهؤلاء يناسبهم الموضوع الذي يجادلون فيه على أن يكون في شكل استفهام واستفسار .

ويقول ابن رشد : "والناس على ثلاثة أصناف ، صنف ليس هو أهل التأويل وهم الخطابيون الذين هم الجمهور الغالب ، وذلك أنه ليس يوجد أحد سليم العقل يعرى عن هذا النوع من التصديق ، وصنف هو من أهل التأويل

---

(١) تفسير الألوسى جـ١٤ صـ٢٥٤ .

الجدلى وهم الجدليون بالطبع أو بالطبع والعادة ، وصنف هو من أهل التأويل اليقينى ، وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والصناعة"[١] .

وقد ارتضى الإمام فخر الدين الرازى في تفسيره هذا التقسيم ، وذكر أن البشر بالنسبة لكمال الطبع طرفان وواسطة .

فالطائفة الأولى التي تتجه إليها الحكمة هي طرف الكمال والسبق ، وهى التي تتميز باللب والعقل ، والعبقرية والفهم .

والطائفة الثانية صاحبة الموعظة وهى متوسطة العقل والفهم ، يثيرها الجديد ، ويحركها الانفعال والعاطفة وهى الواسطة[٢] .

والطائفة الثالثة هي المجادلة وهى التي تدوم مع الحوار والنقاش وهى طرف النقصان .

إن الوقوف على المستوى العقلى يساعد على اختيار الموضوع ، وعلى تحديد العناصر ، ووضع الأساليب المختلفة .

إن الدليل في الخطبة يجب أن يتفق مع عقلية المستمعين ، كما أن تسلسل العناصر يحتاج إلى عقل معين لمتابعته .

إن الرجل الأمى لا يمكنه أن يجمع في ذهنه الكليات المركبة ؛ والدليل معه يجب أن يكون مبسطا ، والتعاريف إليه لابد أن تكون بالعرض المحسوس ، والتشبيهات ، والأمثال يجب أن تكون من واقع بيئته ، وهذا بخلاف الرجل المثقف ، لأن متابعة التسلسل سهل لديه ، والغوص في المعانى دأبه وديدنه ، وكثيرا ما يسعد بأسلوب يحلق به في عالم الجمال ، ويقرب له المحسوس بالمعنوى ، ويملأ بيانه بالمجازات المختلفة ، والاستعارات الكثيرة .

وعلى الجملة فإن الإحاطة بعقلية الأفراد تسهل للخطيب النجاح .

---

(١) فصل المقال صـ٣٠ .

(٢) مفاتيح الغيب جـ٥ صـ ٥٣٦.

(ج) معرفة المناسبة :

التناسب بين الشيئين أساس لتآلفهما ، وعناصر المادة لا تتآلف إلا بهذا التناسب ، وكذلك "**الأرواح جنود مجنده فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**"(١) .

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل القرآن الكريم متناسبا في آيه وسوره ومناسبا لواقع الناس ، ومصالحهم ، فخلد بذلك في النفوس والعقول ، ولقد كان العربى يستمع إلى القرآن الكريم فيأخذه بيانه الساحر ، وتناسبه العجيب ، ويناديه القرآن آمرا أو ناهيا فلا يسعه بسبب ما فيه من دقة إلا أن يستجيب ، ولقد وصفه الوليد بن المغيرة فقال : "**إن له حلاوة ، وان لطلاوة وأن أعلاه لمثمر ، وأن أسفله لمغدق**"(٢) والوليد هذا من العرب الخلص الذين تميزوا بالحكمة وبرعوا في الفهم فكان قوله هذا دليلا على ما في القرآن من مزايا ، ومنها التناسب .

لذا نطابق الصواب حين نلزم الخطيب بأن يتناسب مع الناس ، ولعل أوضح التناسب أن يعيش مناسباتهم على اختلافهم .

والمناسبات كثيرة منها الوطنية . والقومية . والشخصية . والدينية . وتتغاير الخطب بقدر تغاير المناسبات .

إن خطبة العيد تغاير خطبة الجمعة ، وخطبة التهنئة تختلف عن خطبة العزاء . وواجب على الخطيب أن يحيط بسائر المناسبات حتى يعيش في واقع الناس وفكرهم بهذه الإحاطة .

والخطيب وهو يعيش المناسبة عليه أن يتخير معها موضوعا مرتبطا بهذه المناسبة ليقدم الحل الإسلامى لموضوعه الذي يعيش الناس فيه .

---

(١) صحيح البخارى . كتاب أحاديث الأنبياء . باب الأرواح جنود مجندة جـ٤ صـ١٣٣ .
(٢) سيرة النبي جـ١ صـ٤٦٥ .

ومن أمثله التألف المناسب بين الخطبة والواقع أن يقدم الخطيب للشباب عند الامتحان خطبا في (أهمية الأمانة) ، و (وضرورة مراقبة الله تعالى) ، و (واللجوء إلى الله للسداد والتوفيق) ، و (خطورة الغش) .

ومن أمثله ذلك في المناسبات الوطنية أن تكون الخطبة في "عوامل النصر" و "المحافظة على الحقوق" و "العودة إلى شريعة الله تعالى" .

وهكذا في سائر المناسبات ... وليس من الضرورى أن يغوص الخطيب في أعماق المناسبة ، وتحليلاتها ، وبيان أسرارها .

يقول ابن رشد : "من الضرورة أن يقف الخطيب على ما يحتاج أن يشير به في واحد من الأشياء التي يختارها ، وليس يحتاج عند الإشارة بالزيادة في النبات أن يكون فلاحا ، ولا في الحيوان أن يكون راعيا ، لكن يكفيه في ذلك معرفته بمقدار الحاجة إليها ، لكنه يحتاج مع هذا أن يكون عالما بالسير المتقدمة في هذه الأشياء . وما عند الناس فيها"[١] .

إن الجمهور حينما يجد قولا يتصل بيومه . وحياته . ينتبه إليه وان فاته منه شئ سأل عنه . إشباعا لنفسه التي أثارها هذا المقال .

وليس معنى مراعاة الخطيب لمناسبات الجمهور ألا يوجه لهم أمرا جديدا ، لا يأمرهم به ولا ينهاهم عنه ، وانما الذي نقصده أن يكون مع الناس في مناسباتهم . ويحول الأمر الجديد ببراعته إلى ما يريد . ولا يكون بعيدا عن الناس فيتخلف أو ينعزل .

ولقد كانت خطابة النبى ﷺ مثالا لهذا التناسب الذي نتمناه . يصفها الرافعى فيقول : "إن خرجت قلت : أنين من فؤاد مقروح ، وان راعت بالحكمة قلت : صورة بشرية من الروح ، في منزع يلين فينفر بالدموع . ويشتد فينزو

---

(١) تلخيص الخطابة صـ٣٦ .

بالدماء[١] ولا غرابة في هذا لأن النبى ﷺ صناعة إلهية من أجل الناس وقد أدبه الله تعالى فأحسن التأديب" .

ونحن لا نطالب الخطيب أن يكون على هذا المستوى المعجز ، ولكنا نطالبه أن يسير على الدرب العام المرسوم ، خاصة بعد أن بين العلم الطريق وطالب بضرورة مراعاة المناسبة والتوافق بين المقال والناس .

إن الإحاطة بالاتجاهات النفسية ، ومعرفة عقلية الجماهير ، والوقوف على المناسبات المختلفة يمكن الخطيب من اختيار الموضوع المثير . وانتقاء الدليل المناسب ، ومراعاة مقتضى الحال .

وكثير من الخطباء يغفل عن تخير الموضوع المناسب للواقع الذي يوجد فيه ، ويتصور أن أى موضوع كاف ... وهذا أمر غير صحيح ، ولا يفيد الخطيب في شئ ، لأنه يؤدى إلى انصراف الناس ، وعدم اهتمامهم بالموضوع المعروض .

ولا يمكن القول إن هناك من الموضوعات المناسبة قضايا لا يصح الخوض فيها ، وبخاصة وسط الخلافات المذهبية ، والانقسام السياسى .

لا يصح ذلك لأن الخطيب الناجح يمكنه الدخول في هذه الموضوعات ويناقشها من زاوية دينية خالصة ، يفيد بها الناس ، بعيدا عن محل التنازع والخلاف .

ومن المهم أن يفكر الخطيب فى اختيار موضوع خطبته مليا ، وأمامه أسبوع يتخير فيه ، ولا يصح منه إن يتخير موضوع الخطبة قبل إلقائها بوقت قصير ، أو اختيار الأدلة والبراهين قبل تحديد الموضوع .

---

(١) البلاغة النبوية صـ٣١١ .

المرحلة الثانية
إيجاد العناصر

إيجاد العناصر وتركيبها هو المرحلة الثانية في إعداد الخطبة ، ذلك أنه في المرحلة الأولى يحدد الموضوع . وبعد ذلك يحتاج إلى تحديد العناصر التى تندرج تحت هذا الموضوع .

والعناصر عديدة ، ولذا كانت أهمية تحديدها على ضوء من ستلقى فيهم الخطبة ، وقد سمى ابن سيناء هذه المرحلة بـ " العمود " لأنها الأساس المكين في الخطبة ، وعليها المعول الأكبر في الترتيب والتنسيق . وعلى الخطيب أن يحدد عناصر الخطبة ، ويميز كل عنصر على حدة ، ويجعل كل العناصر تدور حول موضوع واحد .

ويستحسن للخطيب أن يختار عناصره بعد تفكير عقلى ، ثم يوجز هذه العناصر في كلمات قصار ، لكى تدوم معه ويتذكرها ، ويتمكن بعد دوامها عند جمع الأدلة المناسبة لكل عنصر .

ومما يعين في **تعيين العناصر** القراءة في المراجع العلمية . والتفحص العقلى للموضوع ، ووضوح الهدف من الخطبة كلها .

وتشمل العناصر في مجملها مع أى موضوع النقاط التالية :

(أ) إيراد مقدمة تعرف بعنوان الموضوع بطريقة يختارها الخطيب .

(ب) تقسيم الموضوع إلى عناصر مع ترتيب هذه العناصر ترتيبا يرضى به العقل العلمى ، والمنطق السليم ، ولا يشعر بها المستمع لقوة ترابطها وتماسكها .

(ج) ترتيب جزئيات العنصر الواحد .

(د) وضع العناصر بجزئياتها فى إطار متكامل مترابط .

(هـ) الختام حيث الوصايا واظهار الهدف فى كلمات قصيرة .

ويجب أن تكون العناصر مترابطة سلسلة بحيث يأخذ كل عنصر بحجز صاحبه بلا خلل . وغير بعيدة عن الموضوع ، وبخاصة أن الاستطراد غير مستحب في الخطبة . ومن أمثلة إيجاد العناصر في خطبة عنوانها "**الإيمان طريق السعادة**" ما يلي :

أولا : تحديد المقدمة للموضوع وفيها إشارة للموضوع بآية قرآنية ، أو حديث نبوى ، أو بسؤال ، أو بغير ذلك .

ثانيا : الدخول في تحديد العناصر وهى :

(أ) التعريف بالإيمان .

(ب) بيان أركان الإيمان .

(ج) طرق اكتساب الإيمان .

(د) الأثر الإيمانى في الفرد والجماعة .

(هـ) مناقشة الواقع وما عليه الناس إيمانيا .

(و) ضرورة تصحيح المسار الإيمانى لتحقيق السعادة .

ثالثا : الختام ويكون بذكر حديث أو قرآن ، أو بإشارة إلى الموضوع :

ومن أمثله العناصر في خطبة اجتماعية عنوانها "**أهمية التعاون في الإسلام**" ما يلي :

أولا : مقدمه تشير إلى الموضوع :

ثانيا : تحديد العناصر وهى :

- التعريف بالتعاون الخير ، وبيان الفرق بينه وبين غيره من صور التعاون الآثم .
- بيان تنوع التعاون بتنوع العمل .
- اهتمام الإسلام بنشر التعاون بين المسلمين .
- صور من التعاون الخير قديما وحديثا .

- فوائد التعاون .
- أضرار التفرق .

ثالثا : الختام ويشتمل على توصيات وتوجيهات :

وبالممارسة ، والدقة ، وتتبع قواعد العلم ، يسهل اختيار العناصر بشرط تماسكها ، وتناسقها .

ويمكن أن تختلف عناصر الموضوع الواحد بين شخص وغيره ، لأن لكل عقل مجاله ، ولكل خطيب توجهه ... وكل ما نرجوه هو التناسق والتكامل بين العناصر في كل خطبة على حدة .

ويمكن للعلماء والمشرفين على تعليم وتدريب الخطباء أن يعرضوا العديد من الموضوعات أمام طلاب الدعوة ، ويكلفوهم باستخراج عناصر كل موضوع ، ومناقشتهم بعد ذلك ، وبذلك يتقن الطلاب عملية استنباط العناصر من الموضوع .

وتحديد العناصر مسألة مهمة في الإعداد لأنها تمثل الهيكل العظمى للخطبة ، واذا لم تحدد سلفا يحدث خلل في البناء النهائى للخطبة .

وقد كان علماء الأزهر يعلمون الطلاب منهج تحديد عناصر موضوعات الإنشاء والكتابة ، ومراجعتهم فيها لتتكون عندهم ملكة اختيار العناصر التى يتضمنها موضوع الكتابة ، ويمكن للمشرفين على الدعاة أن يختاروا يوما فى كل أسبوع لمناقشة الدعاة فى اختيار الموضوع ، وتحديد عناصره ، فذلك أمر له أهميته ونتمناه .

المرحلة الثالثة
اختيار الأدلة

بعد الاستقرار على موضوع الخطبة ، وتقسيمها إلى عناصرها الأساسية يأتى دور البحث عن الأدلة والبراهين التي تعين الخطيب على بيان موضوعه . وافهام المستمعين ، وهذا يحتاج إلى تحديد نوعية المصادر التي تفيد كل موضوع ، فمثلا مصادر الخطبة الدينية أساسا هي الكتب المقدسة ، وما دار حولها من دراسات واجتهادات العلماء ، والخطبة السياسة تختلف مصادرها عن تلك . وهكذا ...

ويرى العلماء أن الأدلة منها ما يتصل بالموضوع اتصالا مباشرا ، ومنها ما يتصل بطريق عرضى غير مباشر .

وعلى من يتصدى للخطبة أن يختار الأدلة المباشرة مستفيدا بالحقائق التالية :

(١) أراء أهل التخصص :

للقلم رجاله ، وللسان أهله ، ولكل فن أصدقاؤه الذين تعلموه . وأتقنوه وتخصصوا فيه ، وحينما يحتاج إنسان إلى رأى ما فواجب عليه أن يسأل صاحبه الذي تخصص فيه . يقول الله تعالى : ﴿ **فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[١] ذلك أن أهل التخصص يجيدون الفتوى في موضوعهم ، ويعرفون طريق الصواب في الأمور التي يشيرون فيها ، وقد درج الناس جميعا منذ القديم على توجيه السؤال إلى من يعرف صوابه . أو من يظن فيه ذلك .

إن اشتمال الخطبة على أقوال أهل التخصص يقنع المخاطبين بسهولة ولذلك كانت أقوال الحكماء والأئمة مفيدة في بابها ، و أصبح الاستشهاد بأقوالهم أمرا ضروريا على الخطيب أن يستعين بها حتى يصل إلى غرضه .

---

(١) سورة النحل ، الآية ٤٣ .

(٢) مراعاة مواطن العقيدة :

التدين ميل فطرى في الإنسان . لأنه حاجة من حاجات نفسه ، ونزعة داخلية يثبتها العقل ولا يفسرها . ولا يقدم تحليلا لمكوناتها .

وأصحاب العقائد على اختلافهم يحاولون اكتساب هذا الميل في الإنسان إلى جانبهم ، حتى يطمئنوا إلى حقيقة الدوافع في الإنسان .

وقد أصبح هذا الميل في الإنسان ملازما لدين ما ، وخاصة عند العامة الذين تلقنوا هذه الملازمة بلا تفسير ، ونقلوها إلى ذويهم بلا تعليل . حتى أصبح من الأمور البدهية أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بلا دين ، ونقصد بالدين هنا المعتقد الذي يلمس شغاف القلب . ويكون سببا في دفع صاحبه إلى الحركة والعمل .

والدين بهذا المفهوم الواسع هو محرك الوجدان ، وموقظ الهمم ، وقد سمعنا عن أفراد وثنيين في أفريقيا يقتلون أنفسهم تنفيذا لأمر من الكهنة ، وهناك المذاهب التي تربى أتباعها على حرمان النفس وتعذيبها . لا لشئ إلا ليتعودوا الطاعة العمياء والخضوع الدائم لفكرة العقيدة .

والمسلمون الأول بسبب إيمانهم الخالص بدين الله ، وحبهم المطلق لرسول الله ﷺ كانوا يندفعون في الإتباع والتنفيذ لكل ما يسمعون . مضحين بالغالى والنفيس . ومن أجل هذا كان على من يتصدى لعملية التأثير أن يلاحظ موطن العقيدة في المستمعين فإن كانت العقيدة حقه استشهد بها في خطبة . ونقل من نصوصها في أدلته ، وأن كانت باطلة استغل ما فيها من حق ليبطل باطلها به ، وبذلك يحق الحق بلا تصادم أو صراع . ومثال ذلك ما علمه الله عز وجل لرسول الله ﷺ حيث قال تعالى ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا**

﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾[١] فهو يدعوكم إلى الأمور المسلمة لديهم ليثبت التوحيد ، ويحق الحق بعد ذلك انطلاقا من المسلمات المشتركة .

والخطباء المسلمون عليهم أن يهتموا بهذا الشأن في الدليل حتى يحققوا الإقناع واليقين . وعليهم أن يعرفوا أن القرآن الكريم والسنة النبوية يفيدان . أسلوبا وتأثيرا . لما لهما من إعجاز وبيان . ولكونهما مصدرين دينيين .

ومن هنا فإنا نهيب بالخطباء المسلمين أن يرجعوا إلى القرآن الكريم والى السنة النبوية وآثار السلف الصالح ليختاروا منها الأدلة والنصوص المناسبة للموضوع .

وقد عد الاستشهاد بالنصوص من المواضع العرضية لأنه ليس من الموضوع ذاته ، بل هو دليل عليه . يفيد اليقين والجزم ، لأنه من مسائل بالدين المقدسة التي تفيد الإقناع والتصديق .

(٣) العادات وآثار السلف :

يتصرف الناس وهم مرتبطون بعاداتهم و آثارهم وكثيرا ما نرى هذا الارتباط في قوة لها تأثير ساحر على كل جوانب الحياة .

يقول باسكال : "ماذا تكون مبادئنا الفطرية إذا لم تصدر عن العادة ، فالعادة هي طبيعة ثابتة تقوض أركان الفطرة ، ومنها نأخذ أشد أدلتنا قوة ، وأكثرها فيضا ، وهى التي تعين وجهة النفس دون أن يفكر الإنسان ، وبها يصبح الإنسان نصرانيا ، أو وثنيا ، أو محترفا ... الخ"[٢] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية 64 .

(٢) الخطابة صـ٤٠ .

ويقول جوستاف لوبون : "لو أن قدرة خارجة جعلت الإنسان يهرب من تأثير عاداته لأصاب الفالج حياته فجأة لأن العادة هي التي تملى علينا كل يوم ما يجب أن نقوله . وما يصح أن نغفله وما يحسن أن نفكر فيه"[١] .

ومثل العادات في قوة التأثير آثار السلف . ذلك أن الأحياء يتخذون أعمال سلفهم تكأة يعتمدون عليها، وينطلقون فيها ، كأنها وصية مقدسة واجبة الإتباع.

إن دعوة الرسل صادفت عنادا من المقلدين الذين تمسكوا بمواريث أجدادهم ، وكانوا دائما يقولون : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ** ﴾[٢] .

يقول جوستاف لوبون : "تقدم علم تركيب الأجسام . من يوم أن بين علم التكوين مقدار تأثير الماضى في تطور الكائنات ، وسيتقدم علم التاريخ أيضا حينما ينتشر هذا ، لأن الأمة جسم منظم أوجده الماضى . فهى ، لا تستطيع الانتقال من طور إلى طور إلا بتراكم آثار الوراثة فيها على مهل"[٣] .

وواجب على الخطباء أن يلاحظوا تأثير العادات والآثار القديمة وقت إعدادهم للخطبة حتى يتمكنوا من التأثير . وحمل الناس على ما يريدون .

وكثيرا ما تكون العادة عائقا في التقدم ، وهنا يحتاج الخطيب أن يتعامل معها برفق ، وينقدها بهدوء ويستمر في ذلك حتى يقلع الناس عنها ... وعليه أن يستبدل بها عادات جديدة تساعده فيما يريد .

---

(١) الخطابة صـ٤٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٧٠ .

(٣) الخطابة صـ٤٢ .

لقد جاء الإسلام إلى عادات العرب وحولها إلى عادات إسلامية مقبولة ولم يعمل على هدمها وبترها مباشرة لأن التصادم المباشر لا يحقق الغاية ويؤدى إلى عكس المقصود .

المرحلة الرابعة
التعبير الخطابى

تدور هذه المرحلة مع الخطبة قبيل ظهورها إلى الناس ، وتتصف بالأهمية والضرورة ، لأنها مرحلة تسم صاحبها بها ، وتعطى للمراحل السابقة نفس الجودة التي تظهر بها . فلو أجادت فهو أثر لجودة المراحل الثلاثة ، ولو ضعفت فلا جودة لشئ قبلها ، وأيضا فهى مرحلة خاصة بالخطبة لأن فن المقال والكتابة يعيش مرحلة التعبير في التركيب ، أما مرحلة التعبير مستقلة فهى خاصة بالخطبة حيث تقوم بصنع دور الملاءمة بين الخطبة . وبين موضوعها . ومقامها الذي ستلقى فيه ، وهذه الملائمة تفرض مغايرة بين التعبير الخطابى وبين غيره من فنون المقال . ولذلك اختصت الخطابة بهذه المرحلة .

والتعبير الخطابى يحتاج إلى جمال الأسلوب ، وموسيقى اللفظ، وينبنى على الفصاحة والبلاغة ، ويؤمن بالتكرار والتأكيد ، ويعتمد الاستشهاد المؤثر ويصاحب التمثيل الصوتى ، والتعبير الحركى ، وينادى بمراعاة حال المستمعين وأفهامهم . ومن هنا جاز للتعبير الخطابى أن يغاير سواه .

إن الكاتب قد يكرر ، ويعلل ، ويحلل ، أما الخطيب فإنه يقذف بكلماته فيتلقاها الجمع في سرعة لا يتيسر له مراجعتها أو التوقف لتفهمها ، لأنه مضطر إلى متابعة الخطيب وتلقف ما يقول ، كما أن الخطيب لا يمكنه أثناء الخطبة أن يراجع نفسه ، ولابد له من العودة إلى رأى المستمعين ليعرف مدى استفادتهم بالموضوع ، وبالقضايا والبراهين التى عرضها عليهم .

إن الاتصال المعاصر بالجماهير يعتمد على مقاييس الرأى العام للوقوف على مدى إفادته ، وجودة أدائه .

إننا فى هذا المؤلف نقدم وسائل نجاح الخطبة ، ونأمل من المسئولين متابعة الآثار والنتائج .

لابد للخطيب أن يكون مع الناس بأسلوبه المبسط ، ومعانيه السهلة ، واقناعه الملزم .

وقد وجه أرسطو في مؤلفه أربع نصائح للخطيب تتعلق بالأسلوب قال :

(١) أول ما يحتاج إليه الخطيب أن يتأدب بلسان القوم الذين هو خطيب بلسانهم ، ويعلم متى تكون مخاطبته في جميع أقاويله على أفضل ما جرت به عادة أهل ذلك اللسان .

(٢) وعليه أن يستعمل الأسماء الواضحة والاصطلاحات المفهومة بعيدا عن الأسماء العامة المبهمة ، والمصطلحات الغامضة .

(٣) وعليه أن يختار الأساليب ذات الدلالة الواحدة الواضحة حتى لا توهم الشئ وضده ، وتضلل السامع ، وتبعده عن فهم المراد .

(٤) وعليه أن يحافظ على قواعد اللغة وأصول الفصاحة والبلاغة ليخترق سمع وقلب المستمع بالألفاظ الدالة على مراده المذكر والمؤنث[١] .

وهذه النصائح لأرسطو لها أهميتها القصوى لأن الخطيب إذا تحدث بلغة غير لغة القوم لا يفيد شيئا ، ولا يسمع له أحد ، واذا خلا كلامه من الفصاحة والبلاغة والإعراب شعر مستمعوه بجهله ، وعجزه وحينئذ لا يفيد شيئا .

ويجب الاهتمام بالأسلوب كما يجب الاهتمام بالمعانى فهما معا موطن البلاغة والفصاحة .

---

(١) الخطابة ص١٠٥ .

ونلاحظ أن أرسطو يطلب الخطاب بلغة المستمعين السهلة الخالية من ألفاظ الشيوع والتناقض . وأن يكون الكلام على وفق القواعد النحوية والفصاحة والبلاغة وهو ما نوافق عليه .

وقد أثيرت في القديم والحديث قضية تدور حول الاهتمام بالأسلوب وحده ، أو بالمعنى وحده ، أو بهما معا . وقد دار الحوار حول أيهما البلاغة .

وقد انتصر للأسلوب بعض الأدباء منهم الجاحظ وأبو هلال العسكرى **يقول الجاحظ** : "والمعانى مطروحة يعرفها العجمى ، والعربى ، والبدوى ، والمدنى ، وانما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج"[١] .

ويقول أبو هلال العسكرى: "وليس الشأن في إيراد المعانى يعرفها العربى والعجمى والبدوى، وانما هو جودة اللفظ . وصفاؤه . وحسنه . ويهاؤه . ونزاهته . ونقاؤه. وكثرة طلائه. مع صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتآلف"[٢] إن البيان الخطابى يعتمد على الأسلوب ، وعلى المعانى ، ويحتاج إلى بلاغة اللفظة والجملة، والى دقة المعنى ووضوح الدلالة، ولا يغنى أحدهما عن الآخر .

يقول عبد القاهر : "إن اللفظ الجميل ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف ، والى ظاهر الوضع اللغوي ، بل أمر يقع من المرء في فؤاده ، وفضل يقتدحه العقل من زناده"[٣] .

ويقول فولتير : "الصورة والفكرة كالجسد والروح . وهما في رأيى شأن واحد ، وكلما كانت الفكرة جميلة كان التعبير عنها أجمل ، إن دقة الألفاظ من دقة المعانى ، أو هذه هي تلك"[١] .

---

(١) الحيوان جـ٣ صـ٤٠ .

(٢) كتاب الصناعتين صـ٨٧ .

(٣) أسرار البلاغة صـ٣ .

وفى رأيى إن هذا الاختلاف ظاهرى فقط ، لأن من قال: إن البلاغة في هى الألفاظ لم يهمل المعنى لأن للألفاظ دلالاتها ، وكل كلمة تدل على مرادها ... كما أن من قال بضرورة الاهتمام بالمعانى لم يهمل الألفاظ ، لأنه عبر عن توجهه بألفاظ بليغة جميلة .

ومن هذا كله نرى أن تحسين اللفظ يجب أن يكون بجوار تحسين المعنى وأنه لا غنى للخطيب عن المعنى المحكم ، لأنه عمود الكلام . والمقصد الأسمى ، ولا غنى له كذلك عن اللفظ الجميل لأنه بهاء القول وزينته غير أنه يجب أن يلاحظ أن يكون التحسين اللفظى والمعنوى طبيعيا بلا تكلف واضح أو صنعة ظاهرة لأن التكلف يفسد اللفظ ، ويضيع المعنى معه .

يقول قدامة بن جعفر : " ومن الأوصاف التي إذا كانت في الخطيب سمى سديدا . وكان العيب في خطبته بعيدا ، وهو أن يكون في جميع ألفاظه ومعانيه جاريا على سجيته ، غير مستكره لطبيعته ، وحسبك من ذم التكلف أن الله عز وجل أمر رسول الله **ص** بالتبرؤ منه . فقال تعالى : ﴿ **قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ** ﴾[٢]"[٣] .

ويقول ابن رشيق : "وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى ، وقد قال العلماء : اللفظ أغلى من المعنى ثمنا ، وأعظم قيمة ، وأعظم مطلبا"[٤] .

---

(١) فن الخطابة صـ١٨ .

(٢) سورة ص ، الآية ٨٦ .

(٣) الخطابة صـ١٣٧ .

(٤) العمدة جـ١ صـ٨٢ .

وممن انتصر للمعنى فقط أميل زولا . **حيث يقول** : "ليس مطلق الحق أن الكاتب يكفيه أن يعنى كل العناية بأسلوبه ليشق له في الأدب طريقا يبقى على الأبد ، إن الشكل عرضه للتغير والزوال بسرعة ، ولابد للعمل القولى قبل كل شئ أن يكون حيا بمعناه خاصة"(١) .

وهناك كتاب معاصرون ينادون بأسلوب التلغراف وهو الأسلوب الذي يهتم بالمعنى وحده ويورده في ألفاظ قليلة لا صلة لها بالفصاحة أو البلاغة .

والرأى الراجح الذي أميل إليه هو الاهتمام بهما معا لما لكل منهما من أثر وفائدة كما بينه هؤلاء في الجملة ، ومن المعلوم أن ضخامة المبنى دليل على ضخامة المعنى ، وأن الجمال في حقيقيته مظهر ومخبر فكم من فتاة جميلة نشأت في منبت السوء لا تستفيد بجمالها ، وكم من متوسطة الجمال حسن خلقها وطبعها فسبقت الكثير ... ولذلك حسن الجمع بين الخلق والجمال .

وحين نرجع إلى البلاغة نراها تهتم بالفصاحة ، والجمال في المجاز والتشبيه ، والبديع ، وفى نفس الوقت تهتم بالمعنى ، والدلالة ، والوضوح .

وحين نعود للقرآن الكريم نجد الإعجاز في اللفظ والمعنى ...

وهذا كله يحتم على الخطيب ضرورة الاهتمام بجمال اللفظ ، وحسن المعانى وحتى نيسر الأمر للخطيب أتحدث هنا عن نقطتين :

الأولى : خصائص التعبير الخطابى .

الثانية : الفرق بين التعبير الخطابى والتعبير الكتابى .

وذلك على النحو التالى :

---

(١) فن الخطابة جـ١ صـ١٧٨ .

النقطة الأولى
خصائص التعبير الخطابى

التعبير الخطابى أساسه اللفظة . ومنها يتكون الأسلوب ، وتوجد المقاطع والفقرات ، وتظهر الخطبة كلها . ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى دراسة خصائص اللفظة مفردة ، وخصائص الأسلوب مكونا من كلمات ، وخصائص المقاطع الخطابية ، ومدى مساهمة كل هذا في نجاح الخطبة ، وذلك فيما يلي :

(١) خصائص اللفظ :

اللفظ المفرد رمز للمعنى المفرد ، وهو أساس الكلام كله مكتوبا أو ملفوظا . وللفظ فصاحته البادية من تلاؤم حروفه ، وعدم غرابته ، وسلامته من الشذوذ . واذا انضم اللفظ إلى غيره صنع إسنادا لغويا له معناه الأوسع ، ولذلك قال البلاغيون : لكل كلمة مع صاحبتها مقام .

وفى الخطبة يجب أن يتميز اللفظ بما يلي :

(أ) أن تكون الكلمة فصيحة بمعنى تلاؤم حروفها ، وسلامة نطقها ، وبعدها عن الشذوذ اللفظى المعيب ، وقد ضرب البلاغيون صورا لألفاظ غير فصيحة مثل قول العرب (تكأكتم) بمعنى اجتمعتم فقد تنافرت حروفها ، وصعب النطق بها ... ومثل قولهم (افرنقعوا) بمعنى انصرفوا لثقل النطق بها .

(ب) أن يكون اللفظ سهل الإدراك ، مكشوف المعنى . متفقا مع مألوف السامعين لا يغرب عن تفكيرهم ، ولا يشذ في دلالته ، ولا يكون وحشيا غريبا مستهجنا .

إن اللفظ لو لم يكن سهل الدلالة على المعنى فإن المستمع لا يفهمه وحينئذ ينقطع الاتصال بينه وبين الخطيب ، وبذلك ينصرف المستمعون عنه ،

ويتصورونه ناطقا بغير لغتهم ، ويتخيلونه غريبا لا يعرفهم ، وهذا الانصراف ليس من حاجات الخطبة ، لأنها تبحث عن الاستمالة والجذب .

ومن المعلوم أن اللفظ الغريب يؤدى إلى البعد والنفور .

وقد سمى أرسطو الكلمة السهلة بالكلمة " المستولية " لأنه يراها تشد الانتباه ، وتستولى على العقول ، وتصنع رباطا قويا بين الخطيب والجمهور .

وفسرها ابن رشد بقوله " هي اللفظ الخاص بأهل لسان ما ، وتكون مشهورة عندهم ، سهلة دالة على المعانى التي وضعت لها من أول الأمر من غير ، تفسير وتأويل ويقول : "**والألفاظ المستولية تجعل القول محققا**" ويصفها أرسطو بأنها الكلمة البهية النبيلة غير الحقيرة[١] .

وعلى الخطيب أن يتخذ ألفاظه سهلة ، بسيطة ، حاوية لفصاحة الكلمة من كافة جوانبها .

(ج) أن يكون اللفظ عربيا بعيدا عن العجمة ، بعيدا عن العامية ، ناء عن التسفل . لأن ذلك يذهب رواء الخطبة ، ويضيع بهاءها ، وأعظم ألفاظ الخطبة هي الألفاظ السهلة الممتعة ، وواجب على الخطيب أن يرفع العامة إليه ، ولا ينزل هو إليهم .

يقول بشر بن معتمر : "فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، ولطف مداخلك ، واقتدارك على نفسك أن تفهم العامة معانى الخاصة ، وتكسوها الألفاظ الواسعة التي لا تلطف عن الدهماء ، ولا تجفو عن الأكفاء فأنت البليغ"[٢] .

ونحن نرغب في الخطيب أن يكون بليغا جامعا لخصائص البلاغة وشروطها .

---

(١) تلخيص الخطابة صـ٢٥٧ ، ٢٦٠ .

(٢) الخطابة صـ١٤٢ .

(د) أن تكون ألفاظ الخطبة مثيرة للخيال ، موقظة للهمم ، تهيج الوجدان ، وتهز النفس بالسرور والاطمئنان ، أو بالسخط والغضب . وذلك كاستعمال كلمة "**الأخ**" في قوله تعالى : ﴿ **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** ﴾[1] لأن الإنسان حين يدرك أن الغيبة تشبه أكل لحم الأخ حيا فإنه يستقذر ذلك ، وينصرف عنه ، وكلفظ " **المؤمنين** " في النداءات الموجهة إليهم . لأن وصف الناس بالإيمان يدفعهم إلى الاستجابة .

ومن الألفاظ المثيرة المحببة للمستمعين كلمات الحرية ، والمساواه ، والعدل ، والكرامة عند قوم يشعرون بالظلم ، ويتمنون العدل . ومنها لفظ الدين ، والشريعة ، وحق الله عند قوم يحبون دينهم ، ويتمنون التمسك به ، ويحاربون الفساد والمفسدين .

والخطيب يستطيع أن يستفيد كثيرا من ألفاظ القرآن الكريم فلقد جاءت متآلفة دقيقة . تجعل المطلع عليها يؤمن بأن اللفظة لم تخلق إلا للمكان الذي وضعت فيه سبكا في الأسلوب ، وتأدية لدورها في المعنى .

ولقد دعا القرآن الكريم إلى عدم استعمال لفظ مكان آخر يقول تعالى : ﴿ **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[2] . فهو لا يرى التهاون في استعمال اللفظ . ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة بوضوح . فالقرآن شديد الدقة في ألفاظه . ومعانيه ولذلك وجه الأعراب إلى التعبير الصادق الدقيق .

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٢ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

أنظر إليه ينكر كلمة حياة في قوله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾[١] . فنراه بذكر كلمة " حياة " ليشير إلى تفاهة الحياة التي يرجوها هؤلاء ، بينما يعرف نفس الكلمة في قوله تعالى : ﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾[٢] . ليشير إلى عظمة الحياة الآخرة بعد الموت .

والمؤلفات في إعجاز اللفظ القرآنى واعجاز معانيه كثيرة فليرجع إليها من يريد التوسع .

إن الواجب على الخطباء أن يهتموا بإختيار ألفاظهم خاصة وهم في مرحلة الإعداد ، لأن ذلك أدعى لأن يقدموا للجمهور خطبا جادة . تثير الوجدان ، وتوقظ الهمم . وبذلك يفيدون ويستفيدون .

(٢) خصائص الأسلوب :

يتكون الأسلوب من الألفاظ المفردة بعد اجتماعها في جمل وتراكيب ، وما دامت ألفاظ الخطبة سديدة فواجب أن يكون الأسلوب كذلك ،وهذا لا يتأتى إلا إذا جمع الأسلوب مجموعة من المزايا من أهمهما :

(أ) فلا بد أن يكون الأسلوب متلائم الكلمات ، متآلف التراكيب ، بحيث تنساب الجمل من لسان الخطيب ، وكأنها نغم يلمس أذن المستمع ، ويمده بالشجن والسرور .

ويجب أن يكون واضحا أن الكلمات إذا تنافرت فيما بينها ، تضر الخطيب والخطبة والمستمعين لأنها تخرج من الخطيب ثقيلة نابية وتؤدى إلى غموض الخطبة ، وخفاء معناها ، وغموض هدفها ، وتصيب المستمعين بالسأم والملالة ، لأنها تفقدهم روح الانتباه والميل للاقتناع .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٩٦ .

(٢) سورة الفجر ، الآية ٢٤ .

وقد ذكر ابن الأثير أن من بلاغة الكلام أن تكون كل كلمة مع أختها متعاونة معها ، تشاركها في إظهار المعنى بصورة متكاملة ، وبذلك لا يكون الكلام قلقا نافرا عن مواضعه[١] .

والكلام المنظم المترابط المتعاون في إعطاء معناه مثل العقد المنظوم حيث تساعد كل لؤلؤة أختها في إبراز حسنها وزينتها . وحين تتنافر لا تظهر شيئا ، ولا أثر لها ، ولذلك قال العرب : لكل كلمة مع صاحبتها مقام ، لأنهما يشتركان في أداء المعنى الواحد في المقام الواحد .

والخطيب يستطيع تحسين أسلوبه بانتقاء التراكيب الجميلة ، ووضعها في موضعها اللائق ، ويساعده على ذلك أن يطالع أساليب البلغاء ، ويفحصها بطريقة الدراسة التحليلية ، هذه الطريقة التي عرفت بالقراءة الأدبية حيث يقف القارئ أمام كل كلمة في النص . يتبين ما يوحى به من معانى . ويرى ما يحيط بها من الظلال . ويتأمل سر اختيارها . وتفضيلها على غيرها .

وبعد ذلك يستخلص ما فيها من خواطر ومعان .

والخطيب القارئ في هذه الحالة يمر بثلاث مراحل أمام الكلمة هى :

- التذوق والتحليل .
- النقد والاختيار .
- الحكم والرضى .

فهو حين يقرأ الجملة ويرى فيها حسن الفصاحة ، وجمال البلاغة ، ومدى دلالتها على مرادها ، ودورها في إظهار المعنى ... حينئذ يتذوق بعقله حسنها ... وعليه بعد ذلك أن يبحث عن المماثل للكلمة وينظر في استعمال هذه الكلمات المماثلة ليرى أيها أولى بالاستعمال ، ويستمر في بحثه حتى يستقر على لفظ معين ، وأسلوب خاص .

---

(١) الخطابة صـ١٤٩ نقلا من المثل السائر .

ولنأخذ مثلا موضحا من القرآن الكريم . يقول تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ألا ترى ما في اختيار كلمة " الناس " وما في عمومها من عدم مجابهة المنافقين بتعيينهم ، وفى ذلك ستر عليهم ، واغراء لهم بالإقلاع عن نفاقهم ، ذلك أنهم ما داموا لم يعينوا فمن المتوقع أن يصغوا إلى القرآن ، فربما انصرفوا عن غيهم إذا استمعوا إلى تصوير حال ضلالهم ، ولو أن القرآن جبههم بكشف الستار عنهم لانصرفوا معرضين ...

وكلمة " يقول " في الآية توحى بأن إيمانهم لم يتعد أفواههم ؛ وأجرت الآية الإيمان على ألسنتهم بصيغة الماضى في قوله " آمنا " زيادة في التمويه والخداع منهم .

وخص الإيمان بالله واليوم الآخر لأن الإيمان بهما يجمع كل إيمان ... واختار في ختام الآية نفى الإيمان عنهم في قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ليدل بها على استقرار هذا النفى ، وثباته ، ودوامه ماداموا متمسكين بنفاقهم .

هذا مثال **للقراءة التحليلية** ولا تتم إلا بالتذوق العقلى والنفسى . والقرآن كله كذلك . وعلى الخطيب أن يعتنى بانتقاء أسلوبه على هذه الوتيره ليتلاءم أسلوبه ، وتتآلف جمله ، وتظهر الخطبة جميلة وافية .

(ب) لابد للأسلوب أن يكون جامعا لعديد من فنون التعبير كان تأتى فقرة بأسلوب الإنشاء ، وأخرى بأسلوب الخبر ، وثالثة فيها التشبيه ، ورابعة فيها المجاز والبديع ... وهكذا يتنوع الأسلوب ويمكن للخطيب أن ينتقل بالسامع من فن إلى فن طردا للسأم ، وتنشيطا للذهن .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٨ .

وما دامت سائر التعابير تدور حول المعنى الواحد فجميعها أسلوب جميل ذلك أن الانتقال من الإنشاء إلى الخبر ، ومن الاستفهام إلى النفى أو الإثبات يثبت الأفكار ، ويوقظ المشاعر ، ويحمل النفس على الاطمئنان إلى المعانى . كما أن التكرار بهذه الصورة يكون عامل توضيح وجذب .

ومن المعلوم أن الناس مختلفون عقلا وثقافة ، وهذا يحتاج إلى تنوع الأسلوب ليستفيد به الجميع مع تنوع مستوياتهم .

ومن قديم وعلم البيان في البلاغة يعرف بـ "**أنه العلم الذي يعرف طريقة إيراد المعنى الواحد المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال بطرق مختلفة في وضوح الدلالة على ذلك المعنى**"(١) فهو علم يدور حول المعنى الواحد المؤدى بتعابير مختلفة غير مترادفة .

ومن المعلوم أن البيان قمة البلاغة ، وسيد الأسلوب ، وما أجمل الخطبة التي تشتمل على التشبيه والمجاز والاستعارة لأن كل ذلك يقرب المعنى ، ويؤدى إلى تحقيق المطلوب .

(ج) لابد للأسلوب أن يتنوع بتنوع المقامات ، وأن يلاحظ أحوال السامعين لأن مقام التهديد غير مقام التحميس ، واظهار الألم غير إظهار الفرح ، وقد سبق لنا أن بينا أن أصناف الناس ثلاثة وما يناسب هذا الصنف لا يناسب الصنف الأخر وهكذا .

يقول الإمام الغزالى في القسطاس المستقيم : "واعلم أن المدعو إلى الله بالحكمة قوم ، وبالموعظة قوم ، وبالمجادلة قوم ، فإن الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير ، وأن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل

---

(١) الخطابة صـ١٤٩ نقلا من المثل السائر .

القوى من الارتضاع بلبن الآدمى ، وان من استعمل الجدال مع أهل الجدال لا بالطريق الأحسن كما تعلم من القرآن كان كمن غذى البدوى بخبز البر ، وهو لا يألف إلا التمر ، أو البلدى بالتمر وهو لم يألف إلا البر"[١] .

ويضرب الغزالى مثالا بالخليل عليه السلام حينما حاج خصمه وقال له : ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ فلما رد النمرود عليه وقال : ﴿ أَنَا۠ أُحۡىِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾ عدل إبراهيم عليه السلام حينئذ إلى الأوفق لطبعه ، والأقرب إلى فهمه فقال : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِى بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ ولم يركب الخليل ظهر اللجاج في تحقيق عجزه عن إحياء الموتى إذا علم أن ذلك لا يلائم قريحة الخصم . ولا يناسب حده في البصيرة ودرجته[٢] .

وهكذا نجد الإمام الغزالى يدعو إلى تنوع المقامات ، وتعدد الأدلة ليصل إلى إقناع المستمع واستمالته . ومن المعروف البدهى أن الإمداد بالموافق منتج مفيد ، والإمداد بغيره كلا إمداد .

وواجب على الخطيب أن ينوع أسلوبه ويجعله مناسبا للمستمعين وقد اشترط بعض العلماء أن يكون الأسلوب واضحا ، طويلا ، مكررا ، مثيرا . ونحن نرى أن تحقق الخصائص السابقة للفظ وللأسلوب يوجد هذا وغيره .

والخطيب لن يصل إلى هذا المستوى إلا بعد القراءة الكثيرة ، والفهم الواعى ، والحفظ الواسع لكثير من أساليب العرب شعرا ونثرا .

---

(١) القسطاس المستقيم صـ١١ . ١٣ .

(٢) القسطاس المستقيم صـ١١ . ١٣ .

(٣) خصائص المقاطع الخطابية :

يجب أن يختار الخطيب مقاطعة على نظام خاص ، بحيث ينتهى المقطع مع نهاية المعنى . وان يحتوى المقطع على رنين موسيقى يحسنه في الأذن ويخففه على اللسان .

ومعنى ذلك أن يقوم الخطيب وهو في مرحلة الإعداد بكتابة أسلوبه ، ويجعل لكل عنصر أو جزئية فقرة أو فقرات ، ويتخير لها الأسلوب الأمثل في تنوعه البلاغى ، وتعدده في أداء المعنى .

إن اختيار المقاطع عمل هام من عمل الخطيب ، وكثير من الخطباء قد نجحوا بسبب إجادتهم لهذا الاختيار ، وقد روى الأحنف بن قيس أن عمرو بن العاص كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام ، وأعطى حق المقام ، وخاض في استخراج المعنى بألطف مخرج . حتى كان يقف عند المقطع وقوفا يحول بينه وبين ما يتبعه من الألفاظ .

ومما يجعل المقاطع جملة مقبولة إدخال السجع فيها ليتأكد من سلاسته وجماله ، ولا عيب في هذا التوقف لضرورته لمن يريد الإجادة لخطبته .

يقول ابن الأثير : "ينبغى أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة ، حادة ، طنانة . رنانة . لا غثة ولا باردة"(١) .

وقد كره بعض البلغاء استعمال السجع لما فيه من تكلف وصنعة ، ولكن الحق مع من يستحسن السجع بشرط أن يكون بريئا من التكلف . **يقول أبو هلال العسكرى** : "لا يحسن منثور الكلام ولا يخلو حتى يكون مزدوجا . ولا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلو من الازدواج"(٢) .

إن الخطيب داع إلى الله ، وواجب عليه أن يبلغ الإسلام من خلال خطبه ولذلك وجب أن يجهد نفسه لتحقيق الواجب المشروع .

---

(١) المثل السائر صـ٢٢٥ .

(٢) الصناعتين صـ٢٤٩ .

النقطة الثانية

الفرق بين التعبيرين الخطابى والكتابى

تختلف الكتابة عن الخطابة في عدة نواح أهمها :

(١) مدة الخطابة محددة تبعا للمجال الذي تلقى فيه حيث نراها تطول الخطب السياسية ، وتقصر في الخطب الدينية والاجتماعية ، وذلك لمراعاة حال المستمعين ، وظروفهم ، وأعمالهم ... أما الكتابة فهي غير محددة المدة لأن الكاتب قد يؤلف كتابا طويلا ، ويتركه لقارئ يقرؤه في أيام متعددة .

(٢) الخطابة تقدم موضوعا متكاملا في الخطبة الواحدة بينما يتضمن الكتاب الواحد على موضوعات كثيرة تدور حول مسألة واحدة أو تتحدث عن عدد من الموضوعات .

(٣) جمهور الخطبة متنوع الثقافة ، والعقل ، والمستوى بينما يكتب الكاتب لطائفة من الناس يلتقون حول فكره . وهو يكتب لهم .

والفروق كثيرة وهى في جملتها أدت إلى حدوث فروق جوهرية بين التعبير الخطابى والتعبير الكتابى ، وأكدت ضرورة أن يكون التعبير الخطابى متميزا بمواصفات خاصة عن التعبير الكتابى ، وهى :

أولا : جاذبية التعبير :

المستمع يسمع الخطبة مرة واحدة ، وما يفوته لا يجده ، فلو غفل أو سها ضاعت الخطبة منه ، وصار وجوده لسماعها كعدمه وذلك يحتم أن يكون التعبير الخطابى جميل التركيب ، سهل المعنى فيه كثير من المنبهات والمثيرات ، ينتقل بالمستمع من مقام إلى مقام ، ولا يتركه وحده يسرح به الخيال . ويجعله لا يفكر في غير ما يقال ، ولا يكتفى بالنظر إلى الخطيب لا يعى من كلامه شيئا .

ويجب على الخطيب أن يبدأ خطبته باللفظ الجميل ، بارعا في استهلاله لأن حسن البدء له تأثيره في الانتباه ، ويستمر على هذا الحسن حتى ينتهى من خطبته .

أما الكاتب فإنه يعمد إلى فكرته يسوقها في قالب بيانى ، وبعدها يترك كتابة بين يدى المستمع ، الذى يقرأ فيه حينا ، ويتركه حينا ، وقد يسأم مرة ويقبل أخرى ، وهذا الأمر لا يحتم على الكاتب استعمال الألفاظ المنبهة ، والاستعارات الجذابة ، والبديع الأخاد .

ثانيا : بساطة التعبير :

التعبير الخطابى يتناول موضوعا موجزا يلقى في وقت قصير وهذا يدعو إلى اختيار الأسلوب السهل البسيط ليصل إلى المستمع مباشرة مفهوما واضحا ... فليس هناك مجال للسؤال ، والحوار ... ولا مجال للشرح والتفصيل.

أما الكاتب فالوقت أمامه متسع ، ويمكن أن يحاور ويناقش ويجادل ، ويدون كافة الاحتمالات في الموضوع الواحد ويقسمها ، ويحللها ، ويختار منها ما يرى .

لقد حاول أحد الخطباء مرة أن يتحدث عن "توحيد الله تعالى" فأخذ يستعرض أدلة الإمكان والحدوث ومنع التعارض ، ورد المخالفين مستشهدا بقوله تعالى : ﴿ **لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [1] . فضيع الوقت في التقسيم ، والمناقشة الكلامية ، ولم يفد شيئا ، لأنه تصور نفسه كاتبا ، ولم يلتزم ببساطة التعبير .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية ٢٢ .

وفى الوقت نفسه خطب غيره في نفس الموضوع "**توحيد الله تعالى**" فعاش مع آيات الكون ، وبدائع الخلق ، وأسرار الحياة ، وجعلها شاهدة تنطق بوحدانية الله وعظمه فوفى وأفاد .

وفى هذا دلالة على أهمية الأسلوب السهل البعيد عن التفلسف والتعقيد الخالى من صور المنطق ، وألوان الأقيسة التي يعرضها المنطق في صورة بليغة بديعة ، وبذلك يفيد وينتج المراد .

ثالثا : التوجه إلى الإنسان :

الإنسان مخلوق مدرك ، وطرقه إلى الإدراك عقله وعواطفه ووجدانه ولكل منها خط يحركه ، وأسلوب يؤثر فيه .

فالعقل رياضى بطبعه ، يميل إلى الفكرة ، ويرضى بالإيجاز ، ويحب التقسيم والتحليل ، ويرضى بالحقيقة .

أما العاطفة فهي تستثار بالخبر الغريب ، وتحركها الانفعالات ، وتميل إلى الخيال ، وتعشق الإشباع ، وتسعد بالرضى .

والوجدان قوة غامضة ، يحركها إحساس في الإنسان غير مرئى وتدفع الإنسان إلى أعمال غير مقنعة أحيانا ، كمن يحب امرأة عمياء دميمة ... إنها أحبها بوجدانه لا بعقله ، وكمن يتمنى أمرا لا يعرف عنه شيئا بسبب دعاية مثيرة ، ووصف مشبوه .

والإسلام يتعامل من عناصر الإنسان كلها ، فيقنع العقل ، ويشبع العواطف ، ويرضى الوجدان .

وفى الخطابة الموجهة إلى الإنسان يجب ملاحظة هذه العناصر فى التعبير .

فعلى الخطيب أن يهز بأسلوبه أوتار الوجدان ، ويثير الشعور والعاطفة ، ويخاطب الأحاسيس الدقيقة ، ويوقظ الرغبات الكامنة ، وفى نفس الوقت يناقش العقل ، ويخاطب الفكر .

وبهذه الطريقة يتحرك الإنسان كله نحو الخطيب ، أما الكاتب فإنه قد يقصر حديثه إلى جانب واحد في الإنسان فالفيلسوف يخاطب العقل ، والروائى يخاطب العاطفة ، وعلماء الروحانيات يخاطبون الوجدان .

ومن هنا كان التوجه الخطابى إلى الإنسان توجها شاملا رغم قصر وقت الخطبة ، وهذا يحتاج إلى مهارة علمية ولغوية يتمتع بها الخطيب ليصل إلى ما يريد .

رابعا : وضوح الهدف والغاية :

الخطبة لها موضوع واحد تتناوله وتكمله في لقاء واحد ، ولذلك لزم لها أن تحدد موضوعها من البداية ، ثم تدلل وتبرهن عليه وتوصى الناس به من خلال التعبير البيانى ... أما الكتاب فقد يكون متعدد الموضوعات ، وقد يستغرق في الحديث عن موضوعه مئات الصفحات ، وهذا يسمح له بإخفاء هدفه ، وعدم التصريح به ابتداء ، ولذلك احتاجت الخطبة إلى وضوح الموضوع ، وبساطة اكتشافه ، ليعيش المستمع معه ويركز على تفهمه ، والإحاطة به ، أما الكتاب فإنه تأليف مطول ، وتقسيماته كثيرة ، وهذا يساعد على الغوص والبحث عن الهدف إن كان غامضا .

المبحث الثانى
محتويات الخطبة

عشنا في المبحث السابق مع "إعداد الخطبة" بدءا من اختيار الموضوع وانتهاء بالتعبير والصياغة وأشرنا إلى مراحل تكوين الخطبة التامة التي تمكن الخطيب من تكوين الخطبة جزءا جزءا ، بدءا من الميلاد وحتى تصير طاقة فنية .

وبعد ذلك تكون الخطبة في صورتها الفنية الكاملة ، ومحتوياتها الشاملة المفيدة .

ومن أجل تحقيق أكبر قدر يعلو بالخطبة ، ويرفع الخطيب نعيش في هذا المبحث مع المحتويات والشكل النهائى للخطبة ، آملين أن تكون عونا للخطيب أثناء الإعداد والتكوين ولذلك سنتناول في هذا المبحث المسائل التالية :

أولا : الحديث عن محتويات الخطبة قديما وحديثا .

ثانيا : الحديث عن الجزء الأول .

ثالثا : الحديث عن الجزء الثاني .

رابعا : الحديث عن الجزء الرابع .

خامسا : الحديث عن الجزء الخامس .

إن كل جزء من هذه الأجزاء له أهميته في الخطبة ، ولذلك حسن اهتمام الخطيب به ، وتحضيره بصورة جيدة قبل إلقاء الخطبة .

وقد علمنا أن خطباء اليونان والرومان كانوا يعدون خطبهم ، ويخرجون بها إلى الفضاء الواسع . وعلى شاطئ البحر . ويتخيلون جمهورهم قد حضر أمامهم فيأخذون في الإلقاء ... ثم يتساءلون عند نهاية الخطبة عن الجزء الذي جمع النواحى الفنية البلاغية ، وأيها ليس كذلك ليعودوا إلى تحسينه واجادته .

وسوف نتناول بالتفصيل الحديث عن الأجزاء الخمسة بشئ من التفصيل :

أجزاء الخطبة عند العلماء

اختلفت العلماء في عدد أجزاء الخطبة قديما وحديثا ... فذكر كل من أرسطو وابن رشد من القدماء أن الخطبة خمسة أجزاء هي :

الجزء الأول : المقدمة ويسمونها "الصدر" لوقوعه في صدر الكلام وبدايته .

الجزء الثاني : بيان الموضوع ، ويسمونه " السمة " أو "العنوان" أو "الغرض" حيث يرون أن الغرض هو الموضوع المقصود مع أن الغرض يشمل الموضوع والهدف .

الجزء الثالث : عرض الأدلة ويسمونه "الاقتصاص" ويراد به تقطيع الخطبة ، وتقسيمها إلى عناصر رئيسية .

الجزء الرابع : التعبير والمناقشة والتحليل ، ويسمونه "التصديق" .

الجزء الخامس : خاتمة الخطبة ، ويسمونها الخاتمة[١] .

ويلاحظ في هذا التقسيم القديم غموض التسمية ، وغرابة المسميات الذي لا بد له من الشرح والتوضيح ، حتى يعرف ويفهم .

ومن الغريب أننا نرى أرسطو يسمى كل جزء من الأجزاء المذكورة باسم "الاقتصاص" ويقول : **إن الاقتصاص قبله اقتصاص ، وبعده اقتصاص** ... وهكذا حتى ينتهى إلى الاقتصاص الخامس ، كما بدأه بالاقتصاص الأول وهذا يوقع القارئ في الاضطراب ، والحاجة إلى شرح وبيان ليعرف المراد بكل اقتصاص منها .

---

(١) تلخيص الخطابة صـ٣٠٧ .

وقد حاول ابن رشد وضع مسميات لهذه الاقتصاصات وبين أن معنى الاقتصاص التجزئة والتقطيع ، وكأن مراد أرسطو أن الخطبة خمسة أجزاء وقطع ، لكيان واحد هو الخطبة والجزء هو مقطع منها ...

وقد ميز ابن رشد هذه الأجزاء الخمسة بالأسماء التي أوردها بعدما استنبطها من كلام أستاذه أرسطو ، ويكفى أرسطو في هذا المجال أنه أول من أسس للخطابة ، وتحدث عن أجزائها ، وأهدافها ، وأهمية التسامى بها ... وسبب ظهور هذا الدور المميز لأرسطو يرجع إلى اهتمام الفلاسفة اليونانيين بشكل عام بالخطابة والخطباء.

أما العلماء المعاصرون فقد ذكروا أن أجزاء الخطبة ثلاثة هي :

(١) المقدمة .

(٢) العرض .

(٣) الخاتمة[١] .

وحاولوا توضيح كل جزء من هذه الأجزاء ، وعادوا مرة أخرى إلى تقسيم المقدمة إلى افتتاح ، وبيان الموضوع ، وتقسيم العرض إلى الإتيان بالأدلة والتعبير البيانى ، فعادوا بذلك إلى الأقسام الخمسة كالقدماء مع اختلاف يسير ، وكان الجديد لديهم هو الأسماء الواضحة لأجزاء الخطبة .

وانى لا أرى حاجة لهذا الاختصار الذي أحدثه المعاصرون لأجزاء الخطبة ، ذلك لأن وضوح الخطبة بأقسامها الخمسة أمام الخطيب يمكنه من إتقان الخطبة بحيث لا ينتقل من أى قسم إلا بعد إيفائه حقه.

وأيضا فإن من اختصر الأقسام إلى ثلاثة عاد حين تفسيره لها وشطر كلا من القسمين الأول والثانى إلى جزئين وبذلك صارت الأقسام خمسة من جديد مما يرجح أن الأولى الإبقاء على أجزائها الخمسة بمسميات واضحة .

---

(١) الخطابة صـ٤٥ ، أصول الخطابة صـ١٠٦ ، فن الخطابة صـ١٤٢ .

ولعل تراجع المعاصرين ، وعدم تتبعهم خطوات ابن رشد وأرسطو في التقسيم يعود لغموض المسميات ، وتداخل الأجزاء حتى أنه في كثير من الأحيان ، وفى بعض أنواع الخطب يحدث تداخل بين بعض الأجزاء ، إلا أننا مع ذلك نرجح التعامل مع التجزئة الخماسية على أن نسميها بأسماء واضحة يتميز كل منها بمسماه عن غيره .

وقد يقال : إن هذا المبحث يعد تكرارا للمبحث السابق ، لأن كليهما يتناول الأجزاء الخمسة للخطبة ، والتكرار لا يصح في الدراسة والبحث .

وأقول : إن هذا المبحث والمبحث السابق يدوران حول الأجزاء الخمسة من زوايتين مختلفتين ، لأن المبحث السابق يتحدث عن إعداد الخطبة وأشار إلى كيفية إنشاء الأجزاء ، وتصورها قبل وجودها ، وتتبع هذا الإعداد بطريقة عقلية بحته حتى توصل إلى أنها خمسة أجزاء مترابطة ومتماسكة من البداية حتى النهاية ، وعرفها بإجمال .

أما هذا المبحث فإنه يتناول الأجزاء بعد وجودها ، وتمامها ويقوم بتفصيل بعض الجوانب الفنية التي ينبغى أن تكون عليها هذه الأجزاء لتصير الخطبة حسنة ، شكلا ، ومضمونا .

إن المبحث السابق يتناول الأجزاء قبل وجودها ، والمبحث الذي نحن فيه يتناول نفس الأجزاء بعد كمالها وتمامها .

وباختلاف جهة التناول ينتفي التكرار في المبحثين .

والمتأمل في بدايات السور القرآنية يرى أنها توجز السورة كلها في كلمات ، وهى مع هذا الإيجاز تشتمل على الإعجاز الإلهى الذي يستولى على عقل الإنسان وعواطفه ، ويأخذه إليه بالإيمان والطاعة وبعد ذلك تأخذ في التفصيل والإحكام ، ولا يقال عن التفصيل بعد الإيجاز ، أو الإيجاز بعد التفصيل إنه تكرار مخل ، لأن كلا من الإيجاز والتفصيل أخذ جانبا خاصا به .

وبدراسة هذا المبحث سوف نتبين التمايز بين المبحثين :

الجزء الأول
الافـتـتـاح

هذا القسم هو صدر الخطبة لأنه أول ما يبدو من الخطيب تشبيها له بصدر الإنسان أول ما يظهر في مقدمه .

وهذا الجزء من الخطبة هام وضرورى لأنه سمتها ، وعنوانها العام ، وجودة العنوان دليل على جودة المعنون له ؛ والضياء يبشر بالنور ، واللحظة الأولى مثل الفكرة الأولى تبشر بما بعدها دائما .

ومن المعروف أن السمع إذا فاجأه حسن الافتتاح يتيقظ ، واهتم بمتابعة ما بعد ذلك بشوق وشغف ، ويحاول تذوق جمالها اللفظى . ومعرفة معناها الدقيق . وحينئذ تكون الخطبة مشتملة على براعة الاستهلال الذي لابد منه لنجاح الخطبة .

وجمهور خطبة الجمعة يأتى إلى المسجد مستعدا لاستماع الخطبة ، ولذلك كان من الأمور الحسنة أن يعاجله الخطيب بما يشده إليه ، ويربطه بالخطبة بواسطة المقدمة تحدد له الموضوع بصورة مشوقة .

إن الباحث في القرآن الكريم يرى العناية الإلهية واضحة في أوائل السور لأنها تثير في النفس الإجلال والشوق ، والرغبة في تتبع القراءة ، فهي حينا تكون ثناء على الله تعالى كسور الحديد ، والحشر ، والصف ... وحينا تكون تعظيما لشأن القرآن الكريم كأوائل سور فصلت ، والزخرف ، والدخان ... وحينا تكون شرطا ، أو استفهاما كسورة الإنسان ، والفيل .

إن بدء بعض السور بالقسم ، أو الاستفهام ، أو بالشرط ، أو بالنداء يولد عند المستمع رغبة في المتابعة تبيانا للمقسم عليه ، أو انتظارا للجواب ، أو تفهما للمنادى ، ويعيش بعقله كله ليكتشف لوازم هذه البدايات التي اهتم الله بها فإذا وصل إليها فكر فيها ، وتدبر في أمرها ، وآمن مصدقا بكل إيقاعاتها وهكذا

تتضح عناية القرآن الكريم بالافتتاح الحسن . لأنه يدل على ما في السور من أول وهلة كما يجذب عقل المستمع إلى الإنصات له .

إن المؤتمرات الخطابية في العصر الحديث تهتم بالبدايات في كل خطبة وفى كل أعمال المؤتمر بعدما علمت أن ذلك سر الفوز والنجاح .

والخطيب الناجح هو الذي يستفيد بهذا الأسلوب المعجز ، ويحاول محاكاته على قدر جهده . حتى يتمكن من جذب انتباه المستمع إليه .

يقول ابن الأثير : "وانما خصت الابتداءات بالاختيار لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام ، فإذا كان الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعى على استماعه ، ويكفيك من هذا الباب الابتداءات بالنداء ، وكذلك الابتداءات بالحروف المقطعة في القرآن الكريم . وغير ذلك فإن هذا أيضا مما يبعث على الاستماع إليه لأنه يقرع السمع بشئ غريب ليس له بمثله عادة فيكون ذلك سببا للتطلع نحوه . والإصغاء إليه"[١] .

ويكون الافتتاح حسنا إذا كان لائقا بموضوع الخطبة ، دالا على المعنى المقصود منها ، فإن كان موضوع الخطبة نصرا وفوزا لزم في الافتتاح أن يشير إلى ذلك ، وان كانت تهنئة فتهنئة ، وان كانت عزاء فعزاء فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناه ، ولا يشير إلى مغزاه ، ولا يعرف بالموضوع الذي إليه نزع ، ومن أجله تحرك ، وله يظهر ويبين .

وفائدة حسن الاستفتاح أن يعرف المستمع من البداية الموضوع المراد من الخطبة ، ويحيط بالهدف المقصود ، ولو أضفنا إلى حسن الافتتاح أن الخطبة مناسبة مع واقع المستمعين لعلمنا يقينا أنها تلامس رغبة الجماهير ، وتشارك وجدانهم ، فيعايشونها من أول الافتتاح إلى نهاية الخاتمة ، وحينئذ يؤدى الخطيب دوره ، وينجح من أول خطبته إلى نهايتها .

---

(١) المثل السائر صـ٢٦٠ .

والافتتاح أربعة أنواع[١] هي :

(أ) الافتتاح المباشر :

وهو الافتتاح الذى يبين الموضوع بلا تكلف . وقد سماه الشيخ على محفوظ بالافتتاح الساذج . ذلك لأنه يشير إلى الموضوع صراحة بلا حاجة إلى تكلف أو تفكير ، كأن تكون الخطبة في الصبر ويكون الافتتاح بالحمد لله الذي أمر بالصبر وحث عليه . ووعد الصابرين بالخير الجزيل ، وغالبا ما يكون هذا النوع في خطب الوعظ الديني ، وخطب الحرب ، وخطب مجالس الأدباء ، وخطب التهانى ، والخطب الموجهة إلى العامة .

(ب) الافتتاح الفخم :

وهو ما يبدو الموضوع من تفهم معناه من خلال لفظه الجميل الفخم ، وأسلوبه المتأنق .

وهذا الافتتاح يشير إلى المقام الهام للخطبة التي يكون فيها لأنه لا يكون إلا في الأحوال الخطيرة . والأحداث الهامة ، وذلك كافتتاح أبى بكر ﷺ لخطبته يوم أن تشكك بعض المسلمين في وفاة النبي ﷺ إذ قال : "**أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت**"[٢] ثم استمر في خطبته بعد ذلك . فتراه ر لم يتكلم عن الموضوع وانما جعل الوقائع والكلمات تشير إلى الموضوع ، وترك للصحابة أن يستنبطوا المراد وهم يعيشون روعة الموقف الذي كان الخطاب فيه .

وهذا الافتتاح يستعمل في الأحداث الهامة ، حيث لا يتسع المقام لطول الكلمات ، وتوسع المقدمات .

---

(١) الخطابة للشيخ على محفوظ صـ٤٦ .

(٢) البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٠ .

(ج) الافتتاح البدهى :

وهذا الافتتاح وسط في دلالته بين الوضوح والخفاء ، وبين السهولة والفخامة ، فهو ليس مطلق الوضوح . وليس بعيد الفهم . ولكنه سهل المنال . يسير الفهم ، ولذلك سمى بدهيا ، وهذا النوع يناسب الخطب المفاجئة في مناسبة معلومة للمستمعين . وذلك كخطبة أحد المرشحين في انتخابات المجالس النيابة مثلا . لأن الحدث معروف . والمستمعين على دراية بما سوف يقال . والخطيب يريد الوصول إلى الناس مباشرة وبيسر ، وكل مستمع يمكنه أن يحدد الموضوع سلفا بصورة مجملة .

(د) الافتتاح الملوح :

وهو الافتتاح المشير للموضوع من بعيد كأن يدل عليه بطريق مجازى خفى . ولا يكون هذا الافتتاح إلا في أناس تميزوا بالثقافة والدقة ، وكانوا من أهل الحكمة . الذين عشقوا المعانى العالية . والأساليب البلاغية الراقية .

وعلى الجملة فإننا نرى أن الافتتاح من الأجزاء الهامة في الخطبة لابد منه لها لأنه ينبه الناس ، ويعرض الموضوع في كلمات بهية بليغة ، ومن هنا فإنى لا أتفق مع من يرى جواز إلغائه في بعض الأحيان .

ويكفيه ضرورة أنه يوقظ المستمعين إلى ما سيقال ، ويدفعهم إلى الرغبة في المتابعة ، كما أنه يعقد صلة بين الخطيب وجمهوره ، وبين الموضوع ومستمعيه .

إن علماء التربية يوصون المربين بأن يبدأوا دروسهم بمنبهات يتخيرونها ، كإلقاء أسئلة ، أو بمخاطبة الطلاب في قضايا مثارة لها صلة بالدرس أو بسؤالهم عن قضايا اجتماعية لهم صلة بها .

وعلماء الاتصال يهتمون بالبدايات الموقظة للمستمعين لجذب الانتباه ، وشد عقول الجمهور ، وذلك كله افتتاح مهم .

إن هذا الافتتاح هو المقدمة التي يفتتح بها الخطيب حديثه ، وأرى حاجة الخطيب إليها ، لأنه بواسطتها يكتشف جمهوره من الناس ، ويأخذ في كلامه بعد ذلك هادئا مطمئنا .

ومع إصرارنا على ضرورة المقدمة المناسبة للموضوع وللمستمع فإننا نرى أن يكون الافتتاح تنبيها خاطفا ، سريعا بحيث لا يزيد عن عشر زمن الخطبة على أكثر تقدير .

ويجب أن يبتعد الخطيب عن الإسهاب والإطالة في المقدمة ، لأن ذلك يبعد الخطيب عن مقصده من المقدمة .

ولا يصح أن تكون المقدمة مبتذلة مكررة بصورة واحدة مع سائر الخطب .

ولا يجوز أن يتناول الخطيب في مقدمته تفاصيل موضوع الخطبة . ويجب أن يلتزم بخصائص المقدمة . فيشير إلى الموضوع في حسن وايجاز .

يقول ابن المقفع : "وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته"[١] .

ويعلق الجاحظ على هذا القول فيقول : "هناك فرق بين صدر خطبة النكاح . وبين صدر خطبة العيد . وخطبة الصلح . وخطبة المواهب . حتى يكون لكل من ذلك صدر يدل على عجزه ، فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناه ، ولا يشير إلى مغزاه . والى العمود الذي إليه قصدت . والغرض الذي إليه نزعت"[٢] .

ويجب أن يعرف أن الخطبة الدينية لها استفتاحها الخاص بها ، ولسوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد عند الحديث عن خطبة الجمعة والعيدين .

---

(١) البيان والتبيين جـ١ صـ١١٥ .

(٢) البيان والتبيين جـ١ صـ١١٦ .

ومن بلاغة المقدمة أنها تأتى مترابطة مع ما بعدها متناسقة معه في الأسلوب والفصاحة بحيث لا يشعر المستمع بنهايتها ، والانتقال إلى ما بعدها .

إن الخطيب الناجح هو الذي يلون في افتتاحيته . ويجعلها مثيرة لجمهوره . كأن يحيى أراءهم القديمة ، أو يثنى على بعض خصائصهم ، أو يرد على معارضيهم ، ويبين أنه منهم ولهم ، أو يشير إلى معتقد خاص بهم أو يستشهد بنصوصهم المقدسة ، أو يتساءل عن أمور أثارته ، أو يعرض سؤالا وجه إليه ، أو يورد حدثا اهتم به مع جمهوره .

وقد أعجبنى خطيب أعد خطبته عن "عظمة الله تعالى" ، وقدم لها بطريقة حسنة حيث قال : حين مجئ إليكم سمعت المؤذن يقول : الله أكبر ... فتساءلت مع نفسى عن أى شئ أكبر ... هل هو أكبر منى ، أومن غيرى ؟ أو من الشجر ؟ ... أو من الحجر ؟ أو من السماء ؟ ... أو من الأرض ؟ ... أو من أى شئ ؟ ... استعرضت الخلق كله على قدر طاقتى فوجدت أن الله سبحانه وتعالى أكبر من الوجود كله مجتمعا أو منفردا . واستغرقت في التساؤل حتى دفعنى إلى أن نعيش اليوم مع عظمة الله تعالى وكبريائية في خطبة اليوم .

وبمثل هذا تكون المقدمه موضوعية ، ومثيرة للنظر ، ودالة على ما بعدها .

الجزء الثاني
بيان الموضوع

يأتى هذا القسم مباشرة بعد الافتتاح . وفيه يجمل الخطيب موضوع خطبته للمستمعين ليتهيأوا للتلقى والاستماع .

ويجب أن يكون بيان الموضوع قصيرا . ومعبرا . ومتفقا مع موضوع الخطبة وأهدافها . ومتناسقا مع الافتتاح بحيث لا يشعر المستمع بالانتقال من قسم إلى قسم آخر منفصل عنه ، لأن الخطبة كل واحد لا ينقسم ، وانما كان هذا التقسيم منهجيا للتعليم والتنشئة .

إن هذا البيان يختلف عن الافتتاح لأن الافتتاح يشير إلى الموضوع في خفاء من خلال المثيرات اللفظية ، والتلويحات البعيدة ، أما بيان الموضوع فهو توضيح لحقيقته ، وبيان لأهميته ، وشرح الأسباب التى دعت إليه ... ومثاله أن يذكر آية قرآنية أو حديثا نبويا قرأه أو سمعه تأثر بها ، وذكرته بواقع موجود فجعلها موضوعا لخطبته .

ولا بد عند ذكر الموضوع من ملاحظة ثلاثة نقاط هي :

(١) أن يذكر الموضوع من خلال قضية عامة ، لا يبنيها على مقدمات منطقية . لأنه لو بناها على مقدمات كان ذلك سياقا برهانيا يأتى في البراهين والأدلة ، وليس في إبراز الموضوع ، فمثلا إذا كان موضوعه الذي هو بصدد الكلام فيه الدعوة إلى تثبيت نظام . أو منع فوضى يقول : السلطان وازع الله في أرضه . واذا كان يريد الدفاع عن متهم ببيان أن أدلة الاتهام تحوم حولها الشبهات يقول مثلا : المتهم برئ حتى يقوم الدليل على جنايته . وكل شك يكون في مصلحة المتهم . لا في مصلحة الاتهام ... واذا كان يريد أن يخطب جمعا يحثهم على إحياء القرآن الكريم بحفظه والعمل به يقول مثلا : "**في القرآن نبأ ما**

قبلكم . وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم" ... وفى كل هذا ترى أن الموضوع قد ذكر في قضية عامة بلا تفصيل ، أو برهان ، أو إثبات ، أو نفى .

(٢) أن يكون ذكر الموضوع مرتبطا بالواقع . لأنه إن لم يكن كذلك لا يثمر ثمرته المرجوة ، وكان إيراده بلا فائدة ، وحينئذ يشعر المستمع أنه يسمع كلاما لا معنى له ، متضمنا لأفكار متناقضة ، بعيدة عنه ، ومعانى لا يحتاج إليها ، وهذا الشعور يلقى في نفس المستمع روح التبرم . الأمر الذي يؤدى به إلى الانصراف عن الخطيب ، وعدم الاهتمام بكلامه . وهذا أمر غير مقبول .

(٣) أن يأتى التعريف بالموضوع في آية قرآنية ، أو حديث نبوى ، أو مقالة مأثورة ، أو عبارات حسنة عملية أو في جملة تثير خيال النفس . وتهزها لتنشط إلى سماع ما يقال . وتهتز أوتار القلب لكل ما يجئ به الخطيب من معان . وعبارات جيدة محكمة .

ومن أبلغ المقدمات التي اشتملت على مقصد بليغ قول علي بن أبى طالب ﷺ في إحدى خطبة التي يحث فيها على الجهاد . قال : "**أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة . فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلة وشمله البلاء . وألزمه الصغار ، وسيم الخسف ، ومنع النصف . ألا وانى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء ليلا ونهارا . وسرا واعلانا ... إلخ**"[١] .

---

(١) نهج البلاغة صـ٦٥ .

الجزء الثالث
تحديد العناصر

يدور هذا القسم مع الموضوع كله حيث يقسمه إلى أجزاء تفصيلية مرتبة ولا يصل الخطيب إلى التقسيم الجيد إلا بعد الإعداد العلمى المنظم للخطبة .

وتقسيم الموضوع إلى عناصر رئيسية وأخرى فرعية له فوائد عديدة تعود على الخطيب ، وعلى الخطبة ، وعلى المستمعين .

أما فوائده على الخطيب فهو :

أولا : يؤدى إلى العناية بتحضيره لخطبته ، واعدادها بعناية .

ويجعله **. ثانيا .** ملتزما بموضوع خطبته . متمسكا بالأجزاء التي يذكرها في تقسيمه بحيث لا يتعداها أبدا .

ويبعده **. ثالثا .** عن التكرار والإعادة . وبذلك يكون خطيبا موضوعيا موفقا .

وأما فوائد تحديد العناصر على الخطبة ذاتها :

فإنه **. أولا .** ينسقها بترتيب عناصرها . وتسلسل أفكارها .

وهو **. ثانيا .** يجعلها منحصرة في موضوعها وحده ، وبذلك تنأوا عن الابتذال والسقوط .

وأما فوائد تحديد العناصر والالتزام بها على المستمعين .

فإنه يوقفهم على سياق الخطبة وأجزائها . وهذا داع إلى انتباه المستمعين ، وحرصهم على الإدراك التام . ومتابعة الخطيب وهو ينتقل من عنصر لآخر وهكذا .

ويجب أن تجمع العناصر الخصائص التالية :

(أ) الشمول التام لكل أجزاء الخطبة بحيث لا يترك عنصرا ، أو اتجاها ما إلا بعد توضيحه ، وتقديم أدلته ، ورد الشبه المثارة ضده .

(ب) البعد عن ذكر أجزاء ليست داخلة في الموضوع العام للخطبة .

(ج) الاستقلال الواضح لكل جزء بحيث لا يتكرر الجزء الواحد ولا تتكرر جزئيات هذا الجزء في جزء آخر .

(د) الوضوح المعنوى لسائر الأجزاء بحيث يدركها السامع بيسر وترتيب .

(هـ) الإيجاز الوافى مع سائر العناصر لأن ذلك أدعى للحفظ ، وأقوى في الإحاطة .

وتحديد العناصر يستحسن كثيرا في الخطب الطويلة . وفى الخطب القضائية ، والسياسية .

(و) الانتقال من جزء لآخر في ترابط وانسجام بعيد عن الخلل والتناقض .

إنى أركز على أهمية هذا الجزء بعدما استعمت لخطب عديدة من خطباء عديدين ، وتبين لى أن الخطيب الذى لا يجهز عناصر خطبته يدور حول نفسه جائرا ، يترك العنصر ليعود إليه مرة ومرة ، وذلك بسبب جهله بالعناصر المطلوبة التى لم يعدها ، ولم يستعد بها ... ومن العجيب أن هذا الخطيب الحائر اسمعه في خطب أخرى أعدها وجهزها فأراه رائعا ، أفاد بخطبته ، وحصل على حب الناس .

إن خطباء العصر يحملون مهمة ضخمة ، فهم يواجهون إعلاما علمانيا وغزوا ثقافيا ، يشكك في كل الحقائق ، ويحاول إطفاء نور الله ، وهذا أمر يحتاج منها إلى جهد العلماء والدعاة ، واخلاص الخطباء .

الجزء الرابع
الأدلة المؤيدة والتعبير الراقى

وهذا القسم هو الأدلة المؤيدة لعناصر الخطبة وأجزائها ، ولا بد أن تكون الأدلة أمورا تثبيته لأن الخطبة تأتى من أجل إثبات أمر ، ورد ما يضاده من أقوال[١] ، ولذلك لزم أن تكون الأدلة والعبارات في إطار إثبات المطلوب وقد اهتم العلماء المحدثون بهذا الجزء وقسموه إلى قسمين[٢] .

أولاهما : يتعلق بتوضيح الموضوع وايراد أدلته .

وثانيهما : يتعلق بنقد دعاوى الخصوم والرد على المعارضين .

وهذان القسمان يحتاجان لتوضيح وتفصيل .

القسم الأول
البيان والتوضيح

بعدما يشير الخطيب إلى أجزاء خطبته . بوضع عناصرها الأساسية يلجأ إلى شرحها . وتأييدها بما يؤكدها عند المستمعين . ويلونها في أساليب متعددة من أجل الإقناع والتأثير . مستخدما في ذلك ما يكون في الخطبة من لفظ جميل ، وأسلوب رقيق . ومعنى دقيق . والخطيب الناجح هو الذي يستخدم سائر معارفه في إفهام خطبته للمستمع . ومن الأساليب التي يمكن أن يستخدمها الخطيب في توضيح موضوعه ما يلي :

(أ) الأسلوب القصصى : وهو الأسلوب الذي يتخير من أخبار السابقين جزءا ملائما لحال المستمعين . ويستدل به على ما يريد .

---

(١) الخطابة صـ٤ تخليص الخطابة صـ٢٤ ، ٣٢٢ .

(٢) أصول الخطابة صـ١١٧ الخطابة صـ٤٨ .

وهذا الأسلوب له أهمية كبرى . وتأثيره أكبر ، وقد أكتشفه الأقدمون ، حيث حدث أن كفار قريش كانوا يعارضون رسول الله ﷺ بما يقصونه من حكايات . إذ كان النضر بن الحارث يأتى نيابة عنهم ، ويقول للناس : "**إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود . وأنا أحدثكم بأحاديث رستم . وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة**"[١] ، وما كان ذلك منه إلا لعلمه أن الناس تتأثر بقصص السابقين وأخبارهم .

وفى القصص القرآنى تأثير بالكلمة ، وتأثير بالحدث ، وتأثير بالأشخاص ، وتأثير بالواقع كله .

أما تأثيره القولى فبسبب اهتمامه بفنون البلاغة بأنواعها كلها ، إقرأ قوله تعالى قاصا إجابة موسى لفرعون حين سأله عن ربه : ﴿ **قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴾[٢] نرى أنه عليه السلام ذكر أدلة وجوب وجود الرب المعتمدة على قدرته ، وعنايته بالإنسان ، حيث هداه إلى الخير ، وذلك كله في هذه الجملة القصيرة التي يحتاج تفصيلها إلى كتب كثيرة، يقول الرازي : الشروع في بيان عجائب حكمة الله في الخلق والهداية شروع في بحر لا ساحل له[٣].

واقرأ قوله تعالى قاصا مقالة الهدهد لسليمان : ﴿ **وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** ﴾[٤] فقد بين الهدهد بهذه الكلمات الأربع أن غيبته كانت لغاية كبرى تفيد سليمان وتهمه ، وقد أتاه الهدهد من مكان بعيد ناء ، وأنه جاءه بأخبار لم تعرف من قبل ، ولم تكن محتملة ، وهي أخبار صادقة لا تحتمل الكذب أبدا

---

(١) تفسير الرازى جـ٢ صـ١٣٧ .
(٢) سورة طه ، الآية ٥٠ .
(٣) مفاتيح الغيب جـ٦ صـ٦٠ .
(٤) سورة النمل ، الآية ٢٢ .

وقد جاءت الكلمات الأربع في جمال وحسن يبدوان من الإدغام ، والغن ، وتنوع شكل الحروف ، وهكذا سائر التراكيب .

يقول الباقلاني ما رأيك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[١] .

فإن هذه الآيات تشتمل على ست كلمات (جمل) سناؤها وضياؤها على ما ترى ، وسلاستها على ما تشاهد ، إنها تشتمل على جملة ، وتفصيل ، وتفسير ، حيث ذكر العلو في الأرض ، وفسره باستضعاف الخلق بذبح الولدان وسبي النساء ، واذا تحكم في هذين الأمرين فما ظنك بما دونهما ، ثم ذكر الفاصلة التي ردت آخر الكلام إلى أوله بقوله : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ .

ولعل إجابة موسى على فرعون ، واجابة الهدهد، ووصف فرعون لو حاول بشر أن يصوغها ابتداء ، لاستوفاها بأضعاف أضعاف كلماتها .

أما تأثيره بالجملة القرآنية في القصة فإنها تتكون تكون من كلمات متفقة ، ومؤتلفة ، ومتعاونة في أداء المعنى ، وكأن كل كلمة جزء لجاراتها لفظا ومعنى .

اقرأ قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢] ترى أن كلماتها مرتبطة ومؤدية لكثير من المعاني .

---

(١) سورة القصص ، الآية ٤ .

(٢) سورة هود ، الآية ٤٤ .

يقول عبد القاهر معلقا على هذه الآية : إنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض ، وان لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثانية بالثالثة ، وهكذا إلى أن تستقر بها كلها ، ثم يقول : إن شككت فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤدية وهي في مكانها من الآية قل ﴿ **ٱبۡلَعِي** ﴾ واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها والى ما بعدها ، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها ، وكيف بالشك في ذلك ، ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت . ثم أن كان النداء بيا دون أي . ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال "ابلعي الماء " ثم إن نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، ثم اتبعه بنداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ثم إلى بناء الفعل " غاض " للمجهول للدلالة على إنه لم يغض إلا بأمر آمر ، وقدرة قادر ، ثم إن تأكيد ذلك وتقريره بقوله وقضى الأمر ، ثم إلى ذكر ما هو نتيجة لهذه الأمور جميعا وهو الاستواء على الجودي ، ثم إلى إضمار السفينة قبل الذكر للتعظيم والتفخيم ، ثم إلى مقابلة " قيل " في الخاتمة بـ " قيل " في الفاتحة[١] .

وهكذا نرى أن الأسلوب القصصي في القرآن يصور الحقائق في براعة نادرة ، أخذت بلب البلغاء ودهشتهم ، وجعلت العرب ، وهم أرباب البلاغة . معنى وبيانا وبديعا . يقفون أمامها وليس لهم إلا التأثير والتسليم .

والجملة في القصة القرآنية تراعى عملية التأثير في نفسية المستمعين على حسب وضعهم لأنها تتجه لما سيقت له بدقة ، وتتعامل مع الواقع على ما هو عليه .

---

(١) الإيجاز في شرح دلائل الإعجاز صـ٣٢ .

كما أن القصص القرآنى يراعى واقع الناس ، ويعالج ما هم فيه ، ففي القصص المكي يوم أن كان المسلمون غير آمنين في حياتهم ومعاشهم ، والمشركون منصرفين عن القرآن إلى الماديات المثيرة لوجدانهم ومشاعرهم .

في هذا الوقت كان على القصة أن تستولي على القلوب بأسلوب مناسب للنفوس القلقة من حيث قصره ، وايجازه ، وتصويره لموقف أخاذ ، أو إيرداه حادثة تطمئن المضطرين ، وتخوف ظالميهم .

وهذا الأسلوب لابد أن يكون على صورة الأسجاع العربية ، لأن ذلك هو الذي يثير العربي ، ويوقظ مشاعره ، ويشده إليه اقرأ قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾[1] ففى هذه الكلمات القليلة تعبر الآيات عن المعاني الكثيرة بدقة وايجاز ...

فحين نقرأ ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ندرك أن العلم بهذه الأخبار يقين كالمشاهدة الحسية تماما ...

ومن جملة الآيات نعرف عادا وموطنها ، وضخامة أشخاصها بصورة لا نظير لها ، ونعرف ثمود الذين قطعوا الصخر ليصنعوا بيوتهم بالوادي منه ونعرف فرعون بكثرة جنوده ، ونعرف أن هؤلاء جميعا عادا وثمود وفرعون كانوا طغاة ظالمين مكثرين في إفسادهم بالكفر والقتل والظلم ، وكانت عاقبتهم أليمة ، واستحقوا ما فعل الله بهم حيث رصد الله أعمالهم كلها ... وهكذا اشتملت هذه

---

(١) سورة الفجر ، الآيات ٦ . ١٤ .

الآيات القصيرة على مجموعة من الأقاصيص غايتها واحدة هو بيان شدة العذاب ودوامه ، إذ الصب يشعر بالدوام ، والسوط يشعر بزيادة الآلام[١] .

ولعل هذه الموسيقى المؤثرة الواضحة من مقاطع الآيات القصيرة هو السر في نزول القصص المكي غالبا على هذا النمط .

ومن فنية القصة القرآنية أنها لا تعطي أحداثها دفعة واحدة ، بل تتخير حدثا مفيدا للغرض وتهتم به ، وبذلك تحقق شيئين لابد منهما في الدعوة إلى الله تعالى هما :

- تجزئة القصة الواحدة .
- وتكرار الحدث الواحد .

وبهذا تتحقق أغراض القصة في سهولة ويسر ، لأن التجزئة لا تثقل على السامع ، والتكرار في حد ذاته له تأثير عجيب فإن أدركنا أن التكرار القرآني لا يعني الالتزام بصورة واحدة دائما ، وانما هو في القرآن الكريم جديد في كل مرة بزيادة أحداث ، والتركيز على جوانب معينة مع تغير الصنيع ، وتنوع التوجيه ، وتعدد الأهداف ، حين ندرك ذلك ، وهو حق ، نعلم ما في القرآن الكريم من دقة واعجاز وبخاصة في التكرار والتجزئة .

وحتى نتبين هذين الشيئين في قصص القرآن نقرأ قصة نوح عليه السلام كما جاء بها القرآن الكريم .

فهي في سورة الأعراف تحتل الآيات من (٥٩) إلى (٦٤) وتركز على ضلال القوم بشكل عام ، وتبين استغراقهم فيه ، وتشير إلى عاقبة الكفر والاستكبار وجزاء الإيمان والطاعة .

وهي في سورة هود من آية (٢٥) إلى (٤٨) تركز على بيان الأدلة الواقعة على الإيمان بالله إذ هو مصدر الرحمة : ﴿ وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾

---

(١) تفسير النسفي جـ٤ صـ٣٤٥ . ٣٥٥ بتصرف .

والأجر والحق عنده : ﴿ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ ، والنصر منه وحده : ﴿ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ ﴾ ، وهو العليم بالخفي والظاهر : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ ، ومشيئته مطلقة في إنزال العقوبة : ﴿ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ ﴾ ، واليه المرجع والمآب : ﴿ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ ، ونرى من مناقشات القصة في سورة هود أن نوحا عليه السلام كان يديرها نحو الأدلة ولم يسترسل معهم في المجادلة الباطلة .

وهي في سورة الأنبياء تحتل آيتي (٧٦ ، ٧٧) وتركز على النعم التي جعلها الله لنوح بشكل مجمل وموجز .

وفي سورة المؤمنون تأتي القصة في الآيات من (٢٣) إلى (٢٨) وتركز على نعمة الإنجاء بواسطة السفينة ، وهي نعمة تستحق الحمد : ﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] .

وفى سورة العنكبوت تركز على بيان المدة التي مكثها نوح في قومه لأن عليه السلام مكث فيهم : ﴿ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾ .

وفى سورة القمر تركز على تهويل صورة العذاب وكيف يبدو من قوله تعالى : ﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴾[2] .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية ٢٨ .

(٢) سورة القمر ، الآية ١١ ، ١٢ .

وفى سورة نوح نرى التركز على أعمال نوح عليه السلام يقدمها إلى ربه موجزا عمله خلال مدة بعثه طالبا من الله أن ينزل العقاب على الضالين الكافرين ويذكر له نتيجة خبرته الطويلة معهم وكأنها في سورة نوح بيان ختامي يقدمه نوح عليه السلام لله رب العالمين .

فهذه سبع مرات لقصة نوحل ، ولكل مرة أحداثها البارزة الواضحة المركزة على جانب معا لتكون مفيدة في هذه النقطة ، وليأخذ من نزل القرآن لهم من تجزئة القصة درسا لهم .

فالعلم بعاقبه المؤمنين والكافرين درس من القصة في الأعراف .

والأدلة الإيمانية درس من سورة هود .

وضرورة الحمد على النعم درس سورة المؤمنون .

كما أن بيان رفعة منزلة النبي ﷺ عند الله درس سورة الأنبياء .

والإحاطة بقدرة الله في تعريف قوى الطبيعة درس سورة القمر .

وهكذا جزأ القرآن أحداث قصصه ليوسع الفائدة بها ويوجد الدافع إلى التأثير والهدف .

من الممكن أن يستفيد الخطيب وهى يعد خطبته بهذه اللمحات القرآنية في القصة القرآنية ، فيختار حدثا ويستعرض ما فيه من دروس وعبر .

أو يتقن فنية التكرار وما لها من تأثير وفائدة .

إن القصة نوع من الأدب له جمال . وفيه متعة ، تؤثر في نفوس الكبار . كما تؤثر في نفوس الصغار ، لأنها تجذب العقل ، وتخاطب الوجدان وقد أدرك العرب قديما ما للقصة من تأثير فاستفادوا بها .

ولعل أكبر ما يحدثنا عن فائدة القصص في الخطاب ما نراه من أحاديث الرسل لأممهم . إذ تراهم صلوات الله عليهم يقصون أخبار السابقين من

أجل الإنذار والتخويف ، يقول هود عليه السلام لقومه : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [١] . ويقول شعيب عليه السلام لأهل مدين : ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾[٢] .

ولأهمية هذا النوع في الاستدلال وجدنا الكثيرين يؤلفون القصص الخيالية على ألسنة الناس . أو على ألسنة الطيور والحيوانات . هادفين من وراء ذلك نشر فكرة . وتأييد اتجاه . وقد حوى كتاب " كليلة ودمنة " الذي ألفه الفيلسوف " بيدبا " قصصا خيالية كثيرة على ألسنة الحيوانات والطيور ، تدور على ضرورة نشر العدل ، ومقاومة الظلم والعدوان ، ومعرفة أساليب ودهاء المخادعين .

والتربية الحديثة تركز في أساليبها على القصة كأسلوب تربوى هام .

ومن خصائص الأسلوب القصصى أنه يجزئ البيان ، ويراعى حال المدعوين . ويتدرج معهم من الأسهل إلى السهل ، كما أنه يأخذ المستمع إلى حوادثه وقضاياه ، ويدمجه معه في حالة من الانفعال النفسى ، وهذه تهيئة للتوجيه والاستفادة بصورة تلقائية ، وهكذا .

إن القصة تعد المجال الخصيب للترغيب والترهيب الذي هو فن جميل الأثر في الناس ، لأن الإنسان إذا أستثير شوقه إلى شئ ما زاد اهتمامه به .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٦٩ .

(٢)سورة هود ، الآية ٨٩ .

وسرعان ما يتحول هذا الشوق إلى نشاط يملأ حياة الفرد عملا ، وتحمسا ، وتعلقا بما تشوق له ، رغبة في الحصول عليه .

وأيضا فإن الخوف من شئ ما يجعل الإنسان يهابه ولا يرغبه . ويبتعد عنه حذرا من الوقوع فيه . وهذا أمر طبيعى . لأن الرغبة هي التي تحسن الأشياء ، والرهبة هي التي تصورها بصورة سيئة .

كما أن التأثير بالترغيب والترهيب يتفق مع فطرة الإنسان وطبيعته المحبة للثواب والنعيم ، الكارهة للعقاب والبؤس .

إن القصص القرآني من خلال قصه يذكر هذا الفن للناس فهو يرغب في الإيمان بالله ، واتباع الرسول ﷺ ويبين أن ذلك هو منهاج النجاة من كل شدة وعذاب ، ويذكر أن الناجين دائما هم المتبعون للرسل فلقد نجى الله أتباع نوح عليه السلام يقول الله تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾[١] .

ونجى أتباع هود عليه السلام يقول تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[٢] .

وعلى هذه الوتيرة في الإنجاء جرى الأمر مع أتباع الرسل كلهم لأن إنجاءهم يخضع لقاعدة يجب أن تبقى واضحة وقد عرفها لنا الله بقوله : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] .

يقول أبو السعود : في هذه الآية تنبيه على أن مدار النجاة هو الإيمان[٤] ويشير الرازي إلى أن قوله تعالى : ﴿ حَقًّا ﴾ يفيد وجوب الإنجاء

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٧٢ .

(٢) سورة هود ، الآية ٥٨ .

(٣) سورة يونس ، الآية ١٠٣ .

(٤) تفسير أبو السعود جـ٢ صـ٣٥١ .

بسبب الوعد لأن تخليص الرسول والمؤمنين معه من العقاب إلى الثواب واجب أوجبه الله على نفسه ، ولولاه لما حسن من الله تعالى أن يلزمهم الأفعال الشاقة[١] .

وكما أن الاتباع يستلزم النجاة فهو أيضا طريق التمكن في الأرض والتمتع بخيرها والأمن والهدوء فيها، كوعد الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ﴾[٢] .

وما أعطى الله الذين سبقوا هذه النعم الغالية إلا لأنهم يعبدون الله وحده ولم يشركوا به وقد وضح تنفيذ هذا الوعد جليا مع بنى إسرائيل أتباع موسى عليه السلام فلقد ورثوا أرض الشام بما فيها من خير وبركة يقول الله تعالى : ﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ ﴾[٣] .

وكما أن الاتباع سبيل إلى الإنجاء والتمكين فهو أيضا سبيل النصر .

ولا يقتصر الترغيب على الإيمان بالله وتصديق الرسول ﷺ بل إنه يتعدي ذلك إلى الترغيب على سائر الطاعات والأخلاق الفاضلة إذ يجعلها من أوامر الرسل في أقوامهم حين يأمرون بالعبادة الحقة والأخلاق الفاضلة من أمثال الوفاء بالوعد ، وايفاء الكيل ، والعدل – والاستقامة – والعفة وما دام

---

(١) مفاتيح الغيب جـ٥ صـ٤٦ .

(٢) سورة النور ، الآية ٥٥ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٣٧ .

مطيعو الرسل في نجوة وتمكين وانتصار بسبب طاعتهم فإن المستمعين للقصص يحبون الخير، ويريدونه ، ويطيعون الرسول ﷺ فيه .

وكما يرغب القصص في الخير، يخوف من غيره حين يبين عاقبة المكذبين للرسل ، الكافرين بالدعوة الموجهة إليهم ، وهو عذاب رهيب بحق يدفع العقلاء إلى الابتعاد عنه بتجنب كل ما يؤدي إليه ، فيصدقون الرسول ويؤمنون بالدعوة ، لأنهم لو كذبوا فسيأتيهم ما أتى ثمود وعادا من عذاب بينه الله تعالى في قوله سبحانه : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[١] .

يفسر الزمخشري طاغية ثمود بالواقعة المجاوزة للحد من الشدة ، والريح الصرصر بأنها الشديدة الصوت والعصف والعتو والنحس والاستمرار حتى صرعتهم ، وقطعت رقابهم[٢] .

ولو أجال العاقل فكره في سائر الأمم المكذبة لعلم يقينا أن العذاب الذي وقع عليهم عجزوا عن مقاومته رغم شدة قوتهم ، وتمكنهم من آثار الأرض .

إن الواجب على العقلاء أن يجيلوا فكرهم في قصص السابقين ويتدبروا فيه فما ذكره الله إلا لأجل إفادتنا .

وقد امتلأ القرآن الكريم بقصص الأمم السابقة الحقيقية . وجعلها وسيلة قرآنية للدعوة إلى الله ، فهي تعرف بالله ، وتبين صفاته ، وتفيد حجج المعارضين ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتستشهد بالواقع العملى في التوجيه ، ومن المعلوم أن الإنسان يتأثر بما يسمعه عن غيره أكثر من أن

---

(١) سورة الحاقة ، الآيات ٥ . ٧ .

(٢) تفسير الكشاف جـ٤ صـ١٤٩، ١٥٠ .

يلقى إليه مباشرة ، ويستفيد بالماضى للنهوض بالحاضر ، وتحسين المستقبل . ولأهمية القصة في التأثير كان أمر الله لرسوله **ص** باتخاذها أسلوبا للدعوة فقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[1] .

إن على الخطيب الكفء أن يستفيد بالقصة . أسلوبا ومنهجا . عن طريق اختياره للمناسب من أحداثها وعرضه أمام مستمعيه . واحاطة كلماته بالمؤثر المفيد .

ولعلنا هنا ندرك سبب نجاح القصاص[2] في دعوتهم إلى الله .

(ب) الأسلوب المجازى : وهو الأسلوب الذي يلون الأقوال بالتشبيهات والمجازات والكنايات . وفائدة هذا الأسلوب تأتى من حيث تقريب البعيد . وتجسيم المعنوى بالمحسوس . وبيان الغامض بالواضح . كما أن إيصال المعنى بصور بيانية متعددة هو البلاغة في الحقيقة .

يقول ابن السعود : "التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء ، وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبى . وقمع صورة الجامح الأبى . كيف لا ! وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٧٦ .

(٢) القصاص هم الذين كانوا يقصون على الناس أثار الأمم البائدة . وقد وجدوا مع بدء الدعوة الإسلامية . ولهم أثر كبير في مجال تبليغ الإسلام ، ونلاحظ أن مادتهم القصصية في القرن الأول كانت تستمد من القرآن والحديث وأخبار أهل الكتاب الذين أسلموا . وبعد مرور قرن هجرى بدأ القصاص يروون الأكاذيب في قصصهم ، فانحطوا بمستواها الوعظى . وأخذوا ينقلون عن الرومان وغيرهم الأساطير التي لا أصل لها .

وابرازها في معرض المحسوسات الجلية . وابداء المنكر في سورة المعروف واظهار الوحشى في هيئة المألوف"[١] .

ويقول الجرجانى : "وأعلم أن مما اتفق عليه العقلاء أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعانى أو برزت هي باختصار في معرضه . ونقلت من صورتها الأصيلة إلى صورته كساها أبهة . وكسبها منقبة . ورفع من أقدراها وشب من نارها . وضاعف قواها في تحريك النفوس لها . ودعا القلوب إليها . واستثار لها من أقاصى الأفئدة صبابة وكلفا . وفسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا . فإن كانت مدحا كان أبهى ، وأفخم ، وأنبل في النفوس ، وأعظم وأهز للعطف ، وأسرع للإلف ، وان كانت افتخارا كان مسه أوجع ، وحده أحد . وأن كانت حجاجا كان برهانه أنور . وبيانه أبهر . وان كانت افتخارا كان شأوه أبعد . وشرفه أجد . وان كانت اعتذارا كان إلى القلوب أقرب وان كانت وعظا كان أشفى للصدر وادعى إلى الفكر . وأبلغ في التنبيه والزجر وأجدر بأن يجلى الغياية ويبصر بالغاية . ويبرئ العليل . ويشفى الغليل"[٢] .

وقد يحتوى التمثيل على قصة مركبة . وحينئذ يعرف بـ "القصة التمثلية" وهذا النوع موغل في القدم . فقد استعمل الأنبياء هذا الأسلوب المجازى كثيرا ، ومن يقرأ التوراه يجد فيها أمثالا عديدة ، وقد استعمل المسيح الأمثال في نشر دعوته إلى بنى إسرائيل ، والقرآن الكريم يحوى كثيرا من هذا النوع . وبذلك صنع التأثير النفسى الرائع ، وكان بذلك أسلوبا ناجحا في نشر الدعوة .

(ج) الأسلوب المنطقى : وهو الأسلوب الذي يستعمل الأقيسة المنطقية بعد أن يشكلها بالأسلوب الخطابى ، وذلك بأن يطوى بعض المقدمات ، ويضمرها في ثنايا الخطبة ، أو يثبت دعواه بإبطال نقيضها . وهو ما يعرف بـ

---

(١) تفسير أبو السعود جـ١ صـ٤٠ .

(٢) أسرار البلاغة صـ٩٢ ، ٩٣ .

"قياس الخلف" أو يثبت الدعوى بإلحاقها في حكم كلى مقرر عند المستمعين وهو ما يعرف بـ "التمثيل" .

وعلى الخطيب إذا لجأ للأسلوب المنطقى أن يصبغه باللون الخطابى بأن يجعله متماسكا ، آخذا بعضه بحجز بعض . ويجرده من شكله المنطقى الجاف الذي يمتلئ بالقضايا ، والأقيسة حتى لا يبدو قضية رياضية تتجه إلى العقل وحده في إيجاز وقصر . وتركيز ، ولو سلكها الخطيب لا ندفع السامع إلى اللامبالاة والإهمال . وبخاصة العامة وهم الجمهور العريض في المستمعين .

إن هذه الأساليب وأمثالها وسيلة الخطيب لشرح موضوعه وبسطه أمام الجمهور الذي يخاطبه حتى يجليه على الوجه الصحيح فإن ظهر له معارض من الخصوم فإن عليه أن يهتم بالتوجيهات التي سنتحدث عنها في القسم الثاني .

القسم الثاني
المناقشة والتحليل

المناقشة تعنى عدة عمليات ذهنية مترابطة ، لأنها تتضمن معرفة الرأى المخالف ، والوقوف على براهينه وحججه ، ومدى موافقته أو مخالفته لما تضمنته الخطبة ، ومناقشة كافة هذه الجوانب بتحليل الرأى المخالف ، واظهار تهاوى أو ضعف أدلته ، أو بيان أثره السئ وعدم إفادته للناس ...

هذه العمليات الذهنية تعنى في الجملة الرد على معارضات الخصم الذي يضاد موضوع الخطبة ، ولذلك ينبه الدكتور " رسل " الخطباء على هذا حتى يعدوا للمناقشة ، ويستعدوا لها ، ولذلك قال[١] آمرا الخطيب :

(١) سجل الحقائق التي جمعتها من المعارضين لتبقى حية أمامك ، وحتى لا تضيع منك بصورة كلية أو جزئية ، لأن ثبوتها عند الخطيب يسهل الوقوف عليها ، ومناقشاتها ، وتحليلها ، وردها بعد ذلك .

(٢) جادل فيها مع نفسك قبل مواجهة الناس ، ولا تكن كالآلة الصماء التي تحفظ النص ، وهى لا تفهمه ، بل تأمل فيما جمعت ، وقف على أوجه النقد ، وابحث عن الرد وأنت وحدك لتواجه به الجمهور بعد ذلك .

(٣) اعرف الدليل الذي يعتمد عليه الخصم لتقف على وجه القوة والضعف فيه حين تناقشه ، وحين تواجهه تجد نفسك أيها الخطيب قد غزوت ميدانه ، وهدمت عرشه ، وبذلك تبطل دعواه ، وتسقط معارضاته .

(٤) فند الدليل المعارض ، واستحضر القضية كاملة قبل مواجهة الناس ، ورتب مناقشتك ، فأمامك دعوى الخصم ، ودليله ، ورده عليك ، وعليك أن ترد دعواه ، وتبطل أدلته ، وتسقط معارضته ومزاعمه .

---

(١) التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة صـ٥ .

وبذلك تثبت القضية التى تدعو إليها ويأتى بيانك بعد ذلك في الخطبة لتأكيد ما ترديده من كلامك ، وتقويه ، وتثبته .

ويجب أن يهتم الخطيب فعلا بالتفنيد لأهميته ومعناه أن يرد دعوى المعارض ، ويرد الأدلة لينقض الدعوى نقضا تاما .

يقول ابن عبد ربه : "إن الجوابات هي أصعب الكلام كله مركبا ، وأعزه مطلبا . وأغمضه منصبا . وأضيقه مسلكا . لأن صاحبه يعمل مناجاة الفكرة . واستعمال القريحة . يروم في بديهته نقض ما أبرم القائل في رؤيته"[١] .

ومن صور المناقشة : **ما يسمى بالاستدراج** وهو حال يقوم على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم ، وذلك باتخاذ موقف محايد بين مختلف الآراء ، ومناقشتها في حياد وموضوعية مع إعلاء الجانب الذى الحق معه ، وهو الذى يدعو إليه ، ومثال الاستدراج قول الله تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾** ﴾[٢] . فنجد أن الرجل جاء لقومه من جهة المناصحة ليكون أدعى إلى سكونهم إليه ، وناقشهم مناقشة عقلية هادئة ، وقدم نفسه لهم محايدا ، فسألهم عن سبب محاولتهم قتل موسى ، وعن الجريمة التي ارتكبها ، وهل هي دعوته إلى التوحيد ، وقوله ربى الله ، مع أنه يقدم دعوته بأدلتها ... وعليهم أن يردوا دعوته ، أو يبطلوا أدلته إن تمكنوا من ذلك ، وبين لهم بعد ذلك أن احتمال صدقه أو كذبه

---

(١) العقد الفريد نقلا من أصول الخطابة صـ١٢٨ . والجوابات تعنى الرد على المعارضين ولو لمجرد التصور .

(٢) سورة غافر ، الآية ٢٨ .

لا يضرهم ، وحينئذ فلا معنى لقتله ، وقدم لهم احتمال كذبة على احتمال صدقه ليثقوا بحياده ومنطقه ، وختم الآية بحقيقه عامة تشمل الجميع وهى أن الله تعالى لا يهدى الكاذب المعتدى .

يقول ابن الأثير : في الآية من خداع الخصم واستدراجه بما لا خفاء فيه وقد تضمنت من اللطائف الدقيقة الكثير[١] .

ومن صور المناقشة **التصدى للخصم** برد معارضته دفعة واحدة ، أو برد المقدمة وحدها ، أو برد الدليل ، أو برد النتيجة .

والأولى في هذه الصور أن يستعرض الخطيب فكرة الخصم . ويحللها ويوضحها . ثم يردها بما أمكنه من دليل ، ولا مانع من رد فكرة الخصم برد أدلته ، أو بالإتيان بأدلة من عنده ، أو بالطريقتين معا .

ويجب أن يلاحظ أن مرحلة ذكر الأدلة يجب أن تحفل بالنصوص ذات الأثر القوى عند المستمعين . وهذه النصوص تكون من الحقائق الإسلامية في الخطب الدينية ، وتكون من القوانين في الخطب العسكرية والقضائية وهكذا . لأن النصوص الموثقة أدعى إلى التصديق . وأسرع في الإقناع والاستمالة . وهى برهان الصدق ودليل الحقيقة .

إن الإنسان يقاد من داخله ، ولذا كان الإقناع هو الطريق الصحيح لزرع الحقائق في القلوب .

---

(١) المثل السائر صـ١٩٠ .

الجزء الخامس

الخاتمة

لا جدال في أن هذا القسم هو أقصر أقسام الخطبة ، وهو أشبه بكلمات الوداع عند ترك المسافر أهله ومحبيه ، وعادة تكون كلمات الوداع قصيرة ومعبرة ومؤثره ، ولذلك لابد أن تكون كلمات الخاتمة قوية التأثير . عميقة الدلالة على موضوع الخطبة . لأنها توجز الموضوع في كلمات قصيرة تبثها في أذان المستمع ليحفظها ويتخذها معلما لنشاطه وحياته . وبذلك يستمر حفظه للخطبة كلها .

إن حسن الختام لا يقل أهمية عن براعة الاستهلال فكما أن الاستهلال الجيد يبهر المستمع فإن الختام الجميل يوصيه ويودعه ، ولئن كانت المقدمة تعد السامع للتأثير . وبيان الموضوع يعده للانتباه . والتقسيم يعده للتركيز . والإثبات يجعله يقتنع ويصدق . فإن الخاتمة تودع الموضوع كله في ذهن المستمع بحسنها ورونقها .

ولقد دأب الخطباء أن يجعلوا الخاتمة إيجازا لما سبق في الخطبة . وبعضهم يركزها في فكرة رئيسية .

ونحن نشجع التركيز في فكرة رئيسية مع تأييدها بأثر دينى يحييها ، لأن الخاتمة لا تحتمل النقاش والتقسيم ، ويجب أن تساق هذه الفكرة في صورة بليغة جميلة .

أنظر في خواتيم سور القرآن نجدها في غاية الحسن ، وغاية الدلالة على موضوع السور . مع تضمنها على ما يؤذن بانتهاء الكلام حتى لا يبقى انتظار عند المستمع . ومن أحسن ما أذن بالختام خاتمة سورة إبراهيم : ﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ

﴿ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[١] فهى تودع القراء والمستمعين ، وتذكرهم بأن ما نزل لهم هو بلاغ خالص يبشرهم ، وينذرهم ، ويعرفهم بأن الله إله واحد ويذكرهم بعبوديتهم لهذا الإله الواحد ، ومثلها خاتمة الأحقاف والحجر بقوله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [٢] . وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدنت بأهوال القيامة وختمت بقوله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[٣] .

❖ ❖ ❖

وعلى الخطيب أن يبذل وسعه في الإحاطة والإجادة في كل أجزاء الخطبة ليقدر على الأداء السليم الذى يحقق غاية الخطبة في المستمعين ، ... لأنه لو ضم إجادة التقسيم إلى فطرة مستعدة لكان خطيبا ناجحا في رسالته .

وعليه كذلك أن يجعل الأقسام مترابطة متسلسلة . بحيث لا يشعر المستمع بانتقاله من قسم إلى قسم آخر بعده . لينجو بخطبته من التفكك والضعف . وحتى يملك عنصر التأثير في مستمعيه .

إن مواجهة المستمعين مسئولية وأمانة تحتاج إلى أدائها على وجهها الصحيح لتحقق المراد منها خدمة لدين الله ، وعونا للناس أجمعين .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية 52 .
(٢) سورة الحجر ، الآية ٩٩ .
(٣) سورة الزلزلة ، الآية ٧ ، ٨ .

المبحث الثالث
أنواع الخطبة عند أرسطو

يعتبر أرسطو أول من اتجه إلى تمييز الخطبة ، وتقسيمها إلى أنواع متغايرة . وبالنظر في كتابه " الخطابة " وشرح ابن رشد له نلحظ أنه اعتمد في التقسيم على المستمعين ، وعلى الزمن الذي حدثت فيه وقائع الخطبة . وعلى الخطيب نفسه . وذلك لأنه نظر فوجد المستمع إما مستمعا عاديا . أو من ذوى المراتب الرفيعة ، ووجد الزمن ماضيا . أو حاضرا . أو مستقبلا ووجد الخطيب إما أن يكون هو الحاكم . أو هو مناظر من الناس . أو مقنع في موضوع ما . وقد أدى به نظره السابق إلى أن الخطبة أنواع ثلاثة :

النوع الأول
الخطبة المشورية

وهى الخطبة التي تشتمل على التوجيهات الآمرة والناهية . وفيها الإذن بفعل شئ . والنهى عن فعل شئ آخر .

ومن المعلوم أن الأمر والنهى يقتضيان تطبيقا لهما في المستقبل .

ولا يكونان إلا من صاحب رتبة ومنزلة في الناس .

وأما المستمع الذى يوجه الأمر والنهى إليه فقد يكون من العامة . أو من الخاصة الذين هم في منزلة أقل من الخطيب المشورى .

وعلى ذلك :

يكون هذا النوع متعلقا بالمستقبل .

والخطيب فيه من ذوى المراتب العالية .

والمستمع من العامة أو من الخاصة .

وهدف هذا النوع تحقيق النفع . وابطال الضرر .

ويرى أرسطو أن هذا النوع لا ينبغى أن يكون إلا في الأمور الممكنة ، لأن الأمر القابل للتنفيذ يكون فيما يستطاع ، أما الأمر بالمستحيل فإنه لا يفيد ويقلل من قدر قائله .

يقول أرسطو : "ليس في كل شئ تكون المشورة . لكنها تكون في الممكن الذي يستطاع أن يكون وأن لا يكون . فأما اللاتى من الاضطرار أن تكون أو لا يستطاع أن تكون فلا تحتاج لمشورة"(١) .

وتدور الخطب المشورية حول التوجيه والإرشاد وبخاصة فى الجوانب السياسية والعسكرية التى يلجأ إليها القادة والرؤساء لإخبار رعاياهم وأتباعهم بما يريدون .

النوع الثانى
الخطبة المشاجرية

وهى الخطبة التى تتصل بالتنازع والتشاجر ، ذلك أن المتشاجرين يحاولون الشكاية إن تصوروا الحق معهم ، أو الاعتذار إن كان الحق عليهم . وعلى ذلك فموضوع هذا النوع هو الشكوى والاعتذار .

ومن المعلوم أن الشاكى أو المعتذر إنما يتوجه بشكايته واعتذاره إلى أصحاب المراتب العليا لكى يظهر حقه أو يتنصل مما وقع .

وعلى ذلك فهذا النوع تتحقق وقائعه فى الزمن الماضى .

ويكون الخطيب فيه من العامة .

والمستمع لهذا النوع لا بد أن يكون حاكما يقضى فى الشكاية بعد سماعها .

---

(١) الخطابة صـ١٩ ، وقد بين ابن رشد في كتابة هذا نماذج لخطب مشورية وطريقة التحضير لها .

والخطب المشاجرية يكثر فيها الحوار ، والجدل لأن المتحدث فيها يعرض مشكلته أو مشكلة غيره ، وحينئذ يلجأ الخطيب إلى الأسلوب الملئ بالاستفهام ، والتأكيد .

وهذا النوع يعد من الخطب القضائية التى يلقيها المحامون أو أصحاب القضايا أمام القضاة .

وغاية هذا النوع تحقيق العدل . ورد الجور . واعطاء كل ذى حق حقه .

النوع الثالث
الخطبة التثبيتية

وهى الخطبة التى تهدف إلى المدح ، أو الذم بوصف ما هو كائن . واثبات موضوعها بالطرق الجمالية الممكنة ، وزمن هذا النوع هو الحاضر . **يقول ابن رشد** : "وأما الأمور التثبيتية فإن أولى الأزمنة بها هو الزمن الحاضر . أعنى القريب من الآن . فإن الناس إنما يمدحون ويذمون بالأشياء الموجودة حين المدح . وحين الذم ، ويتحدثون عن الممدوح والمذموم الذى هو كائن موجود ، ويمكن أن يكون المدح والذم موجها إلى الماضى كمن يمدح رسول الله فى صفاته ، أو يذم أعداءه لخلقهم السئ"[١] .

والخطيب والمستمع فى هذا النوع من الخاصة ، أو من العامة على سواء .

وهدف هذا النوع هو المدح أو الذم .

ويعرف هذا النوع بالخطب الاستدلالية ، أو البيانية .

---

(١) تلخيص الخطابة صـ٢٩ .

وبعد بيان الأنواع الأرسطية للخطبة نلاحظ فيها ما يلى :

(١) أن أزمنة الخطب متداخلة بمعنى أن يلجأ الخطيب المشورى إلى الزمن الماضى ليثبت مدعاه . ويرغب المستمع فى قبول أوامره ونواهيه . وبهذا ندرك أن تحديد زمن الخطبة أمر غالب ، وربما ارتبط الزمن بالهدف المقصود .

(٢) حين ننظر فى الغايات المقصودة فى كل نوع نرى التداخل فيما بينهما بمعنى أن يلجأ الخطيب إلى إثبات أن هذا الأمر عدل ويمدحه ليأمر به وأن ذاك جور يجب البعد عنه ، وهو بهذا يجمع خصائص الأنواع كلها ليحقق غاية خطبته ، ولذلك نرى أن نوع الخطبة يحدده هدفها فإن كان الهدف تحقيق أمر فهى المشورية ، وان كان الهدف رفع ظلم ، أو تحقيق عدل فهى المشاجرية ، و إن كان الهدف إظهار حسن أو بيان قبح فهى التثبيتية .

(٣) لم يتناول التقسيم القديم نوعا شائعا ، مهما هو الخطب الدينية ، وسبب ذلك الدين كان حبيسا بين رجاله يومذاك ، وكان معتمدا على الأساطير والخرافات ، ولم تظهر له خطب وخطباء ، أو تحدث حوله حوارات ومناقشات .

ومن الممكن الاستفادة بالتقسيم القديم فى الخطب الدينية ، وذلك بالاستفادة من خصائصه ، ومنهجه بعد صبغها بالصبغة الدينية ، **يقول ابن رشد** : "إن استعمل واحد غاية صاحبه فليس من أجل قصد صاحبه . بل من أجل الغاية الخاصة به"[١] ، ومعنى ذلك أن الهدف الأساسى للخطبة هو أساس التفسير ، وما عداه فهو من أجله ولخدمته .

---

(١) تلخيص الخطابة صـ٣٠ .

المبحث الرابع
الأنواع الحديثة للخطبة

لم يرتض علماء العصر الحديث تقسيمات أرسطو للخطبة لعدم وضوحها ، ولقصورها عن الإحاطة بما استجد ، ويستجد من أمور الحياة والناس . ولتداخل أنواعها فى بعضها . ولذلك جعلوا الخطبة أنواعا جديدة تعتمد على موضوع الخطبة ، وعلى تقدير وتوجيه الخطيب لها ، وحددوا لكل نوع إسمه وخصائصه .

والأنواع عند المعاصرين هى :

(١) **الخطبة الوعظية** : وهى الخطبة التى تتم فى دور العبادة ، وتتعلق بالعقيدة والإيمان . والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والدعوة إلى الأخلاق .

(٢) **الخطبة السياسية** : وهى الخطبة التى تدور حول الشئون العامة للدولة وتشمل الخطب الانتخابية ، والبرلمانية ، والرئاسية .

(٣) **الخطبة القضائية** : وهى الخطبة التى تلقى فى دور المحاكم من أعضاء النيابة ، أو من المحامين ، أو من المتقاضين .

(٤) **الخطابة العسكرية** : وهى الخطب التى تلقى فى الجنود ، ورجال الجيش .

(٥) **الخطبة المحفلية** : وهى خطب التأبين ، والمدائح ، ومحافل الفرح والتهانى ، ومجتمعات المدارس والنوادى ... الخ .

ويلاحظ أننا آثرنا تسمية النوع الأول بالوعظ لأن الإسلام دين يشمل كل جوانب الحياة عسكرية . وقضائية ، وسياسية ... وغيرها .

فأنواع الخطب جميعا دينية بالضرورة ، ومن هنا تعد الخطابة الوعظية نوعا من الخطابة الدينية الشاملة لكل الأنواع التى سأتناول البحث فيها .

ـ أولا ـ

الخطابة الوعظية[١]

تدور الخطابة الوعظية حول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى دور العبادة ، والمحافل العامة ودراستها تدور حول النقاط التالية :

ـ ١ ـ

تعريف الخطابة الوعظية

الخطابة الوعظية تشمل الخطب التي تلقى في دور العبادة ، والمناسبات المختلفة ، ويقصد بها توضيح العقائد ، والتمكين للدين في القلوب ورد الشبه التى توجه للدين بصورة عامة ، وأساسها في الإسلام خطبة الجمعة والعيدين ، وهى الخطب الدينية ، والدعوية .

وقد وضعت الشريعة الإسلامية ملامحها بتحديد الأركان والشروط والكيفية ... وغير ذلك .

ـ ٢ ـ

موضوع الخطابة الوعظية

يدور موضوع الخطابة الوعظية حول تكاليف الدين . أمرا أو نهيا . إذ من المعروف البدهى أن الأديان لا تنتشر ولا تزدهى إلا بالدعوة إليها ، ومن هنا كان لكل دين أنصار وأتباع ، يتولون الدعوة إليه مع رسولهم ، أو بعده ، وقد رأينا بنى إسرائيل وهم يواصلون دعوة موسى عليه السلام ، وهؤلاء هم حواريو المسيح عليه السلام يناصرونه بالتأييد والدعوة إلى دينه ، وعلماء المسلمين مكلفون بالدعوة إلى دينهم الإسلامى مادام على الأرض إنسان .

---

(١) سوف ندرس هذا الموضوع بشئ من التطويل لأنه المقصد الأكبر من الكتاب كله .

يقول الإمام الغزالى فى كتابه " الاحياء " : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين . وهو المهم الذى أبتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه . وأهمل علمه ، وعمله لتعطلت النبوة . واضمحلت الديانة . وعمت الفترة . وفشت الضلالة . وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد . واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا في يوم التناد[١] .

وبقدر حاجة الإنسان إلى الدين تكون حاجته إلى هذا النوع من الخطابة التى لا يمكن الاستغناء عنها أبدا ، وقد رأينا أهمية الخطابة للإسلام ومنزلتها مع سائر الوسائل والأساليب الدعوية فيما سبق .

ـ ٣ ـ
أهمية الخطابة الوعظية

تبدو أهمية الخطابة الوعظية من تتبعنا لتاريخ الإنسان نفسه . حيث نشاهده يبتلى بالأهواء المنحرفة التى تبعده عن طريق الله ، خاصة وقد رأينا أصحاب النحل يبذلون المشقة والجهد من أجل الانحراف بالإنسان .

ولو استعرضنا تاريخ البشر لوجدناه مؤسفا بحق ، حيث تزيد فترات انحرافه على فترات صحوه ، ويظهر أن أبالسة الإنس يتربصون بالإنسان فإذا مات الرسول . أى رسول . دبت الخلافات فى أمته ، ونشط الأعداء محاولين القضاء على ما تركه الرسول فيهم ، وقد رأينا كيف أن الفرس والروم خططوا للقضاء على الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ فأشعلوا فتن الردة وأثاروا المناذرة والغساسنة فى الشام والعراق ضد المسلمين فى الجزيرة ، ولولا حكمة وشجاعة أبى بكر رضي الله عنه فى محاربة المرتدين وتوجيه الجيوش نحو العراق والشام لتم لهم ما أرادوا والله ولى المؤمنين .

---

(١) الأحياء جـ٧ من المجلد الثالث ط . دار الفكر الثانية سنه ١٩٨٠ القاهرة .

وقد حاول أنصار الهوى أن يأخذوا من نصوص القرآن الكريم ما يدفع إلى التيئيس من نجاح الوعظ والإرشاد ، واستدلوا فى محاولتهم بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾[١] .

وذكروا أن الآية ترشد إلى ترك الإرشاد والوعظ لعدم جدواه ، وما على الإنسان إلا نفسه . ولن يؤاخذ الله الإنسان إن ترك وعظ الآخرين مادام مستقيما في ذاته

ونحن نرد على أصحاب هذا الرأى بما رد به رسول الله ﷺ على أبى ثعلبة الخشنى رضي الله عنه حينما سأله عن هذه الآية فقال له ﷺ : **يا أبا ثعلبة . مر بالمعروف وأنه عن المنكر ، فإذا رأيت شحا مطاعا . وهوى متبعا . ودنيا مؤثرة . واعجاب كل ذى رأى برأيه . فعليك بنفسك . ودع عنك العوام إن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم . للتمسك فيها أجر خمسين منكم .**

قال أبو ثعلبة : **بل منهم يا رسول الله .**

قال ﷺ : **لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ، ولا يجدون عليه أعوانا**[٢] .

وقد اهتم الدين الإسلامى على الخصوص بتوجيه أتباعه إلى الأمر بالمعروف . والنهى عن المنكر بصورة مطلقة ليدوم الخير في الأمة ، وينتشر بواسطتهم في العالم كله . وكلف الإسلام أتباعه أن يدوروا بالأمر بالمعروف اتجاهات ثلاثة :

الأول : توجيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بين أفراد الأمة الإسلامية جميعا علماء وعامة . حيث ألزم الدين كل مسلم بتوجيه أخيه إلى ما ينفعه .

يقول ﷺ : "**الدين النصيحة .**

---

(١) سورة المائدة ، الآية ١٠٥ .

(٢) سنن الترمذى . كتاب التفسير . باب ومن سورة المائدة جـ٥ صـ٢٥٧ .

قيل : **لمن يا رسول الله ؟**

قال ﷺ : **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**"[١] .

وهذه هى الدعوة الضرورية التى يسميها الإعلاميون الاتصال الجمعى الذى يتميز بمعرفة كل طرف الطرف الآخر ، وتتم بالمواجهة المباشرة ، ومعرفة الفعل ورد الفعل ، وادراك الأثر والفائدة .

الثانى : دعوة الجماعة الإسلامية لغيرها من المسلمين وغير المسلمين ذلك لأن الاختصاصات كثيرة ، والأعمال متعددة ، وقد شرع الله أن تتخصص جماعة فى الدعوة إلى الله ، وأوجب على هذه الجماعة أن تدعو غيرها من المسلمين وغيرهم . فقال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾[٢] وواجب على الجماعة التي تفقهت أن تقوم بالدعوة والأمة من ورائها تدعمها ، وتعينها .

الثالث : دعوة الأمم غير الإسلامية إلى الدخول فى الإسلام . فقال يقول الله تعالى : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾[٣] ، إن العالم كله هو مجال الدعوة والبشر جميعا هم أمة الدعوة ، ويجب أن يبلغهم دين الله على وجه صحيح .

وعلى الجملة :

---

(١) صحيح مسلم .كتاب الإيمان . باب بيان أن الدين النصيحة جـ١ صـ٧٤ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٢٢ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ .

فإن الأمة الإسلامية مكلفة بالمساهمة فى الدعوة إلى الخير ونشر دين الله تعالى . وحث الناس على تطبيق تعاليمه .

يقول ﷺ : "**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده . فإن لم يستطع فبلسانه . فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**"(١) .

وغير خاف بعد ذلك أن نعرف أن مصادر الوعظ هو القرآن الكريم . والسنة النبوية . وخلاصة أفكار المخلصين من سلف الأمة ، ومن العلماء المسلمين الذين لا يخرجون عن أصول الكتاب والسنة ، ويعتبر النبى ﷺ هو إمام الوعاظ فى خطبهم ، وارشادهم كما أنه الإمام فى سائر الشئون .

ـ ٤ ـ

خصائص الخطابة الوعظية

تتميز الخطابة الوعظية بالأمور الآتية :

(١) **الاستهلال بحمد الله** : والاستفتاح بتحميده والا سميت الخطبة **(بتراء)** لسقوط بدايتها ، ويجب أن تتوشح بآيات من القرآن الكريم ، وتتزين بالصلاة على النبي ﷺ ، والا سميت "**شوهاء**" ، وفى خطب الجمعة يقترن التحميد بالشهادة والا كانت "**جذماء**"(٢) .

يقول ابن قتيبة : إنه تتبع خطب الرسول فوجد أوائل أكثرها هو "الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له"(٣) .

---

(١) صحيح مسلم .كتاب الإيمان . باب بيان النهى عن المنكر جـ١ صـ٦٩ .
(٢) عيون الأخبار جـ٢ صـ٢٣١ .
(٣) المرجع السابق جـ٢ صـ٢٣٢ .

إن خطباء العصر الأول كانوا يعتبرون الحمد لله ، والتشهد ، وقراءة القرآن فوق أنها أجزاء للخطبة ، يستعينون بها على النجاح لدرجة أنهم كانوا يختمون خطبهم بنحو ما يستهلونها به كقول عمر بن الخطاب ﷺ فى نهاية خطبة له : "**فاحمدوا عباد الله نعمه ، واشكروه على آلائه ، جعلنا الله واياكم من الشاكرين**" ، وكقول أبى بكر ﷺ : "**اللهم اجعل خير زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم لقائك**"(١) .

يروى ابن عبد البر أن القوم كانوا إذا سمعوا هذا القول من أبى بكر عرفوا أنه قد فرغ من خطبته .

(٢) تقصير الخطبة : وذلك بأن تكون الخطبة قصيرة موجزة إن كان موضوعها سهل التناول . خاليا من المعارضة والتنازع . أما إن كان الموضوع شائكا . يتعلق بأمر فيه الاختلاف فإنها تطول طولا غير ممل لتضم سائر جوانب الموضوع . ولقد كان النبى ﷺ يقول لأصحابه : "**أطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة**"(٢) ويوصى أبو بكر ﷺ يزيد بن أبى سفيان ﷺ حين وجهه لفتح الشام بقوله : "**فإذا وعظت جندك فأوجز فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا**"(٣) . وحينما وقع الاختلاف المذهبى والسياسى بين المسلمين طالت الخطب . واتسعت لتشمل البيان والتفنيد والدفاع .

(٣) الارتباط بالقرآن الكريم : وذلك أن القرآن الكريم هو دستور الدعوة . وقد حفظها للناس . وبين فى ثناياه وسائل التأثير والإقناع . والمطلع على علوم القرآن الكريم يعرف الدور التأثيرى للقصص القرآنى ، والقسم فى القرآن ، وغير ذلك . فى دقة . وهدف .

---

(١) عيون الأخبار ج٢ ص٢٣٣ .

(٢) صحيح مسلم . كتاب صلاة المسافرين . باب تخفيف الصلاة والخطبة جـ٢ صـ٥٩٤.

(٣) الكامل لابن الأثير جـ٢ صـ١٩٦ .

يقول الجاحظ : "إن خطباء العصر الأول كانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل ، وفى الكلام يوم الجمع . آى من القرآن . فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع"(١) .

وبالنظر فى شأن الخطباء المجيدين نجد أن السبب هو ارتباطهم بالقرآن الكريم . لدرجة أن الأعراب الجفاة الذين لم يتفهموا الدين ، ولم يحفظوا كتابه بعدوا عن الإجادة فى الخطبة . ولم يقدموا فى هذا المجال شيئا يذكر .

(٤) الإعداد الدقيق : تحتاج الخطابة الوعظية إلى كثير من الإعداد حتى تأتى مناسبة لمقامها ، مطابقة لأدلتها من القرآن الكريم . وهى أكثر أنواع الخطب حاجة إلى العناية والتجهيز .

وأغلب الذين يفشلون فى مواعظهم لا يعدون لها . ويتخيلون أن الموعظة كلمات يحفظونها . ويلقونها فى كل مناسبة مهما كان اختلافها عن موضوعها . ولذلك نجد هؤلاء عديمى الفائدة ، قليلى الأثر .

إن النبى ﷺ كان يختار ألفاظ مواعظه بدقة متناهية . وكان يوجه أصحابه إلى التدقيق فى اختيار الألفاظ . **يقول الجاحظ :** "استعمل النبى ﷺ المبسوط فى موضع البسط . والمقصور فى موضع القصر ، وهجا الغريب الوحشى ، ورغب عن الهجين السوقى"(٢) .

وكان أصحاب النبى ﷺ وأتباعه يعدون خطبهم قبل إلقائها توخيا لإجادتها ، وخشية العجز فيها .

يروى الطبرى أن عمر ر قال يوم السقيفة : "**أتيناهم وقد كنت زورت (أعددت) كلاما أردت أن أقوم به فيهم ....**"(٣) . ويقول عبد الله بن وهيب الراسبى ﷺ لأتباعه حينما طلبوا منه أن يخطب فيهم قال : "**ما أنا والرأى**

---

(١) البيان والتبيين جـ١ صـ١١٨ .

(٢) البيان والتبيين جـ٢ صـ١٧ .

(٣) تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٣٦٠ .

الفطير والكلام القضيب" ذلك لأن الرأى الذى يوجد فى لحظة القول فقط ينتج الكلام غير المترابط . وهذا لا يرضاه الراسبى لنفسه .

لقد كان الخطباء يخافون اعتلاء المنابر فى الجمعة والعيدين والاستسقاء وهذا دفعهم إلى إعداد الخطب . وتزويرها .

(٥) الارتباط بالعقل والوجدان : الموعظة فى حقيقتها توجيهات تفيد القرب النفسى بين الخطيب ومستمعيه بما تشمل من إثارة الانفعال . وايقاظ الشعور . مع وضوح أن الخطيب يقصد النصح والإرشاد ، ومادامت الموعظة هكذا فلا بد لها من الارتباط بالعقل والوجدان وهذا يحتاج إلى الأمور الآتية :

(أ) **إيمان الخطيب بما يقوله** . وحرصه على إقناع المخاطبين برأيه واستمالتهم إليه . ولا يمكنه ذلك إلا إذا اظهر نصائحه القولية فى تطبيقاته العملية ، لأن الناس أكثر إلفا بالأعمال ، وأكثر تتبعا لها ولعل هذه النقطة أخطر ما يحتاج إليه الخطيب المعاصر ، حيث يوجه النقد المستمر إلى من اتخذوا الوعظ وظيفة لهم ، وقصروا رسالتهم على توجيه الأقوال دون أن يطبقوا شيئا ، فأساءوا إلى الوعظ أكثر من أن يفيدوه .

(ب) **الاستفادة بأساليب التأكيد المختلفة ، والإنذار القوى** . ومن أمثال ذلك ما نجده فى أقوال النبى ﷺ يوم حجة الوداع حيث كرر "**ألا هل بلغت . اللهم فاشهد**" ، وما تجده فى قول أبى بكر ﷺ حين توليه الخلافة . "**ألا وان القوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه . والضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له**"[١] .

ومن أمثاله أيضا ما نجده فى قول علي ﷺ : "أى دار بعد داركم تتمتعون ؟ ... ومع أى إمام بعدى تقاتلون ؟ ... ما بالكم ؟ ... ما

---

(١) البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٣٩ .

دواؤكم ؟ ما طبعكم ؟ ألقوم رجال مثلكم . أقوال بغير علم ، وغفلة من غير ورع . وطمع فى غير حق "[١] !!

(ج) **الاعتناء بالجمال اللفظى** لأن ذلك أدعى للانتباه واليقظة .

(٦) **الدعوة إلى الخير المطلق** : ترتبط الخطب الوعظية بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دائما . ولذلك فهى خيرة دائما ، ومفيدة للبشر أجمعين ، وهى تأتى غنية بأفكارها . مشتملة على عناصر الخطبة ومحتوياتها على النحو السابق ذكره .

ويلاحظ أن الخصائص المذكورة للخطبة الوعظية لا تبعدها عن محتويات الخطبة عموما . **لأن الخاصية الأولى والثانية** تتعلق بالشكل العام للخطبة حيث تحدد الموضوع بالافتتاح . وتجعله مناسبا للمستمعين ، والخاصية الثالثة تتعلق بالدليل وطريقة اختياره وضرورة أن يكون مرتبطا بمصدر حق مؤثر ، والخاصية الرابعة والخامسة تتعلق بترتيب الخطبة . وبتسلسل أفكارها . واشتمالها على البيان بأنواعه .

ويلاحظ أيضا أن هذا النوع من الخطب يوجه إلى المسلمين تثبيتا للإيمان ، وتعليما للدين . ويوجه إلى غير المسلمين دعوة لهم إلى الإسلام . ورد لشبهاتهم .

ويلاحظ كذلك أن المواعظ الإسلامية تغاير الأذكار بدقة أفكارها وبشمولها لكافة الموضوعات . لأن الأذكار غيرها مجموعة من الأذكار والصلوات المحفوظة التى تكرر بين الحين والحين تبعا للموضوع التى ألفت فيه كموضوع التعميد . والزواج مثلا . وفى الغالب نجدها تئول إلى أفكار واحدة لا تتغير مهما تغير الزمان والمكان .

---

(١) البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٠ .

ـ ٥ ـ

حالة الخطابة الوعظية اليوم

نلاحظ أن الخطابة الوعظية اليوم فى أغلبها تحتاج إلى عناية أكبر نظرا لعجزها عن القيام بدورها .

ويمكننا أن نرجع سبب هذا العجز إلى واحد من الأسباب الآتية :

(أ) عدم التزام الخطباء بالأصول العلمية للخطبة حيث نجدهم يجعلون للخطبة الواحدة موضوعات شتى تدور مع الفضائل والرذائل ، داعية ومنفرة وهذا الوضع فى نظرنا هو الإفلاس العلمى للخطباء مما يجعلهم يعجزون عن الالتزام بموضوع واحد . ولا يقدرون على العمق العلمى فى هذا الموضوع . ومن هنا نجدهم يهربون إلى تشتيت الخطبة حتى جعلوها كشكولا جامعا مفككا بلا تأثير فى ناحية ما . ولا يمكن للخطبة أن تؤثر وهى هكذا .

إن الخطبة موضوع واحد له عناصره . وليست بحثا له موضوعاته ويجب أن يفرق الخطيب بين الخطبة والبحث . لأن بعض الخطباء يجمع الموضوعات . ويتخيلها عناصر لأدنى ملابسة رغم بعد الترابط بينها . ووضوح استقلال كل عنصر عن غيره .

ولا علاج لهذه المشكلة إلا بإعداد الخطبة والتحضير لها ، فلقد رأيت بعض العلماء الكبار يمكثون وقتا طويلا فى الخطبة ، يضيعونه فى التكرار ، والتنقل بين الموضوعات والاستطراد لأدنى ملابسة ، وقد رأيت ضجر المستمعين ، وثورتهم على الخطيب مما كان له أثر سئ على الخطيب والخطبة والمستمعين .

وهناك بعض الخطباء الممتازين ذوى التأثير الرائع الذين يلتزمون بالموضوع الواحد ، ويخدمونه بعلمهم وقراءاتهم . وهؤلاء نقدمهم دليلا نعرف به أثر الالتزام بموضوع واحد في الفائدة ، وأثر تعدد الموضوع فى عدم جدوى

الوعظ ، وفى نفس الوقت ننادى بضرورة الالتزام بالموضوع الواحد المناسب للمستمعين .

إن حرصى على نجاح الدعاة يحتم على أن أنبه إلى ضرورة الإعداد الجيد للخطبة ، ومراعاة المقام والأحوال .

(ب) ومع تعدد الموضوع فى الخطبة الواحدة فإن الخطيب لعجزه يعود ويكرر المعانى الواحدة مع كل موضوع بعد استبدال لفظ بمرادفه ، وبذلك يضم إلى عدم الفصاحة العى والقصور ، وهكذا يستمر الخطيب فى الدوران حول نفسه بعيدا على التأثير والاستمالة .

(ج) التزام بعض الخطباء للخطب المكتوبة من فترة طويلة ، والتى ألفت على عدد أيام الجمع وتدور مع السنة كلها . ورغم أنها ألفت لعصرها فقط ، فإننا نشاهد العى من خطيب اليوم وهو يتمسك بها ، إنه يتناول حوادث ولى زمانها ، أو ملوكا دالت دولهم ، أو وقائع لا يسمع بها إلا القارئ للتاريخ وهذا يبعث على السخرية ، وهناك من الخطباء من يحفظ بعض الخطب ويستمر فى تكرارها واعادتها .

إن تكرار هذا النوع جعل المستمعين يحفظون هذه الخطب ، فإذا ما بدأ الخطيب موعظته سبقه الناس إلى النطق بما سيقول .

وكم سمعنا عن أعاجيب لا تكاد تصدق لولا أن الإنسان شاهد هذه الأعاجيب بنفسه .

إن الخطبة يجب أن تلامس مشاكل الناس وتحللها . وتقدم لها العلاج من الدين ، وبذلك تتمكن من التأثير والإقناع .

(د) عدم مراعاة الخطبة للمستمعين . وهذا يحدث أحيانا عند محاولة فرض خطبة واحدة على سائر الأقاليم . أو عدم ملاحظة الخطيب لأوضاع مستمعيه .

(هـ) عدم التزام الواعظ لما يعظ به الناس . فيخالف قوله عمله . ومن هنا نجد الناس الذين يستمعون الموعظة لا يتأثرون بها . **يقول مالك بن دينار** : "إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زالت موعظته من القلوب" .

ويقول حكيم : "إن الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ فمن لا نصاب له كيف يمكنه أداة الزكاة"[١] .

و هذه الأسباب أدت إلى ندرة فائدة الوعظ . و قلة تأثيره فى الناس ووضعه فى صورة سيئة باهتة ممسوخة .

ولما كان هذا الحال ضارا بالأمة والأفراد . فمن الواجب المحتم أن يقوم المهتمون بالدعوة بإصلاح حال الوعظ ليتبوأ مكانته الطبيعية بين الناس وبذلك ينجو الجميع من عقوبة التقصير ، ويفيدوا الإنسانية أمما وأفرادا .

ـ ٦ ـ
طريقة النهوض بالوعظ

من الواجب النهوض بالخطابة الوعظية لتقوم بدورها في المحافظة على الدين ، وتفهيم الناس ، وصيانة الحق من أتباع الباطل وأنصار الشيطان . وطريقة النهوض بالوعظ بمختلف صوره في تصورى تتأتى بالأمور التالية :

أولا : إخلاص الوعاظ :

إخلاص الخطيب الواعظ لدعوته عملية أساسية للنهوض بالدعوة . وهذا الإخلاص لا يتأتى إلا بحب العمل ، والاستعداد له ، والعزيمة الجادة في النجاح .

يقول الشاطبى : "إن المفتى إذا أمر مثلا بالصمت عما لا يعنى فإن كان صامتا عما لا يعنى ففتواه صادقة . وان كان من الخائضين فيما لا يعنى

---

(١) أصول الخطابة صـ٢٥٦ .

فهى غير صادقة ، وان حض ذلك على الزهد فى الدنيا وهو زاهد فيها صدقت فتواه . وان كان راغبا فى الدنيا فهى كاذبة . وعلى هذا الترتيب سائر أحكام الشريعة فى الأوامر ، ومثلها فى النواهى ، لأن علامة صدق القول مطابقة العمل ، بل هو الصدق فى الحقيقة عند العلماء . وحينما نهى النبى **ص** عن الربا ووضع الدماء لم يكتف بالقول وانما قرن نهيه بالفعل والتطبيق على نفسه وأهل بيته فقال : " وأول ربا أضعه ربا عمى العباس . وأول دم أضعه دمنا دم ربيعه بن الحارث بن عبد المطلب"[١] .

إن الواجب على الواعظ أن يتعظ ثم يعظ . ويبصر ثم يبصر ، ويهتدى ثم يهدى ، ولا يكون دفترا يفيد ولا يستفيد ، ومسنا يستحد ولا يقطع . وسراجا يضئ للناس ويحرق نفسه ... إنه لو أخلص لا ستفاد وأفاد .

وحينما يتحقق هذا الإخلاص يتحول الواعظ إلى شعاع ونور ، يرتبط بجمهوره بكل قوة لأن الإخلاص يربط القلوب ببعضها ، ويؤلف بين الأرواح ويجعل كل فرد يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ... وحينئذ تصل كلمات الواعظ إلى القلوب ، وتلتصق بها .

ثانيا : الإحاطة التامة بالموعظة :

الإحاطة بنوعية الموعظة نقطة هامة يحتاج إليها الواعظ لأنها تمكنه من شمول النظرة فى الموضوع . وعمق الاستدلال والبيان .

إن المواعظ الدينية تدور فى الموضوعات التالية :

(١) الدعوة إلى الإسلام بشرح حقائقه ، واظهار جوانبه كلها .

(٢) الدفاع عن الإسلام ضد معارضية الذين يثيرون الشبه والأراجيف .

(٣) تثبيت الإيمان وتقويته بالأدلة والبراهين وبخاصة عند الأحداث المثيرة التى تدعو إلى تقوية الإيمان ، والرضى بالقضاء والقدر .

---

(١) الموافقات جـ٤ صـ٢٥٢ ، ٢٥٥ .

(٤) الإصلاح العام للمجتمع فى كل المجالات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية والصحية ... وهكذا .

ويجب على الخطيب أن يستعد لإحاطة معارفه بكل موضوع . لأن الموضوع الأول يحتاج إلى معرفة شاملة وتامة بالإسلام .

ونجاح الخطب يحتاج إلى الإحاطة بالأراجيف التي يروجها الأعداء عن الإسلام ، والى إلمام الواعظ بطرق الإثارة . والاستمالة ، وقصص القرآن الكريم . وسيرة النبى ﷺ ، بالإضافة إلى معرفة تامة بنفسية الموعوظين ، وطريقة التأثير فيهم ، ومعرفة عاداتهم وطبائعهم ومعرفة المشاكل التى يعيشونها . لأن هذا كله يمكن الواعظ من تحديد موضوعه ، والإحاطة بجوانبه المختلفة ، وطريقة الاستدلال عليه وبيانه البيان المطلوب .

ثالثا : المعرفة التامة بالدعوة بالإسلام :

معرفة حقيقة الدعوة ضرورة للخطيب ، لأنها المنطلق الذى منه يتحرك وبه يدعو ، وبوضوحه يتجمع الناس ، ويؤمنون ، ويصدقون بكل ما يوجه لهم ولابد أن تكون الإحاطة شاملة للدعوة ليكون الواعظ عالما بما يعلمه لغيره . لأن فاقد الشئ لا يعطيه . وشمول المعرفة للفكرة محل النقاش تدفع المستمع إلى الثقة فى قوله . وسرعة تصديقه فيما يطلبه . وهذه المعرفة ليست شاقة فإنها مبثوثة فى القرآن الكريم الذى ضمن الله حفظه ، وتركه فى الناس فائدة للعالمين . وأمانة سوف يحاسبون على تقصيرهم فيها .

وعلى الخطيب أن يحفظ القرآن الكريم وسيفهمه بسبب حفظه . لأن كثيرا من الآيات يفسر بعضها بعضا . وبعضها الآخر الباقى يفهم بطريق السنة وأقوال الصحابة . واجتهاد العلماء .

وتعتبر المعرفة التامة بالكتاب الكريم هى الدعامة الأساسية لمعرفة الخطيب لأنها تعرف كثيرا بما يحتاج إليه . وفيها دعوته بعقيدتها ، وشريعتها وأخلاقها ، وفيها الوسائل التى يخاطب بها الناس . وفيها سيعرف دوره ومصيره

، وبدراسة القصة والقسم وغيرها يعلم نهج مخاطبة الناس وترغيبهم وتشويقهم للدعوة .

ومع ذلك فإنه من خلال الوسائل القرآنية سيعرف كثيرا عن طبائع الناس وغرائزهم وعاداتهم . ويلحظ كيف راعت ناحية التأثير فى الجميع ، وسيعرف مقاصد الدعوة وأهدافها الرامية إلى إسعاد الناس فى الدنيا والآخرة والنبى ﷺ كان يختبر الدعاة عن مدى تمكنهم وتفقههم وتفهمهم واحاطتهم بالكتاب أساس الدعوة . يروى ابن عبد البر بسنده عن **معاذ** ﷺ **أنه قال : "لما بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن قال كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟**

قال : أقضى بكتاب الله .

قال ﷺ : فإن لم يكن فى كتاب الله ؟

قال: معاذ : أقضى بما في سنة رسول الله ص .

قال ﷺ : فإن لم تجد في سنة رسول الله ؟

قال معاذ : أجتهد رأيى ولا آلو .

فضرب رسول الله ﷺ صدرى وقال لى : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله"[١] .

فإجابة معاذ لرسول الله ﷺ تشير إلى شمول معرفته بالقرآن الكريم لأنه يبحث فيه كله عند القضاء فإن لم يجد ينتقل إلى السنة .

وأيضا فإن المعرفة الشاملة للقرآن تمكن الداعية من هداية الناس ، والأخذ بيدهم حين الاختلاف لتمتعه ببصيرة نافذة ، وموهبه ربانية تجعله أعلم من غيره . يقول النبى ﷺ : "**أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا أختلف الناس**"[٢].

---

(١) جامع بيان العلم جـ٢ صـ٦٩ .

(٢) جامع بيان العلم جـ٢ صـ٥٣ .

وهذه البصيرة فى القرآن تحتاج إلى مجموعة من العلوم تمكن من فهم المراد فإن الصحابة رضوان الله عليهم وهم على ما عليه من فصاحة كانوا يعلمون ظواهر القرآن . أما دقائقه الباطنة فكانت تظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبى ﷺ فى الغالب الأكثر . كسؤالهم لما نزل قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[١] . حيث قال النبى ﷺ : "**أينا لم يظلم نفسه ؟**" ففسره النبى **ص** لهم بالشرك بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[٢] ، وكسؤال عائشة رضى الله عنها عن الحساب اليسير فقال لها هو العرض . و نحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه ، وزيادة على ذلك ما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة وأسرارها .

وقد ذكر السيوطى خمسة عشر علما من العلوم الضرورية لفهم كتاب الله تعالى لابد منها للعلماء والدعاة وهى :

علم اللغة ليعرف بها شرح المفردات والألفاظ وبيان معانيها .

والثانى **علم النحو** لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب ، ومعرفة العمدة والفضلة ، وتمييز المرفوع من المنصوب والمجرور والمجزوم لما لذلك من أثر في تغيير المعنى .

والثالث **علم التصريف** لأن به تعرف الصيغ والأبنية وتظهر أنواع الاشتقاقات والإحاطة بمعناها من أصلها .

والرابع **علم الاشتقاق** لأن معنى الاسم مرتبط بأصل اشتقاق .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية 82 .

(٢) سورة لقمان ، الآية ١٣ .

والسادس والسابع والثامن **علوم المعانى ، والبيان ، والبديع** لأن المعانى تفيد دلالة الكلام والبيان يوضح المعنى الواحد بطرق متعددة ، والبديع يبين وجوه تحسين الكلام .

والتاسع **علم القراءات** وتوجيهاته في توضيح المعنى القرآنى .

والعاشر **علم أصول الدين** لمعرفة ما فى القرآن من دلالات .

والحادى عشر **أسباب النزول** .

والثانى عشر **الناسخ والمنسوخ** .

والثالث عشر **علم الفقه** .

والرابع عشر **العلم بالأحاديث المبينة للقرآن الكريم** .

والخامس عشر **علم الموهبة** وهو علم يورثه الله من عمل بما علم"[١] .

ومن هذه العلوم اللازمة المذكورة نلمح أن الخطبة كفن تحتاج إلى التمكن من القرآن الكريم ليكون خير ممثل للدعوة ، وخير دارس لحياة سيدنا رسول الله ﷺ .

رابعا : المعرفة بالمدعوين :

معرفة من توجه إليهم الدعوة ضرورة للداعية ، لأنها تمكن الخطيب من التأثير والإقناع ، والوصول إلى قلوب الناس ونفوسهم . وذلك يحتاج إلى المعرفة الشاملة التى تجعله يصنع التناسب بين عرض الدعوة والمدعوين سواء كانوا فى القرية ، أو فى المدينة ، أو فى أى مكان .

وهذه المعرفة تحتاج إلى دراسة العلوم التالية :

. علم التاريخ : لكى يصل إلى أصول عقائد الناس وأخلاقهم ليعالجهم علاجا جذريا . وأيضا فإن دراسة سير السابقين يعطى فهما لطبائع البشر ، ولهذا كثر القصص القرآنى حاكيا أحوال السابقين ، بل إن هذا القصص يعتبر

---

(١) الاتقان جـ٢ صـ١٨٠ ، ١٨١ بتصرف .

وسيلة مؤثرة فى نفوس مستمعيه لأنه يؤثر فى ثناياه ، ويخاطب العقل والوجدان . ومن هنا كانت دراسة التاريخ . ومعرفة تاريخ الأديان والنحل هامة الدعاة .

. علم الجغرافيا : وذلك لكى يفهم الخطيب طبيعة البيئة وأعمال السكان لأهميتهما فى تكوين الدافع المزاجى والفكرى للناس .

. علم النفس الاجتماعى : لكى يعرف الخطيب هوى النفس ، وميولها واتجاهاتها ومدى تأثرها وتأثيرها فى المجتمع الذى يعيش فيه ، والمقدار الذى يتغير من السلوك نتيجة هذا التأثير . وهذا العلم هام لأنه يمكن الداعية من توجيه خطاباته إلى النفس بما يثيرها ويناسبها .

خامسا : المعرفة بلغة المدعوين :

إن من البيان المطلوب أن يخاطب الواعظ القوم بلغتهم لأنهم فى هذه الحالة يكونون أقدر على السماع . وأقوى على الفهم . وقد بعث الله كل نبى إلى أمته بلغتها وقد كان النبى ﷺ يخاطب العرب كل بلهجته .

فالدعوة الإسلامية عامة ودائمة . ومحال أن تنزل بكل لغات العالم الموجودة ، أو التى ستوجد ، ومن هنا مكن الله العرب من لغات الأمم حتى استطاعوا الوصول إلى غيرهم من الناس ... ولذا أصبح واجبا على الدعاة بعد النبى ﷺ مواصلة الدراسة للغات العالم . لكى يملكوا القدرة على مخاطبة أى قوم بلغتهم ، ويستطيعوا أن يترجموا المبادئ والأسس الإسلامية بينة واضحة ، وقد ثبت أن النبى ﷺ أمر زيد بن ثابت بإجادة السريانية .

وقال له ﷺ : **يا زيد أتحسن السريانية إنها تأتينى كتب بها ؟**

قلت : **لا .**

قال ﷺ : **تعلمها .**

يقول زيد : **فتعلمتها فى سبعة عشر يوما**[١] .

إن الخطيب إذا تمتع بهذه الجوانب سهل عليه اختيار الموضوع . وسهل عليه الإعداد له . وسهل عليه الالتزام به . وبذلك يبتعد عن التشتت . ويتمكن من الاستدلال عليه بما يثير ويؤثر .

سادسا : الالتزام بالأصول العلمية :

بعد إخلاص الخطيب لموعظته ، واحاطته بموضوعه ، والتزامه بأدلته فإن عليه أن يلتزم بأصول الخطبة الوعظية .

فإن كانت موعظته فى الدعوة إلى الإسلام فإن عليه أن يتخير من مبادئ الإسلام ما يكون أحب لقلوب المستمعين . وأن يعتصم بالمنطق والبرهان ، واذا كانت الموعظة فى تعاليم العامة فإن عليه أن يبتعد عن الشروح الفلسفية وعن مواضع الخلاف . وأن يستدل كثيرا بالقرآن الكريم. والسنة النبوية.

وان كانت الموعظة فى تثبيت الإيمان فإن عليه أن يبين فضائل الإسلام ، ويتخير من الآيات والأحاديث ما يؤيد الإيمان ويشرحه .

وان كانت الموعظة فى الإصلاح العام للمجتمع فإن عليه أن يتخير عيبا واحدا ، ويجعله موضوع خطبته ويجمع حوله الأدلة المفيدة .

ومع تخير المناسب لكل موضوع فإن عليه أن يلحظ محتويات الخطبة وأقسامها ليوفى كل قسم حقه .

سابعا : ربط الوعظ بالواقع :

---

(١) الفتح الربانى . كتاب العلم . باب فضل العلم والعلماء جـ١ صـ١٤٥ .

نريد من الواعظ أن يهتم بهذا الأمر ويربط مواعظه بمستمعيه . ويتخير أهم حاجات الناس ويبين رأى الدين فيها . وعلاجه لها . لأنه لو لم يحقق هذا الربط لوجب عليه أن يجيبنا على سؤال ضرورى سوف يسمعه .

ما فائدة الدين إذا لم يعالج مشاكل الحياة ؟

إن الإسلام يدعو إلى التمتع بالحياة . والأخذ من طيبات الرزق ، والانتفاع بالدنيا . وتعمير الكون بالعمل والإنتاج . والنصوص التى تذم الدنيا يراد بها التحذير من التكالب عليها مع عدم القيام بالواجب . والخطيب الناجح هو الذى يفهم هذا ويدعو الناس إلى الخير بالانتفاع من كل هذا .

لا نريد من الخطيب أن ينعزل عن جمهوره وهو يرتبط بخطب ألفها علماء قدماء لعصرهم الذى انقضى ، لأن هذا يوقعه فى الانفصال عن الناس والاستهانه بكل مل يعظ به .

ولا نريد من الخطيب أن يعتمد على خطبة مكتوبة ما دام كاتبها لم يعايش الناس ويدرس أحوالهم ومشاكلهم .

ولا نريد من الخطيب أن يركز على السلبيات الاجتماعية فلا يقول إلا نقدا ولا ينطق إلا بسباب .

إننا نريد من الخطيب أن يهتم ببناء النفوس . واصلاح المجتمع ، وباختصار نريده أن يصل الدين بالحياة . فما جاء الدين ليكون أقوالا مستورة أو تعاليم مطمورة ، أو أدعية مبتورة . إنما جاء ليصلح الحياة . ويسعد الناس فى هذه الحياة .

يجب أن تنتهى إلى الأبد صورة الخطيب الذى يتناول الحديث عن الموت والجنة والنار فقط . ولا يتخطاها أبدا ، أو يتكلم عنها بدون ربطها بوجوب السعى فى الدنيا استعدادا لها .

إن الحديث عن الموت يكون للاعتبار والعظة حتى يكون الموت في خدمة الحياة ، والحديث عن الجنة ليدفع إلى العمل لها ، والحديث عن النار ليبعد الناس عن طريقها ، ولهذه الفوائد يكون الحديث عن الجنة والنار بقدر الفائدة والحاجة ... وعلى الخطيب أن يلون موضوعاته ليعالج كافة قضايا الناس ، ويعيش مع كل جديد يحدث لهم . وحينئذ يتحقق للدين الهيمنة ، ويقود الناس إلى الحق والصواب .

إن علم الخطيب وسعه أفقه تمكنه من ذلك . والأمل كبير ، ولو وصلنا الأمل لحققنا المراد بتوفيق الله وأعدنا للوعظ قيمته ودوره فى إصلاح الأفراد والجماعات .

النوع الثانى
الخطابة السياسية

التعريف بالخطابة السياسية :

تهتم السياسة بأصول المجتمع ، وتوجيهه وبخاصة عندما ينتظم الناس تحت ظل قواعد معينة ، وأيا ما كان المجتمع فهو مكون من أشخاص لهم إنسانيتهم . ولهم إرادتهم التى أجمعت على ضرورة العيش سويا تحت شروط معينة ، ووفق نظام ارتضوه لأنفسهم فى إطار تحديد الواجبات ، وصيانة الحقوق .

ويتوقف نجاح الحياة السياسية لأى مجتمع على درجة الاشتراك الفعال بين أفراده جميعا في النشاط الاجتماعى على اختلاف أنواعهم ، وتعدد طبقاتهم فى الحياة السياسية .

وهذا المجتمع المنظم يستلزم وجود دولة لها حكومتها التى تعمل فى دأب وقوة على مصلحة الشعب وتقدمه .

وقد اقتضى التطور التنظيمى للسياسة العامة قيام الدولة ، وتحالف بعض الدول فيما بينها على أمر ما فى صورة أحلاف عسكرية ، أو اقتصادية أو اجتماعية ، أو لغير ذلك ، أو لكل هذه مجتمعة .

كما اقتضى تعاون الدول جميعا فى هيئات عديدة ، ذات أغراض خاصة للوصول إلى الأمن والسلام بين الناس ، ولعل أكبر تجمع دولى هو ما حدث فى العصر الحديث بتأسيس " عصبة الأمم المتحدة " التى تحولت بعد الحرب العالمية الثانية إلى " هيئة الأمم المتحدة " .

إن تنظيم الدولة حتم احترام رأى الشعب . ونادى بضرورة الشورى والمشاركة ، ومن هنا نشأت الأحزاب ، وعرفت الدول نظام الانتخاب . بتعدد

صوره . لتكوين المجالس النيابية على مستوى الدولة . أو على مستوى أقاليمها المحلية .

ووجود الأحلاف أدى إلى عقد مؤتمرات عديدة بين المسئولين في الدول المتحالفة لتدارس ما تحالفوا عليه ، ووضع أسس تنميته والالتزام بهذه الأسس .

و تأسيس الهيئات أظهر عديدا من الأنشطة المتنوعة من أجل وصول كل هيئة لغرضها الذى أسست له ، وقد أدى بها السعى إلى تأسيس فروع كثيرة للهيئة الواحدة تتولى التنظيم . والتخطيط . وتحديد الهدف .

إن التجمع البشرى فى الدولة ، أو فى التحالف ، أو فى الهيئات أظهر الخطبة السياسية التى يلقيها صاحبها فى صورة معينة من أجل التأثير فى الآخرين ، واقناعهم بما يجب أن يكون .

وتبعا لتنوع أهداف التجمع الإنسانى تنوعت الخطبة السياسية إلى ما يأتى :

(أ) **الخطب الجماهيرية** : وهى الخطب التى توجه إلى جماهير الشعب بقصد حملهم على عمل ، أو إقناعهم بفكرة ، ويكون المتكلم فيها رئيس الدولة . أو أحد الوزراء . أو زعيم الحزب . أو المرشح فى الانتخابات الشعبية .

(ب) **الخطب النيابية** : وهى الخطب التى يلقيها عضو نيابى منتخب ليستجوب مسئولا ، أو يحيطه بأمر هام . أو التى يلقيها أحد الوزراء أو رئيس الدولة فى المجلس النيابى .

(ج) **خطب الهيئات** : وهى الخطب التى تلقى فى النوادى . وفى المؤتمرات المحلية . وفى المؤتمرات العالمية ، وهيئة الأمم ، وما تفرع عنها من منظمات ومؤسسات .

وتحت هذه الأنواع الثلاثة توجد ألوان كثيرة للخطب السياسية سوف نبين خصائصها فيما بعد .

عوامل ازدهار الخطابة السياسية

تؤثر مجموعة من العوامل فى ازدهار الخطابة السياسية . ومنها ما يلى :

(١) النشاط السياسى :

إن المجتمع الذى يملك النشاط السياسى تزدهر فيه الخطابة . لأنها فن يتجه إلى عقول الجماهير ، والى عواطفهم من أجل استمالتهم نحو فكرة سياسية موجودة . ويشترط فى النشاط الذى يؤدى إلى ازدهار الخطابة السياسية أن يعتمد على العدل والحرية ، والشفافية والتقدير ، والمحافظة على كافة الحقوق فى إطار دستورى متين .

ولقد كان للنشاط السياسى فى عهد الأمويين أثر فى ازدهار هذا النوع من الخطابة ، وتقدمه ، بصور جعلت المؤرخين يعدونه العصر الذهبى للخطابة العربية ، فلقد نشطت المذاهب ، وظهرت الفرق وصار لكل جماعة خطباؤها الذين يعرضون أفكارها ، ويردون أى نقد يوجه إليها . وقد تميز خطباء كل فريق بالعلم ، والفهم ، وجوده الإعداد ، وروعة الإلقاء .

ومازلنا نشاهد الحركات الثورية مقترنة بأصحاب اللسان البليغ من الخطباء .

وهكذا تزدهر الخطابة تبعا للنشاط السياسى المتعدد الألوان . والذى يظهر فى شكل إصلاحات داخلية . أو دعوات اجتماعية . أو ثورات جديدة . أو دعوات للجهاد والحرب .

(٢) تعدد الاتجاهات السياسية[١] :

إذا تعددت الاتجاهات السياسية فى مجتمع ما فإن ذلك يؤدى إلى ازدهار الخطابة السياسية . لأن خطباء كل اتجاه يعرضون أفكارهم على الناس وينقدون أفكار الآخرين .

---

(١) تنشط الاتجاهات السياسية وتظهر مع وجود الأحزاب ، وتعدد الفرق ، ونشاط المفكرين والمثقفين فى إطار من الحرية والسلام الاجتماعى المطلوب .

إن الخطيب السياسى لا ينجح إلا إذا جمع حوله جمهورا معينا ، يضمه شعور واحد يجعله يتأثر بما يسمعه ، وينفعل بالأحداث التى يعيش فيها .

وعلماء النفس يسمون هذا الجمهور بـ " الجماعة النفسية " . ومن هنا نجد أصحاب الاتجاهات السياسية يحاولون أن يكونوا هذه الجماعة حولهم لكى تسود أفكارهم وتنمو الأغراض التى يحافظون عليها وسط العقل الجمعى الموجود بين الجماعة ، لأن من المعلوم أن العقل الجمعى بستثار بسهولة ، ويتحرك بلا فكر وتدبر .

يقول جوستاف لوبون : "إن أبرز أمر فى الجماعة النفسية هو أن الأفراد الذين تتألف منهم . مهما كانوا . ومهما تماثلوا ، ومهما اختلفوا فى طراز حياتهم ، وأعمالهم ، وأخلاقهم ، وعقولهم ، يتحولون إلى حماسة روحية جامعة تجعلهم يشعرون . ويفكرون ، ويسيرون ، على وجه يخالف ما يشعر به ويفكر فيه ، ويسير عليه كل واحد منهم . وهو منفرد ، ومن الأفكار والمشاعر ما لا يظهر أو يتحول إلى أعمال إلا فى الجماعة"[١] .

(٣) الحرية الفكرية :

تزدهر الخطابة السياسية فى ظل الأنظمة التى تسمح بحرية الأعمال والأقوال . لأن هذه الحرية تمكن الخطباء من الانطلاق فى التفكير ، وحرية التعبير عن كل ما يؤمنون به ، ويفكرون فيه ، وحينئذ يكثرون من الإبداع الخطابى المعتمد على القواعد الفنية ، الهادفة لمصلحة الجماعة .

ومن هنا كان ظهور هذا النوع من الخطابة عند اليونانيين على النحو الذى أشرنا إليه . وذلك بسبب ارتباط الحكم برأى الشعب فلقد كان "بريكليس" و "ديموستين" من أعظم الخطباء السياسيين عند الإغريق ، وسبب ذلك حرية الفكر . وتمتع أصحاب القول بحرية مطلقة فيما يريدون قوله .

---

(١) روح الجماعات صـ٣٠ .

ولعلنا بهذا العامل ندرك سبب ازدهار الخطابة فى العصر الإسلامى الأول حيث تمتع الجميع بالحرية . وعبروا عن كل ما أرادوه بلا ضغط أو إكراه ، وندرك كذلك سبب انحطاط الأسلوب الخطابى ، وقلة الخطباء فى عصور التخلف والاستبداد ، إلا أن الجماهير حينما تتحرك للقضاء على الظلم والظالمين بقيادة رواد لهم تتأثر بالخطابة السياسية وترتقى .

(٤) تقدم الثقافة الأدبية :

الصورة الجمالية مثيرة دائمة فى سائر الخطب ، ولعلها فى الخطبة السياسية أكثر إثارة ، لأن غالب هذا النوع يتجه إلى العامة من الجمهور . وهم الفئة التى يثيرها الرواء اللغوى . والجمال الأسلوبى . والحسن البيانى ، ولذلك كان تقدم الخطبة السياسية محتاجا إلى ثقافة الخطب الأدبية ، ومعرفته بفنون الحسن الأسلوبى ، وروعة التعبير الخطابى .

ونحن هنا نقول : إن القرآن الكريم والسنة النبوية صنعا فى الجماعة الإسلامية خصائص معينة . جعلتها ترتبط بهما ، وتستثار يتعاليمهما . وتنجذب لبيانهما . فمن أراد نجاحا فى خطبته السياسية من المسلمين فعليه أن لا يغفلهما ، ولقد رأينا بعض رؤساء الأحزاب السابقة فى مصر يحفظ القرآن الكريم من أجل التأثير السياسى فى جماهيره رغم أنه لم يكن مسلما ، وفى الحق كان محل إعجاب بأسلوبه واقناع فى قضاياه .

خصائص الخطابة السياسية

تتميز الخطابة السياسية بمجموعة من المزايا تتنوع تبعا لنوع الخطبة السياسية لأنها أنواع ثلاثة كما سبق أن ذكرت ولكل منها خصائصها .

خصائص الخطبة الجماهيرية :

وهى التى يلقيها مسئول كبير .أو مرشح فى انتخابات نيابية أمام جمهور عريض ، يعمل لإقناعه بما يريد ، وتتميز بالخصائص التالية :

(أ) مناسبتها للجماعة المخاطبة ، ولذلك نجدها تأتى معبرة عن الآمال والرغبات الجماهيرية . متفقة مع معتقداتهم وعاداتهم . متلائمة مع مستواهم العقلى والثقافى . مراعية المناسبات التى يعيشونها .

إن الخطابة الجماهيرية تحتاج إلى المستمعين أكثر من احتياج المستمعين إليها . ولذلك رأينا كثيرا من وسائل القرب النفسى التى تكون فيها .

إن رئيس الدولة . أو زعيم الحزب ، أو المرشح الانتخابى . يعرض نفسه على مستمعيه بخطبته . ولذا وجب أن تكون خطبته واضحة للمستمعين قريبة منهم .

(ب) بساطة الأسلوب وسهولته ، لأن الجمهور الذى يسمع هذا النوع من الخطب من العامة والبسطاء ، ولو لم تراع الخطبة هذه البساطة لصنعت حاجزا يفصل المستمعين عنها ، وهذا ما لا يرجوه الخطيب لنفسه .

(ج) وضوح الروح الودية ، ذلك أن الاتجاه إلى الجمهور يقتضى دائما جذبه . وفى السياسة لا يمكن استمالته إلا بإبداء الثناء عليه ، واظهار أهمية مشاركته فى الحياة العامة . والنظام الاجتماعى كله . بل إن المرشح يبرز بوضوح حاجته إلى سائر الجماهير . وبأصواتهم يصل إلى مبتغاه .

(د) بروز وعود خاصة للمخاطبين ، لأن القادة المرشحين لا يخطبون الجماهير إلا فى أحداث معينة من أجل وضع تنظيم جديد ، أو تأدية انتخابات

جديدة . وفى هذه الحالات لابد من تقديم صورة موجزة عن المستقبل المرتجى ، وفيها دائما وعود للأفراد والجماعة .

إن رئيس الدولة حينما يوجه خطابا إلى أمته يبرز لهم ما أداه ، وما سوف يؤديه فى القريب الآتى ، ويمنيهم بمستقبل جديد فيه الأحلام والمنى .

والواجب أن ترتبط هذه الوعود بالواقع . لأن المبالغة فيها تؤدى إلى عكس المراد حيث يتضح الكذب من المبالغة .

وأيضا فإن الجماهير تراقب دائما هذه الوعود السياسية . وتحكم على صاحبها بمقدار صدقه ، واذا ظهر الكذب ، أو بانت المبالغة فإن الجماهير لن تسمع له ، ولن تتأثر بكلامه .

(هـ) وجود المقارنات فيها ، وذلك لأن الرجل السياسى مضطر لإبراز رسالته بالتفصيل . وشرح مزايا اتجاهاته . وهو لهذا يقارن بين منهجه ونظريته وبين مناهج الآخرين ونظرياتهم . وذلك كله فى أدب واتزان .

أما الخطبة النيابية :

وهى التى يلقيها مسئول داخل المجلس النيابى سواء كان هذا المسئول رئيس الدولة أو رئيسا للوزراء . وهؤلاء جميعا من الخاصة شأنهم مثل شأن أعضاء المجلس كله على اعتبار أن الشعب لا يختار لتمثيله . ولا يزكى لقيادته إلا شخصا أمتاز بالعقل والثقافة والإدراك ، ولذلك وجدنا هذه الخطابة تتميز بالخصائص التالية :

(أ) الدقة التامة : لابد أن تكون هذه الخطبة دقيقة اللفظ والمعنى ، دالة على هدفها بوضوح . حتى لا تقابل بمعارضات المستمعين الذين يتابعون بوعى ويرقبون بإدراك ، ولابد أن تعتمد على وثائق صحيحة ، وأدلة ثابتة مؤكدة .

إن المسئول حينما يوجه خطاب الافتتاح إلى مجلس نيابى يضع خطابه فى شكل نظريات مختصرة دالة على المقصود فى دقة متناهية .

والنائب الذى يخطب فى موضوع ما مطالبا بالإصلاح عليه هو الآخرة أن يتمسك بالدقة حتى يصل إلى مراده من أقصر طريق .

والنائب الذى يقدم استجوابا ، أو طلب إحاطة حول موضوع ما لابد له أن يجمع البيانات ، والوثائق ، وكافة المعلومات المتصلة بهذا .

(ب) مراعاتها للنظم السياسة الموجودة : يجب أن تراعى الخطبة السياسية النظام السياسى للدولة . ذلك أن النظم الملكية تغاير النظم الجمهورية والنظم الرأسمالية تغاير النظم الشيوعية . وأيضا فإن كل مجلس نيابى له لائحته الذى تنظم العمل فى داخله . وعلى الخطب أن تسير فى النظام الموضوع لها داخل المجلس . ووفقا للائحته .

(ج) اشتمالها على دراسة واسعة : تتضمن الخطبة السياسية النيابية على دراسات واسعة حول موضوعها . وذلك شرط لازم لدقتها والتزامها بالنظام الموضوع . وقد كفلت الدساتير والقوانين لأعضاء المجالس المنتخبة حق الحصول على ما يريدون من معلومات ، وضمنت لهم حرية الحركة والتنقل فى أى مكان للحصول على المعلومات التى يريدونها .

إن المسئول الذى يتحدث فى موضوع ما . عليه أن يحيطه بالدراسة والمعرفة ، ويقدمه فى صورة متكاملة للمجلس حتى يوافق عليه . كما أن النائب الذى يتكلم فى موضوع ما عليه أن يحيطه بالدراسة الوافية . ولا يخلطه بغيره فالموضوع الزراعى يغاير الصناعى والطبى مثلا ، ومن هنا كانت أهمية سعة الدراسة .

(د) ميلها إلى العقل أكثر من العاطفة : وذلك أمر عادى نظرا للمستمعين لأنهم جميعا من الطائفة الراقية التى يهمها المعنى المحرر أكثر من

الإثارة اللفظية ، ولكن يجب أن يكون الأسلوب بعيدا عن الجدل السفسطى ، والإطناب الخطابى .

أما خطب الهيئات :

فهى تلك الخطب التى تلقى فى النوادى المحلية فى المناسبات المختلفة أو فى المؤتمرات المحلية ، أو فى المؤتمرات العالمية . وهذه الخطب لها طابعها الخاص . وتتميز بالآتى :

(أ) مراعاة المناسبة : وهذه الخاصية وان كانت عامة فى جميع الخطب إلا أنها فى هذا النوع أكثر أهمية . لأن الهيئة تعقد اجتماعاتها من أجل غرض معين . وأحيانا يقسم المجتمعون أيام مؤتمرهم لبحث موضوعات معينة ويخصون كل يوم ببحث موضوع ما .

ومن هنا لزم مراعاة المناسبة حتى يتضح الموضوع ولا يختلط بموضوع آخر .

(ب) الدقة التامة : وهذه خاصية لازمة لأن المؤتمرين جميعا من الخاصة ويجب مراعاة ذلك حين الخطبة فى المؤتمرات المحلية والعالمية .

(ج) شمول التحليل : إن المتحدث السياسى عليه أن يجعل خطبته متفتحة الفكرة من كافة جوانبها ، وذلك بعرض الأوجه المختلفة للموضوع .

النوع الثالث
الخطابة القضائية

اقتضى الاجتماع البشرى وجود منازعات ومشاحنات . وهذه تحتاج دائما إلى الفصل فيها . ليستقر الحق . وينتهى الباطل ... ومن هنا وجد القضاء وعرف الناس التقاضى واستلزم ذلك ظهور الخطابة القضائية التى يلقيها القاضى تبريرا لحيثيات حكمه ، أو يلقيها ممثل الادعاء وهو النائب العام الذى يوضح بخطبته دوافع الاتهام . أو المحامى الذى يوضح بخطبته براءة موكله . أو ثبات حقه .

وقد عرف أرسطو بعض هذا النوع وسماه " الخطبة المشاجرية " لاتصالها بالتشاجر والتنازع . وبين أن غاية هذا النوع تحقيق العدل . ورد الجور ، ومنع الظلم بين الناس إلا أن تسميتها بالخطابة القضائية أولى ، لتشمل سائر الأقضية سواء كانت مشاجرة ، أو إثبات حق ، أو صيانة لأمانة أو حفظا للخير في المجتمع .

ومن المعلوم أن كل طرف من المتخاصمين يريد إثبات أن الحق له . ولذلك وجب أن يكون المستمعون على قدر كبير من فهم القانون . وتحليل ما يقال حتى يكشفوا الحق من الباطل .

إن المصريين القدماء حرموا المرافعات بالخطابة . وقصروها على المذكرات المكتوبة ، فى محاولة منهم للوصول إلى الحق بعيدا عن التأثير الخطابى . والانفعال اللفظى .

وحاول اليونانيون منع الخطباء من الاسترسال فى أقوالهم ، فعينوا فى المحكمة رجلا يقاطع الخطيب أو يسكته . إذ رآه يحاول التأثير بقوة العاطفة والألفاظ . واثارة الإعجاب .

أما الرومان فإنهم لم يقيدوا الخطب وثوقا منهم بوضوح القانون . وتقدم فنونه فى بلادهم[١] .

إن الإسلام لا يقف أمام أى بيان يلقيه خصم فى المحكمة على اعتبار أن هذا البيان يساعد على وضوح الحق . وابراز الجوانب التى يستند إليها القاضى فى إصدار حكمه ، وانما اكتفى الإسلام بتوجيه سائر أطراف التقاضى نحو الصدق . والبحث عن الحق . ومن هذه التوجيهات ما قاله النبى ﷺ تعليما للقضاه قال ﷺ : "**قاضيان فى النار . وقاض فى الجنة ، قاض عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة . وقاض عرف فجار متعمدا ، أو قضى بغير علم فهما فى النار**"[٢] . فنجده عليه السلام يسوى بين القاضى الذى يجور متعمدا وبين القاضى الذى لا يجهد ذهنه . ولا يبحث عن الحق الذى يجب عليه أن يتمسك به . ويحكم بمقتضاه .

ويقول عليه الصلاة السلام : "**إنما أنا بشر ، وأنه يأتينى الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فإنما هي قطعة من النار ، فليأخذها أو يتركها**"[٣] .

وفى العصر الحديث يبذل القضاة كثيرا من القراءة والتفكير من أجل الوصول إلى العدل فنجدهم يؤجلون الحكم أكثر من مرة . ويطلبون المستندات من الخصوم : ويسمعون الشهود . ويطلبون الإطناب فى المرافعة عساهم يتمكنون بهذا من معرفة الحق الذى هو بغيتهم وأملهم .

وتتميز الخطابة القضائية بالخصائص التالية :

(أ) المحافظة على التقسيم العلمى للخطبة : ذلك أن الموقف خطير يحتاج إلى وضوح كامل ، ومما يساعد عليه المحافظة على التقسيم . فنجد

---

(١) أصول الخطابة صـ١٩٧ بتصرف .

(٢) المستدرك للحاكم . كتاب الأحكام جـ٤ صـ١٠١ .

(٣) صحيح البخارى . كتاب الأحكام . باب من قضى له بحق أخيه جـ١١ صـ٥٣ .

الخطيب . محاميا أو مدعيا . يفتتح خطبه بالتزام العدل ويحث عليه . ويحدد موضوعه بأنه فى براءة المتهم أو إدانته ويبرز عناصره الأساسية ويفند الاتهام بشواهد القانون ، وأخيرا يختتم خطبته طالبا براءة أو إدانة المتهم .

(ب) الإيجاز : لا تحتاج الخطابة القضائية إلى الإطناب والتطويل نظرا لكثرة القضايا بالنسبة للزمن . وأيضا لأن المستمعين من الخاصة الذين يفهمون باللمحة . ويقتنعون بالحق من بدء ظهوره . ولذلك فهم لا يحتاجون إلى إثارة العاطفة . وانما يهمهم الأسلوب العلمى وحده .

(ج) التزام الحق : يجب أن تلتزم الخطابة القضائية بالحق حتى تكون الأحكام دائما صحيحة ، ومنصفة . ولا يسمح فيها لمرتزق أن يأخذ من المتهم مالا . ويحاول بعد ذلك تحويل الباطل إلى حق . ويجب أن يمارس المحامون الصدق النفسى ولا يترافعون إلا عن الحق . ويبتعدون عن الباطل .

إن الخطابة القضائية أنواع ثلاثة هى :

(١) **خطبة القاضى** : وهى اقصرها ، وفيها يصدر الحكم ويبين حيثياته .

(٢) **مرافعات النيابة** : وهذه تقدم الادعاء . وتبين للمحكمة أدلة ثبوت التهمة ومدى انطباق القانون عليها .

(٣) **مرافعات المحامى** : وهذه تشتمل على الأدلة المؤدية على براءة المتهم وادانة الخصم ، ويمكن أن يقوم المتهم بعرض قضيته بنفسه .

النوع الرابع
الخطابة العسكرية

أحاط الناس منذ القديم بقيمة القوة المعنوية بجوار القوة المادية . ولذلك اهتموا بها ، ومن هنا عينوا الخطباء للجيوش . وألزموهم بمعايشة الجنود فى حياتهم .

إن اليونان هم أول من وضع الخطباء على قمة الجيش . حيث أسندوا لهم القيادة فعينوا " كلبون " قائدا للجيش . وعينوا " ديموستين " قائدا لهم فى حرب فيليب ، وعرف العرب ذلك فكثرت فيهم خطب الحض على القتال .

وسجل تاريخ الخطابة نماذج مختلفة لخطب المنافرات . والدعوة إلى الحرب . عند سائر الأمم . والإسلام بدوره دعا إلى الجهاد العادل . وأمر الله رسوله به فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾[١] . وفى محاولات تحريض النبى ﷺ لأصحابه برزت خطبه العسكرية ، داعية إلى الجهاد فى سبيل الله من أجل نصرة الحق . ونشر الدعوة . وانقاذ المنبوذين والضعفاء فى هذا العالم الذى لا يؤمن بحق الغير إلا بالقوة . ولا يفكر في المصلحة إلا إذا خاف .

إن الجهاد الإسلامى حماية للحق ، ورد العدوان ، وصيانة الدعوة والدعاة . ولولاه لاجتاح الظالمون الإسلام ودياره ، وهو ليس قتالا فقط . ولكنه كما يكون بالسيف يكون بالكلمة . يقول النبى ﷺ : "**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**"[٢] فتجده يأمر بالجهاد قتالا وكلاما ومالا .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٦٥ .

(٢) سنن أبى داود . كتاب الجهاد . باب كراهية ترك الغزو جـ٣ صـ١٠ .

إن شحن المجاهدين إلى هدفهم عمل عرفته سائر الأمم . ومنه ظهرت الخطبة العسكرية التى يلقيها القادة . أو بعض الجنود ، أو وعاظ الجيش .

وعلى الجملة فهذا النوع من الخطابة يتميز بالخصائص التالية :

(أ) الفخامة اللفظية :

ذلك لأن الفخامة اللفظية تزكى القوة فى نفسية المستمعين ، وتدفعهم إلى الالتزام بالموضوع الذى يدعونهم إليه .

(ب) وضوح الهدف :

تهدف الخطابة العسكرية إلى شحن الجنود نفسيا لقتال عدوهم الذى يحتل أرضهم . ويهدد دينهم وكرامتهم . ولذلك نجدها واضحة فى وجهتها ، ودائما تركز على موضوعها الواحد . فمثلا تأتى مرة فى بيان عقيدة العدو وأهدافه ، وأخرى فى طبيعة جنوده وضعفهم . وثالثة فى أسلحة العدو وعدته ورابعة فى المقارنة بين الأهداف ... وهكذا تكثر الصور إلا أنها تتركز فى موضوع واحد واضح هو تقوية الجنود معنويا تجاه عدوهم .

(ج) بيان أثر الحرب :

يبين الخطيب العسكرى لجنوده الأثر المترتب على الحرب التى يحرض جنوده عليها . ويذكر أنها شرف يجب السعى إليه . لأنها حماية للعرض والوطن والدين .

والأمة الإسلامية الأولى حاربت وضحت لأن الأثر كان هو حماية الدعوة ، ونشر الإسلام .

وفى العصر الحديث تنشب حروب كثيرة ينتصر فيها الأقلون أحيانا لوضوح الأثر المترتب على الحرب أمامهم .

(د) الارتباط بعقيدة قتالية :

الخطبة العسكرية الموفقة هى التى ترتبط بعقيدة قتالية معينة لأن العقيدة هى المشعل الحى للمقاتل ، وحينما يحلل المراقبون حرب يونيه سنة ١٩٦٧ بين

العرب واسرائيل يرى أن وضوح العقيدة عند الجنود الإسرائيليين . وارتباطهم بها هو الذى ساعدهم على النصر فى وقت كان الجنود العرب لا يرتبطون بعقيدتهم رغم أن عقيدتهم هى الحق .

ولما تغير الحال وارتبط الجنود العرب بعقيدتهم الإسلامية فى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ تغيرت النتائج وانتصر العرب على الإسرائيليين .

إن أحد الدروس المستفادة من هذه الحرب هو إحياء العقيدة القتالية عند الجنود ، إننا ندافع عن أرضنا . ونحمى مقدساتنا . ونذود عن ديننا . وهل هناك شئ أغلى من بعض هذا إن لم نقل من جميعه .

إن ارتباط الخطبة العسكرية بعقيدة قتالية سمة هامة فيها . ولو خلت منها لقل أثرها . وأصبحت بلا فائدة .

علاقة الخطبة العسكرية بخطة الجيش :

يسير كل جيش وفق خطة معينة . ويتبع تكتيكا مرسوما . ويجب أن لا تتناقض الخطب مع التخطيط بشكل عام ، ولكن ليس بلازم أن نتناوله بالتحليل لأن التخطيط من عمل القادة وحدهم .

وأما الخطبة فهى تعبئة معنوية للجنود من أجل دفعهم إلى طاعة القادة وتنفيذ الأمر . والصمود حتى النصر أو الموت .

إن طارق بن زياد ر خطب جنده بعد أن عبر بهم البحر . وبعد أن رسم خطته كسر سفنه . ولم نجده يتناول خطته فى خطبته . ولكنه أشار إلى المحسوس . ولم يتناقض معها فى شئ .

وهكذا يجب أن يعيش الجنود ظروفا واحدة لهدف واحد .

النوع الخامس
الخطابة الاجتماعية

وهى الخطب التى تلقى فى المحافل والمجالس لغرض من الأغراض التى لها ارتباط بالنشاط الإنسانى كتكريم شخص ،أو تهنئة فى مناسبة سعيدة ، أو تعزية فى وفاة ، أو تبريك زواج ،أو فى إصلاح ذات البين . وكل هذا يعرف بالخطابة الاجتماعية ونحن هنا سوف نعرف كل نوع مبينين خصائصه الفنية .

(أ) خطب التكريم :

وهى التى تقال من أجل مدح شخص جزاء فضله وعظمته . وهى تكون فى مناسبة خاصة به . كأن تكون فى يوم عيد ميلاده . أو فى يوم ترقيته فى منصبه ، أو بمناسبته نقله إلى عمل آخر . أو في مناسبة إحالته على المعاش ... وكل هذا عرف بخطب التكريم لأنها تتعلق بمدح طيب . ووصف كريم .

وهذه الخطب أرقى أنواع الخطب الاجتماعية . لأن الخطيب يبذل فيها جهدا كبيرا من أجل الوصول إلى قلب من يوجه الخطبة له .

ومن قديم والعرب تشترط فى هذا النوع الإعداد الدقيق . والدربة الطويلة . **يقول الجاحظ :** "إن ابتليت بمقام لابد فيه من الإطالة فقدم أحكم العبارات لبلوغ المراد من الحديث فى شرف المحتفل به ، واياك أن تعدل بالسلامة شيئا . فإن قليلا كافيا خير من كثير غير شاف"[١] .

وفائدة خطب التكريم تعود على الشخص المكرم سعادة وفرحا . وعلى غيره من المستمعين حيث يعملون ليكونوا مثله فى التكريم والتقدير .

وخطب التكريم تتميز بالخصائص التالية :

---

(١) البيان والتبيين جـ١ صـ١١٢ .

(١) مناسبة المقام طولا وقصرا : تختلف المناسبة عن غيرها . ففى الوقت الذى نرى فيه وقتا طويلا يخصص للتكريم فى بعض المناسبات . نجد وقتا قصيرا للبعض الآخر . ومن هنا وجب أن تناسب خطب التكريم الوقت المخصص لها فتطول وتقصر تبعا لذلك .

(٢) التركيز على صفات المكرم : هذه الخطب مديح يوجه إلى أشخاص معينين . ولابد لها أن تتضمن بالتفصيل صفات الشخص المكرم . على أن نتناولها مقدمين ما وضح على ما خفى . وما عظم على ما كان أقل منه ويجب أن يكون واضحا أن تعداد الصفات هام جدا لأن ذلك يحقق السعادة والسرور للشخص المكرم . وذلك هو الغرض الأساسى للتكريم .

(٣) المبالغة فى الوصف : لا يقف علماء الفن ضد المبالغة فى خطب التكريم بل يخترون بعض المبالغة فيها بشرط أن يكون لها ارتباط بالواقع . **يقول أرسطو** : "وقد ينبغى أن نأخذ فى المدح تلك القريبات من الأمور كأنها هى بأعيانها" . كقول القائل : "إن الزاهد حسن المشورة ، أو أن الفاسق له حسن العشرة ، أو أن الغى حليم أحيانا فيوصف كل واحد من هذا النحو بالذى يلزمه أبدا من جهة الفضيلة"[١] .

ويوضح ابن رشد قول أرسطو هذا فيقول : "وينبغى أن نأخذ الأمور القريبة من الفضائل فيمدح بها لأنها توجد عنها أفعال الفضائل . ومثالها العى الذى قد يكون عنه أفعال الحليم فيوهم به أنه حليم ، وكذلك المتهور قد يوهم فيه أنه شجاع"[٢] .

---

(١) الخطابة صـ٤١ .

(٢) تلخيص الخطابة صـ٧٨ .

وهكذا نادى العلماء بجواز المبالغة بشرط أن يكون لها ارتباط بأفعال المكرم ، وأن تكون منتجة للخير والفضيلة . لأن إطلاق المبالغة يفتح باب الكذب والنفاق وهذا مالا ترضاه خطبة لنفسها .

(٤) الإطناب : تحتاج خطب التكريم غالبا إلى الإطناب لأنها تريد التفصيل فى الصفة ، والتعداد لسائر الصفات . ويجب أن يوضع التفصيل والتعداد فى شكل ينمى الصفة ويعظمها . **يقول ابن رشد** : "وينبغى أن يستعمل فى المدح الأشياء التى يكون بها تعظيم الشئ وتنميته . وهو أن يتخيل فى الشئ أنه بالقوة أشياء كثيرة . كما يقال .

إنه أول من فعل هذا .

أو أنه وحده الذي فعل هذا .

أو أنه فعل هذا فى زمان يسير ما شأنه أن يفعل فى زمان كثير .

فإن هذه كلها مما يفيد عظم الفعل"[١] .

(٥) قوة التأثير فى المستعين : هذا النوع من الخطابة وصفى دائما . ولذا فعليه أن يتمتع بالأسلوب الرائع . والتركيب المؤثر . كما أن على الخطيب أن يهتم بالتأثير المعنوى فى المستمعين ، فيتجه إليهم ببعض قوله . فيذكر صفات المكرم الخيرة ، ويبين فضل أهله وأترابه فى تنشئته وتكوينه ، ليكون قدوة لزملائه ، وأقرانه ، ومن يأتى بعده . **يقول ابن رشد** : "وينبغى أن يمدح كل إنسان بما هو ممدوح عند قومه وأهل مدينته"[٢] .

ومن الأمور المؤثرة في المستمعين الاستدلال بالمقدسات الموجودة فى عقيدتهم لأن ذلك أدعى إلى الانتباه واليقظة . **يقول الجاحظ** : "إن العرب كانوا

---

(١) تلخيص الخطابة صـ٨٠ .

(٢) المصدر السابق صـ٨١ .

يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل . وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن . فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار ، والرنة وحسن الوقع"[١] .

(٦) وضوح الخطبة : يحسن لهذا النوع أن يكون واضح الأسلوب مفهوما للمستمعين . مرتب العناصر .

وأخيرا فنحن لا ترتضى لخطيب المدائح أن يقصر قوله على السرد التاريخى للشخص المكرم ، ولا يبالغ فى الوصف ، ولا يذكر أوصافا لا وجود لها ، ولا ينكر أوصافا موجودة ، ... لأن ذلك يدفع إلى الملل . ولا يصنع التأثير المطلوب ، ولكنا نطالبه بأن يتخير أحداثا مؤثرة ، ومثيرة ، وصادقة ، ويركز عليها . وبذلك يفيد المكرم : ومن يريده أسوة لنفسه ولغيره من المستمعين.

(ب) خطب التأبين والتعزية :

وهى الخطب التى تقال فى فقد شخص وانتقاله إلى الله سواء كان شخصا عاديا أو شخصا له منزلة اجتماعية .

ويجب ملاحظة خطب التأبين تفترق عن خطب التعزية . وذلك أن خطب التأبين يتجه فيها الخطيب إلى الميت . يعدد مناقبه وسجاياه التى طواها القبر ، ويصور ما خلفته الفاجعة من الحسرة والأسى فى القلوب . ثم يطلب للفقيد الرحمة ، ويدعو لأهله بالصبر . أما خطب التعزية فإنها تتجه إلى أهل الفقيد فيعزيهم بذلك عن فقده ، ويدعوهم إلى التذرع بالصبر . والتجلد أمام هذا الخطب . ثم يتجه إلى الفقيد بالرحمة . ويبين اللوعة التى تركها فى أهله ومحبيه بعد فقده[٢] ، ولا مانع من أن يجمع الخطيب بين التأبين والتعزية .

---

(١) البيان والتبيين جـ١ صـ١١٨ .

(٢) الخطابة العربية فى عصرها الذهبى صـ ٢٣٦ ، ٢٣٧ بتصرف .

وتتميز خطب التأبين والتعزية بصدق المشاعر . وملازمة الحقيقة ، لأن الخطيب له صلة بالفقيد متأثر بالفراق ، وهو بخطبته يرضى نفسه ، ويشبع تبرمه . ولوعته . وكلما كان الخطيب أشد قربا من المفقود كلما اشتد فى كلامه صدق العاطفة . وحرارة التعبير .

كما تتميز خطابة التعزية بالأسلوب المؤثر لأنها تشتمل تلقائيا على الصور المتعددة من علوم البلاغة . لدرجة أن الخطيب يضمن قوله كثيرا من الشعر المحفوظ أو المرتجل إن كان من أهل صناعته .

إن خطب التعزية فإنها لا تكون بالضرورة من خطيب قريب للفقيد . لأنها تكون من القريب والبعيد . وحينئذ نجدها تتميز بالمبالغة التى يتقرب بها الخطيب لأهل الفقيد . ونجد فيها أثر الصنعة والتكلف .

ومن ملاحظتنا العملية نرى أن الخطباء فى التأبين والتعزية يخرجون كثيرا عن الحقيقة فيظهرون الفاسد صالحا طمعا فى جاه أو مال ، كما أنهم فى بعض الحالات لا يلتزمون بجلال المناسبة فيخطبون بين المعزين فى موضوعات السياسة أو الوعظ ، وهذا عمل غير سديد . والواجب هو التركيز على جلال الحدث لأن الموت يهز النفس ، ويحرك الوجدان ، والتركيز مفيد للأحياء . فإن كان ولابد من خروج . فيلكن بربط الموت بالحياة . فإن التعريف بالموت أكبر خادم لإصلاح الحياة "وكفى بالموت واعظا . وكفى باليقين غنى"[١] و "وكفى بالموت مزهدا فى الدنيا . ومرغبا فى الآخرة"[٢] .

(ج) خطب الزواج :

وهى الخطب التى تلقى فى مناسبات النكاح وعقد الزواج . وقد جرت العادة فيها منذ القديم أن يرد أحد أقرباء الزوج أو الزوجة على الخطيب بكلمة

---

(١) شرح السنة للبغوى . كتاب الجنائز . باب ذكر الموت جـ٥ صـ٢٦١ .

(٢) مصنف ابن أبى شيبة . كتاب الزهد وقصر الأمل جـ١٣ صـ١٣٥ .

موجزة تعرف بالمجاوبة والشكر . وهذا النوع قديم منذ وصول الإنسان إلى تنظيم الزواج ليبين للمستمعين قيمة الزواج وأهميته .

وتكاد خطب الزواج أن تلزم صورة واحدة تتميز بالآتى :

(١) جلوس الخطيب وسط الناس : حيث نراه دائما يجلس بلا إعداد مكان . لأن المناسبة لا تتكرر فى مكان واحد . **يقول الهيثم بن عدى** : "إن الخطباء لم يكن يخطبون جلوسا إلا فى خطبة النكاح" . وكان لذلك أثر فى مشقة الخطبة وعسرها . لأن قرب الخطيب من الناس . وجلوسه بينهم يجعلهم كنظراته وأنداده .

(٢) التزام الافتتاح الدينى : فيبدأ الخطباء فيها دائما بالحمد لله والتشهد .

(٣) مدح العروسين : حيث تشتمل سائر الخطب على مدح العروسين وبيان مزاياهما . والتوافق المنشود بينهما .

(٤) التوصية : لا تخلو خطب الزواج من توصية الخطيبين بمراعاة حقوق الزوجية وواجباتها .

(٥) بيان فائدة النكاح : وذكر الفائدة عنصر هام يتجه به إلى العروسين والى المستمعين تشجيعا لهم على الزواج كسبا لفوائده . وقد كان لبعض الخطباء عبارات ثابتة يكررونها عند أى زواج يخطبون فيه ، وبالطبع تكون خطبهم عامة وموجزة كقول الحسن البصرى بعد حمد الله والثناء عليه : "**أما بعد فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المتقطعة . والأنساب المتفرقة . وجعل ذلك فى سنة من دينه . ومنهاج من أمره . وقد خطب إليكم فلان . وعليه من الله نعمة . وهو يبذل من الصداق كذا فاستخيروا الله وردوا خيرا رحمكم الله**"[١] .

---

(١) العقد الفريد جـ٤ صـ١٥٠ .

و على الجملة فإن هذا النوع من الخطابة يتفق فى الجملة مع ما سبق ذكره من خصائص الخطبة الوعظية .

(د) خطب الإصلاح :

وهى الخطب التى تقال فى مناسبات الإصلاح بين الناس . وقد جرت العادة فى العصر الحديث أن يجتمع المتخاصمون فى مكان عام ، ويحضر معهم بعض المسئولين . وأحد الوعاظ الذى يقوم ويخطب خطبة الإصلاح .

وهى خطبة وعظية فى حقيقتها . إلا أن المناسبة وطريقة إلقائها . ومكان الإلقاء هو الذى جعلها جزءا من الخطابة المحفلية .

وخطب الإصلاح تتميز بما يلى :

(١) **الإطالة** : والإطالة فى هذا اللون مرغوب ليقتنع المتخاصمون بالعفو ، ويضعوا حدا للتنازع فيما بينهم . **يقول الجاحظ** : "أما خطب إصلاح ذات البين . فالإكثار فى غير خطل . والإطالة فى غير إملال" .

(٢) **الدعوة إلى التواصل** : وهذه الفكرة العامة التى تدور عليها الخطبة الإصلاحية لأن ذلك هو هدفها الوحيد .

❖ ❖ ❖

وهكذا تكون الخطب المحفلية . وبها ننتهى من بيان خصائص الخطب وفق التقسيم الحديث .

المبحث الخامس
الفرق بين الخطبة وبين أشباهها

الخطبة أقوال مؤثرة ومقنعة . تساق من أجل تحقيق هدف معين وتتنوع إلى أنواع عدة ، ولكل نوع خصائصه ، ووظائفه . وهى في جملتها تعمل على خدمة الإنسان بمناقشة قضاياه ، وتقديم الحلول المناسبة لها ، ومحاولة إقناعه بالمعروف ، وابعاده عن المنكر بأسلوب بين ، وبرهان سديد .

وحتى نتمكن من إعداد الخطبة الجيدة فإننا نحاول تعريف الخطيب ، بخصائص الخطبة ، وتمايزها عن سائر الفنون الكلامية منطوقة أو مكتوبة ... حتى يتمكن من إعداد الخطبة على الوجه الذي نرجوه له ، ونتمناه منه .

ولما كان الأمر هكذا فإننا نجد أن للخطبة أشباها من فنون القول الأخرى وبينهما وبين كل منها التقاء في بعض الجوانب ، واختلاف في جوانب أخرى ، وفى هذا المبحث سنبين بإذن الله تعالى أهم الفروق الموجودة بين الخطبة وبين الأقوال الأخرى نذكرها إحاطة بها ، وتمييزا للخطبة عن غيرها ، وتعريفا بهذه الفنون الأخرى .

وأيضا فإن الخطبة وسائر هذه الفنون القولية هى كلمات الداعية إلى البشر . ولابد من إحاطته بجميعها . ليساير التطور العلمى للإعلام . ويملك القدرة على تبليغ الدعوة ونشرها بين الناس أجمعين بالخطبة ، وبسائر هذه الفنون وذلك .

وسوف يتضمن هذا المبحث تناول ما يلي :

(١) الفرق بين المناقشة والخطبة .

(٢) الفرق بين المحاضرة والخطبة .

(٣) الفرق بين المناظرة والخطبة .

(٤) الفرق بين الدرس والخطبة .

ـ ١ ـ

الفرق بين المناقشة والخطبة

لا نقصد بالمناقشة الجدل العارض ، والحوار الذي يدور بين الناس خلال عملهم ونشاطهم ، ولكنا نقصد به الصورة العلمية المنظمة التي وضع علماء الاتصال أسسها وقواعدها .

إن المناقشة فن من فنون القول له أصوله العلمية . وتطبيقاته العملية . وفوائده الكثيرة في مجال الاتصال والتوجيه .

جاء فى مقدمه كتاب "فن المناقشة" **أن علماء النفس الاجتماعى توفروا على بحث فن المناقشة . ووضعوا له أصولا محكمة . حتى كاد أن يكون علما مستقلا** . وتحدثوا عن الأطراف المشتركة ، في النقاش من ناحية عددهم ومسئولياتهم سواء كانوا هم المنظمين للمناقشة أو المتحدثين فقط ، وبينوا مسئوليات كل من الرائد والأعضاء وحقوقهم . والشروط التى بها تسير المناقشة سيرا مثمرا . ووضعوا الوسائل العملية التى يمكن بها ضبط اتجاهات المناقشة . وتقويم نتائجها[١] .

والمناقشة العلمية عبارة عن أقوال جماعية يقوم بها عدد لا يقل عن ستة ولا يزيد عن عشرين لتسهل المناقشة ويتمكن الجميع من المشاركة . وابداء رأيه فى الموضوع .

والغرض العام من المناقشة توفير أكبر قدر ممكن للدراسة الاجتماعية وتبادل الأفكار حول موضوع يهم الجماعة . وايجاد الحلول المناسبة له .

وقد اشترط العلماء لنجاح المناقشة وجود **موجه** . **وملاحظ** مع الجماعة ، **والموجه** هو قائد مجموعة المناقشة ، ويجب أن يكون مخلصا للفكرة ،

---

(١) فن المناقشة صـ٣ ، وفى الكتاب تحليل واف المناقشة العلمية .

محبوبا من الجميع ، واسع الأفق . ودوره هو استخلاص الرأى من المجموعة ، ودفع الجميع للمشاركة بلا حرج أو تردد .

والملاحظ : هو الذى يسجل كل ما دار فى المناقشة من أجل تقييمها بعد ذلك لتدارك أى تقصير ، والاستفادة بأى بادرة طيبة .

والجماعة هى التى تقوم بالمناقشة ويجب أن يعدوا للموضوع . وأن يهتموا به . وأن يدرسوه دراسة مفيدة ومقنعة .

وعلى ضوء دراستنا للخطبة فإننا نلحظ أنها تتفق مع المناقشة فيما يأتى :

(١) كلاهما قول معد . يهدف الإقناع والاستحالة ، ونشر المعروف .

(٢) كلاهما يخدم الناس لأنه يعايش مشاكلهم . ويهتم بإيجاد حلول لها .

(٣) كلاهما يحتاج إلى الإخلاص . وسعة الأفق . ومحبة الجماعة .

وأيضا فإننا نجدهما يختلفان فيما يأتى :

(١) الخطبة يؤديها شخص واحد بينما المناقشة يؤديها أشخاص لا يقل عددهم عن ستة ولا يزيد عن عشرين .

(٢) الخطيب وحده هو الذى يعد خطبته وهو الذى يقيمها بعد إلقائها ، بينما المناقشة ينظمها الموجه . ويشترك الجميع فيها ، ويقيمونها اعتمادا على مشاهداتهم الشخصية . وما دونه الملاحظ .

(٣) إذا أورد الخطيب قصة جدلية فى خطبته . فهذه ليست المناقشة العلمية التى نحن بصددها لأنها تدور على لسان شخص واحد بينما المناقشة تدور على السنة جميع الحاضرين .

(٤) أدلة الخطبة أمور محفوظة أو مكتوبة يقرؤها الخطيب نفسه بينما أدلة المناقشة تكون مكتوبة ، وتكون بصور أخرى كالرسوم الإيضاحية والأفلام المصورة ، والتسجيل الصوتى .

والمناقشة ليست هى المناظرة لأن المناقشة فى هدف واحد . واتجاه نسبة واحدة . وتكون تعاونا بين أشخاص عديدين . بينما المناظرة تعنى توجه المتخاصمين إلى موضوع واحد بهدف مغاير لكل منهما . حيث أن كلا من المتخاصمين يريد إثبات عكس ما يريده الآخر .

والمناقشة وسيلة ناجحة للوصول إلى غرض معين .

والواعظ الداعية يمكنه أن يستفيد بهذا الفن الذي توصلت إليه الحضارات الحديثة ، لأن تطور العلوم يلزم الدعاة بضرورة مسايرة التطور فى الأسلوب ، والوسيلة ، والحركة لا فى أصول الدعوة . ليتمكنوا من الوصول إلى الناس أجمعين بدعوتهم .

والندوة العلمية . نوع من المناقشة إلا أن عدد المشاركين فيها قليل ، ويقوم المشاركون فيها بمعالجة قضية عامة ، أما المناقشة فإن عدد أفرادها أكبر ، ويمكن الاستفادة بها في كل القضايا التي يعيشها الدعاة في مجتمعهم الصغير ، وفى كل وقت يريدون ، والمسجد متسع لعقد حلقات المناقشة .

وتفيد المناقشة فى تبادل الآراء . وفهم الآخرين . وارضاء المعارضين وزيادة المعلومات. وتحقيق الكرامة لكل فرد. وتعبر عن كل الخواطر الوجدانية . وتحل المشاكل بصورة ملزمة للجماعة ، لأن الجماعة هى التى اتخذت القرار . وأيضا فهى توسع دائرة الشورى بين المتناقشين وتعلم الجماعة ضرورة الشورى.

إن المناقشة صورة ديموقراطية ثقافية ، والمشتركون فيها يمثلون المجتمع الذي يعيشون فيه ... وأى مشكلة وأى موضوع يهم الجماعة في أى مجال معنوى أو مادى يمكن إيجاد الحلول له بواسطة برلمان المناقشة ... ويا حبذا لو تبينت الدولة تنفيذ الوصايا والمقترحات التي يتوصل إليها المناقشون لأنها تمت بصورة جماعية .

والموجه قائد لا يتطرف ولا يفرض رأيه . ويساعد الأعضاء على القيام بدورهم ، فإذا وجد عضوا خجولا جذبه إلى المناقشة بالأمثلة التى تحتاج إلى إجابة طويلة ، واذا وجد عضوا ثرثارا سمح له بقدر معين من الوقت ، وعليه أن يتصرف مع المشاغب ، والشكلى . والمهرج ، والمتحمس ، كل بما يناسبه بما يضمن المناقشة الجماعية المفيدة التى سبقها التفكير فى الموضوع المعين ، والاستعانة بالمعلومات من مصادرها الأصيلة[١] .

ويجب أن لا يتخيل البعض أن المناقشات التى تدور بين أصحاب المهن ، وأصحاب العمل . أو بين طلبة فرقة دراسية . هى المناقشة التى نتكلم عنها . لأن هذه المناقشات تسير بطريقة عشوائية . وفى غير موضوع محدد . ولا تنتظر نتيجة ، وليس فيها موجه أو ملاحظ .

إن المناقشة فن قولى تربوى . يعالج كثيرا من المشاكل التى يصلحها هذا الأسلوب .

---

(١) كتاب فن المناقشة بتصرف .

ـ ٢ ـ

الفرق بين المحاضرة والخطبة

يختار المحاضر موضوعه مما يعرض له من مشاكل الحياة والناس . وهذا يجعله قريبا من قلوب الناس . محبوبا لديهم .

ويجب أن يكون الموضوع المختار مدروسا دراسة وافية مستفيضة ، بعد تحضير طويل وعميق ، محللا إلى عناصر بارزة . وخطوات واضحة ومرتبة ترتيبا طبيعيا . ينتقل بالسامع من حلقة إلى حلقة . ويفضى فى النهاية إلى ختام يستحسنه المستمع .

والذى يقوم بإلقاء المحاضرة هو الشخص الذى حضر الموضوع وجهزه ، وفى أحيان قليلة نادرة يقوم بإلقائها شخص آخر نيابة عن المحاضر إن تعذر حضوره .

والمحاضرة عادة تكون من أهل التخصص الدقيق ، وتلقى في جمهور يهتم بموضوعها ، ويصاحبها استعداد خاص كتجهيز مكان . والإعلان المسبق عن موضوعها .

وقد ذكر الأستاذ البهى الخولى تخطيطا لمحاضرة فى موضوع "**مقومات الإنسان الفاضل**" نوجزها هنا استفادة بها لأهميتها ، ولأنه استخرج العناصر بعد تفكير شامل في الموضوع وعرض طريقة التفكير ومراحله أمام القارئ ليستفيد بكيفيته ، **وكأنه كان يفكر بصوت عال** . يقول :

"إن من السهل عليك أن تفترض فى هذا الإنسان الفاضل أن له رسالة فى الحياة يعمل جاهدا لتحقيقها ، وهو عزيز ، ولذلك فهو عبد عزيز له رسالة .

أما الرجل الذى يعيش بلا غاية معينة . ولا مبدإ معروف فهو من السوائم المهملة" .

وأخيرا لابد **لعبد العزة والرسالة** من العلم . ليكون من أمره على بصيرة وهدى ، ومن لا علم له لا بصر له ، ولا رسالة له ، ولا يعرف حدود عزته .

يجب أن يكون واضحا أننا نقصد بالعلم هنا العلم بالله عز وجل فهو يرزق عبده العزة والكرامة .

ويتم العلم بالله تعالى عن طريق التأمل فى السماء وما فيها من عجيب صنع الله وآياته ، والأرض وما أحدث فيها من كائنات وآثار ، وما بين السماء والأرض من ظواهر كونية ، وما أفاض علينا من نعم فى أبداننا وأرزاقنا وأسرار نفوسنا وطباعنا ... إلى غير ذلك مما يفضى بنا مع النظر والاعتبار إلى الله عز وجل .

وهذا العلم الحق الذى يجب أن تتجه إليه جهود الإنسانية هو الذى يوصلنا لله تعالى ، وكل علم لا يوصل إلى الله فهو علم لا بركة فيه .

وليس معنى ذلك أننا نترك تعلم الصناعات ، وطرق معالجة الأشياء لنعيش ونأكل . بل القصد هو أن علم الرجل الفاضل يقصد به دائما ربه ، ويجعل غرضه الأعلى فيه الله عز وجل سواء كان علما دينيا أو علما دنيويا .

فدعائم بناء المحاضرة إذا هى :

عزة ... ورسالة ... وعلم .

فإذا وضح المحاضر ذلك إقتنع السامع بالمحاضرة ، ويمكن المحاضر أن يقسم هذه الدعائم الأساسية إلى عناصر ، ويستحضر لكل عنصر ما يؤكده من كتاب الله ، ومن سيرة رسوله ﷺ قولا وعملا ، ومن سيرة صحابته . ومن حركات التاريخ ، وحوادث الزمان التى تسمع . أو تقرأ . أو تشاهد .

ومن العناصر أن المحاضر ينظر فى الدعائم فيجد أن العزة معناها ألا يذل المرء لمخلوق مثله . ويجد أن الإسلام يغرس العزة فى نفس المسلم . لأنه من ناحية ابتغاء المنافع والخوف على الأرزاق قد علم أن رزقه فى السماء ، وما

كان فى السماء فهو مصون ، بعيد عن أن تتطاول إليه يد عابث فى الأرض ، ولابد من الحملة على الرجل الذليل بمقارنته بالرجل العزيز .

فنجد أن عناصر العزة هى تعريفها ، والعوامل التى تحافظ عليها ، وفوائدها والأضرار التى يقع فيها من لا يتمسك بها .

وعلى ضوء عناصر الدعامة الأولى تكون عناصر بقية الدعائم . وعلى نمطها يتمكن المحاضر من تقسيم موضوعه أيا كان إلى دعائم . ثم يقسم الدعائم إلى عناصر .

ويجب أن يتحكم العقل فى استنباط الدعائم ، وترتيب العناصر . وفى جمع الشواهد . وفى سوق الحديث ، ويجب أن تتحكم فى كل ذلك العقلية العلمية العملية الواعية .

وعلى المحاضر أن يحذر من بيان تقسيم موضوعه فى المقدمة ، أو بيان حقيقة عناصره ، أو ينحو نحو التقسيمات الفلسفية ، أو التعميق النظرى . ففى الموضوع الذى حللناه . لم يذكر كل شئ فيه ، ومن السهل أن يحلل المحاضر موضوعه بوجه آخر . ولكل محاضر أن يأخذ الجوانب التي يراها مفيدة فى موضوعه وفى مستمعيه[١] .

وعلى ضوء ما ذكر نرى أن المحاضرة تشبه الخطبة فى أنها تقصد إقناع الناس ، وانها تعتمد التقسيم العقلى والعلمى لموضوعها . وأنها تحتاج للإثبات والتفنيد . وأنها تحوى أقساما تشبه الأقسام التى تحتوى عليها الخطبة كما أنها تتخذ موضوعات منوعة تجعلها تتنوع إلى محاضرة سياسية واجتماعية ودينية .

---

(١) تذكرة الدعاة صـ٢٦٠ . ٢٢٦ بتصرف ، والكتاب موجه للدعاة المسلمين .

ومع ذلك فإننا نلحظ فروقا بين الخطبة والمحاضرة نذكر أهمها فيما يلى :

(١) موضوع المحاضرة أكثر سعة من موضوع الخطبة . لأن التقسيم يبدأ فى المحاضرة بالمبادئ ثم تقسم المبادئ إلى عناصر . بينما الخطبة تقسم إلى عناصر ابتداء . وعلى ذلك فالمحاضرة أقرب إلى البحث العلمى . المطول ، المكون من أركان وفروع وأطراف بينما الخطبة تشبه البحث العلمى القصير المكون من عناصر قليلة.

(٢) يغلب على المحاضرة أسلوب تقرير الحقائق وتثبيت المعانى . والاعتماد على المنطق ، والتحليل ، والتوضيح . أما الخطبة فيغلب عليها صبغة إثارة العواطف والمشاعر . وتهييج الدوافع والانفعالات بجانب الأدلة العقلية ، والبراهين التحليلية .

(٣) عناصر المحاضرة أشبه بالقواعد والمبادئ الأساسية . أما عناصر الخطبة فأشبه بالخواطر العارضة . والمعانى الطارئة .

(٤) المحاضرة تستغرق وقتا طويلا . ومن الممكن تقسيمها على عدد من الأيام . أما الخطبة فوقتها قصير . ولا تحتمل تقسيما واسعا لأنها لا تصلح إلا لوقت واحد تلقى فيه .

(٥) جمهور المحاضرة من الخاصة غالبا بينما جمهور الخطبة من سائر الطوائف .

ومع وجود هذه الفروق بين الخطبة والمحاضرة فإننا نلحظ أن المحاضرة أقرب شبها بالخطبة من المناقشة لأن المحاضرة يعدها ويلقيها شخص واحد كالخطبة بينما المناقشة تحتاج إلى عدد من الأفراد لكل منهم دوره ووظيفته فى المناقشة .

وعلى الخطيب الداعية أن يعقد بين الحين والآخر محاضرة فى موضوع يختاره ، ويدعو إليه الناس لكى يلون فى أسلوبه لأن ذلك أجدى لدعوته وأكثر فائدة فى مهمته .

ـ ٣ ـ

الفرق بين المناظرة والخطبة

المناظرة فن من فنون القول الهامة التى تفيد إقناع المعاندين والمعارضين ، من خلال حوار بين طرفين فى موضوع واحد . كل منهما يقصد إثبات عكس ما يقصده الآخر . حيث يرى أنه هو الصواب ، ولابد أن يكون هدف المناظرة هو الوصول إلى الحقيقة فى الموضوع لأنها لو بعدت عن قصد إثبات الصواب تتحول إلى سفسطة وجدل لا طائل من ورائها .

والمناظرة تغاير الخطبة لأن الخطبة من قائل واحد للمستمعين يواجه الجمهور لإحاطتهم بموضوع اختاره وأعدله ، بحيث يتصل هذا الموضوع بواقع الناس ، وأن لم يعلموا به سلفا ، بينما المناظرة يقوم بها أكثر من طرف على النحو السابق . فى موضوع معين يعلمه الناس ، ومجيئهم للمناظرة لاهتمامهم بهذا الموضوع وحاجتهم إليه .

والخطيب قد يجد نفسه فى مناظرة صغيرة بعد إلقاء الخطبة ، والانتهاء منها إذا واجهه معارض أو ناقد ، وحينئذ يجد نفسه قد انتقل من كونه خطيبا وصار مناقشا ، الأمر الذى يحتم عليه أن يكون مستعدا لمثل ذلك أثناء إعداد الخطبة . وعلى المناظر أن يراعى ما يلى :

أولا : أن يترك كل رغبة فى الغلبة والانتصار على مناظره بلا حق ، أو باستعمال القهر والسطوة . لأن هدف المناظر العلمية هو الحق دائما ، حيث أن المناظر الأول يأتى بالدليل المستلزم للمطلوب المؤيد للقضية ، وبذلك يتقدم لخصمه بالقضية ودليلها ، والمناقشة التي تؤيد قضيته .

والمناظر الآخر يرد بمنع الموضوع ، أو بنقض الدليل ، أو بإيراد موضوع مغاير بدليل آخر على نقيضه . أو يمنعه بطلب دليل على مقدمات

الدليل الأول وهكذا يستمر الحوار بين المتناظرين . ولكل منهم أن يلجأ إلى واحد من الطرق المقررة فى علم المناظرة وهى :

- بالمنع وذلك برد الموضوع وعدم مناقشة الدليل ليدور الحوار حول الموضوع .
- أو بالنقض وذلك برد الدليل لضعفه ، أو توجيه معناه إلى غير ما استدل به ، أو لتعدد دلالاته ...
- أو المعارضة وذلك بإيراد دليل آخر يثبت خلاف ما يثبته الدليل الأول .
- أو بالنفى المطلق للقضية ودليلها واثبات ما يريد بأدلته وموضوعه .

وهكذا حتى يصل المتناظرون إلى الصواب .

ثانيا : على المناظر أن يترك الحديث عن النفس . لأن الناس يكرهون من يتحدث عن نفسه . وعليه أن يتحلى بالتواضع والإقبال على الموضوع بعقل متفتح ، وذهن سليم لأنه حين يتحدث عن نفسه بعيدا عن الموضوع ينصرف الناس عنه ، ويمهلون قضيته وبذلك ينتصر الطرف الآخر .

ثالثا : للمناظرة أصولها ، ويجب أن يعرفها ويتبعها المناظر الداعية لكى يصل إلى نتائج طبيعية . ولا يتحول إلى مجادل يقصد إلزام الخصم فقط ولا يصير مكابرا يهدف العناد فقط حتى لا يضيع الوقت سدى .

ـ ٤ ـ

بين الدرس والخطبة

جرى العرف بين العلماء أن الدرس الدينى هو ما يؤديه الخطباء الوعظيون فى دور العبادة فى صورة شرح آية . أو تفسير حديث . أو عرض موضوع من السيرة النبوية . أو ذكر أقصوصة تاريخية من تراث المسلمين الصالح ، وهناك الدرس المنهجى الذي يرتبط بعلم معين ، ومدرس خاص ونظام معين ، وهناك الدرس الإعلامى وهو حديث الظهور حيث يجلس المذيع

مع مجموعة من الناس لعرض موضوع معين ، والسماح لهم بالتعليق والسؤال ، وايراد ما يرون من آراء وهو أشبه بالمناقشة مع أنه درس في موضوع معين مقصود والدروس عديدة .

والدرس الدينى يختلف عن الدرس المدرسى الذى يسير فيه المدرس على منهج خاص حيث يتتابع الشرح وفق جزئيات المنهج على نحو تربوى خاص . وهناك الدرس فى الوسط المهنى والعسكرى والفنى ... وغيرها ولكل منهجه ومسلكه .

إن الدروس الدينية في المسجد أصبحت تمثل مدرسة منظمة لها خطة ومنهج . أستاذها هو الداعية المدرس . وطلبتها هم الجماهير الذين يجدون المسجد مفتوحا أمامهم على قدم واحدة . وبلا أدنى تكلفة ، ويتميز الدرس الدينى بالاستطراد ، وعدم وضع حد للحوار والسؤال الذى يكون من المستمعين .

إن الدرس أصعب من الخطبة . لأن الخطبة تنحصر فى موضوع لا تتعداه ، وكافة الأدلة فيها تؤخذ من الوجه المناسب للخطبة . بلا تناول الوجوه الأخرى ، ودائما لا تتعدى الخطبة صورتها التى أعدت بها ، بينما الدرس يتعدى موضوعه بسبب روح الاستطراد الموجودة فى الدرس ، وبسبب أسئلة المستمعين . ومن هنا نجد فيه الدقة وعمق التأمل . والوجوه المتعددة فى النظرة الواحدة ، وقد يلتقى الإمام المدرس بعدد من العلماء يناقشونه فى درسه بنظرات جديدة ، وأفكار متعددة ، وقد يواجه بأفراد يحبون النقد والهدم ، وواجب عليه أن يستعد لذلك بالعلم والقراءة .

إن الخطبة والدرس يخاطبان العقل والروح إلا أن فائدة الدرس أشمل لأن المستمع يتمكن من الاستفسار عن ما يجول بخاطره وبذلك تكون فائدته أعمق ، وأدق ، وأشمل .

وقد سمى القدماء مجلس الدرس بمجالس الوعظ والذكر .

وأخيرا فإن الفرق بين الدرس والخطبة يتلخص من التزام الخطبة لموضوع واحد . والخلو من الاستطراد . واستغلال الدليل للموضوع فقط " وليس كذلك الدرس فى شئ .

❖ ❖ ❖

إن هذه الفنون القولية على تنوعها هى عدة الداعية للوصول للناس ، ولذلك كانت مسئولية إتقان هذه الفنون ، والإحاطة بها وبخاصة بعدما وضع العلماء لها الأصول والقواعد ، واتخذها المعارضون طريقا لهم لإثبات ما يريدون.

الفصل الثانى

الخـطـيب

تمهيد :

الخطيب هو مؤلف الخطبة ومعدها . وموجهها إلى الناس من أجل التأثير والإقناع ، وحمل المستمعين على هدف يعرفه ويقصده . ولذلك كان التآلف ضروريا بين الخطبة والخطيب .

وفى الفصل الأول درسنا ما يتصل بالخطبة ، وفى هذا الفصل سنحاول بإذن الله تعالى دراسة ما يتصل بالخطيب .

والخطيب هو الذى يعالج الحدث بخبرته ، ويعرضه على المستمعين بصورة سهلة مقبولة ، وهو الذى يلون العلم بصورته الإنسانية . وفنيته المؤثرة وأى إصلاح للتطبيق الخطابى يعتمد على قدرة الخطيب الفنية . وتمكنه من قواعد علم الخطابة .

وحينما ندرس المستمعين من ناحية ما يثيرهم . ويؤثر فيهم . وكيفية تحقيق النفع لهم ، حينما ندرس ذلك فإننا نقدم الدراسة للخطيب من أجل أن يحقق الإصلاح المنشود .

والخطيب الذى نقصده هو الخطيب المثالى الذى جعل الدعوة إلى الله غايته ، وأتخذ الخطابة حرفة وهواية . وآمن بالكلمة طريقا للإصلاح الاجتماعى والدينى . وتيقن الإسلام منهجا لقيادة الجماهير ، وافادتهم بالتأثير النفسى . والإقناع العقلى السليم .

إن المظاهر العلمية فى الحياة المعاصرة هى التى تجعلنا نؤمن بضرورة هذا الخطيب ، وسهولة تكوينه . وامداده بقواعد العلم . وفن التطبيق ليساهم كعامل له دوره البناء فى صناعة الأجيال .

وتنوع وسائل الأعلام تؤكد لنا جدوى الخطيب الناجح . لأنها جميعا تعرف أهميته فى التأثير .

وأيضا فإن عملية الإعلام ذاتها تحتاج إلى الخطيب فى تقديم البرامج والقاء الكلمات ، ومعالجة عديد من القضايا مع الناس .

وتفرع العلوم وتنوعها تدعيم للخطيب لأنه يستغلها جميعا . من أجل معرفة أصول الخطابة ، وفهم المستمعين . وتخير وسائل التأثير والإقناع .

إن العصور القديمة والحديثة تؤكد أهمية الخطيب . وتعرف علو مكانته وترى ضرورة الاهتمام بتكوينه وتربيته .

ونحن نرى أن الخطيب الناجح أمل يجب الوصول إليه فى العصر الحديث من أجل صالح المجتمع . وتبليغ الدعوة الإسلامية . ويجب أن تتعاون كافة الأجهزة المعنية بهذا الواجب . خاصة وأن الممتازين من الخطباء قلة لا تتمكن من القيام بكافة المهام وحدها .

وفى هذا الفصل سنحاول معتمدين على الله أن نرسم أسسا لتكوين الخطيب ، ونبين أهم الصفات التى تمكنه من النجاح فى مهمته .

والنقاط التى سندرها عن الخطيب هى :

(١) الخطيب بين الفطرة والاكتساب .
(٢) إعداد الخطيب .
(٣) الصفات العقلية للخطيب .
(٤) الصفات الأخلاقية للخطيب .
(٥) الصفات الصوتية للخطيب .
(٦) الصفات العملية للخطيب .

وسوف نتناول كل نقطة من النقاط المذكورة بشئ من التفصيل والتحليل فى مبحث خاص بها ، وذلك فيما يلى :

المبحث الأول
الخطيب بين الفطرة والاكتساب

يولد الإنسان ومعه بعض الصفات الموروثة من أبويه . ويكتسب باقى صفاته من بيئته وأقرانه . وقد اصطلح العلماء على تسمية الصفات الموروثة بالصفات الفطرية . وتسمية الصفات الأخرى بالصفات المكتسبة .

والخطيب واحد من الناس يملك سائر الصفات التى تعينه على أن يكون إنسانا اجتماعيا ، متمتعا بصفات تمكنه من الخطبة الجيدة ، والتأثير فى الناس وبالبحث فى سير الخطباء وجدنا بعضهم خطباء بالفطرة .

ولكننا فى الوقت نفسه وجدنا الكثرة من الخطباء أحاطوا بقواعد علم الخطابة . وتعلموا فن المشافهة . وبذلك صاروا خطباء بالاستعداد والتعلم .

إن الخطابة الفطرية لا تتمكن من القيام بدورها وحدها فى هذا العصر ولابد للخطيب . من ممارسة واستعداد . وفهم وتعلم حتى يستطيع النجاح .

إن من يقول بالفطرة المجردة للخطيب لا يلامس الصواب فى شئ . لأن معنى ذلك إلغاء دور التربية وأثرها فى تكوين الإنسان وتنشئته ، مع أن أثرها لا ينكر أبدا .

وكثيرا ما ترى أشخاصا يملكون موهبة الخطابة ، لكنهم لم يصقلوها بالتعليم والممارسة مما أدى إلى عجزهم عن مباشرة الخطابة ، وبذلك قتلوا موهبتهم ، ولم يستفيدوا بطاقتهم الفطرية .

وأيضا فإن الخطابة عند الخطيب صفات بيانه . وملاحظات نفسية وترتيب عقلى منظم . ومن المعلوم أن الصفات البيانية نتاج طبيعى لتعلم علوم اللغة والأدب والبلاغة وغيرها ، والملاحظات النفسية آثار ضرورية لإجادة علوم الاجتماع والنفس والإدارة بفروعها المختلفة ، والتنظيم العقلى المرتب أحد الآثار التى يحققها تفهم علوم المنطق والكلام والفلسفة . والخطابة .

ومادامت الصفات الأساسية الموجودة للخطبة أثارا لعلوم مختلفة فإنها تكون اكتسابا يتحقق بالدراسة والتعلم .

إن العلوم الحديثة تعتمد فى تعلمها على المنهج النظرى والطريقة العملية والخطيب يمكنه أن يكتسب فنه الخطابى ، وتمكنه في الإلقاء بالدراسة النظرية والتطبيق العملى لهذه العلوم .

وأيضا فإن كثيرا من الخطباء المجيدين بدأوا فى عى وعجز . ولم يصلوا إلى درجة الإجادة إلا بالتعليم والدراسة .

هذا " واصل بن عطاء " أحد شيوخ المعتزلة . وجد نفسه عاجزا عن الخطابة الجيدة بسبب اللثغة التى نشأت معه فى حرف الراء . لما وجد "واصل" نفسه كذلك لم ييأس ولم يترك الخطابة . ولم يبتعد عن الناس . وانما أخذ يقوم نطقه فلجأ إلى الراء واسقطها من كلامه . حتى استقام لفظه ، وصار من أوائل الخطباء . يقول الجاحظ : "ولولا استفاضة هذا الخبر . وظهور هذا الحال . حتى صار لغرابته مثلا . ولظرافته معلما لما استجزنا الإقرار به والتأكيد له . ولست أعنى خطبه المحفوظة . ورسائله المخلدة . لأن ذلك يحنمل الصنعة . وانما عنيت محاجة الخصوم . ومناقلة الأكفاء ومفاوضة الإخوان"[١] . فنجد الجاحظ يشير إلى قدرة التخلص من الراء عند واصل وأنه كمل نفسه بتقويم بيانه وتوجيه لسانه .

يشير "بشار بن برد" إلى هذه الظاهرة فى خطب واصل فيقول :

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا ∴ وحبروا خطبا ناهيك من خطب

فقام مرتجلا تغلى بداهته ∴ كمرجل اليقين لما حف باللهب

وجانب الراء لم يشعر به أحد ∴ قبل التصفح والإغراق فى الطلب[٢]

---

(١) البيان والتبيين جـ١ صـ٢٥ .

(٢) معجم الأدباء جـ٩ صـ٢٤٤ . تكلفوا أى صنعوا بمشقة ، ويراد بهم بعض الخطباء كانوا يخطبون عند عبد الله ابن أمير المؤمنين عمر بن العزيز .

فإذا علمنا أن بشار بقوله هذا يقارنه بـ "خالد صفوان . وشبيب بن شيبة والفضل بن عيسى . يوم خطبوا عند عبد الله بن عبد العزيز والى العراق إذا علمنا ذلك رأينا كيف وصل عطاء إلى إجادة الخطابة بالاكتساب" .

وكان " ديموستين " خطيب أثينا العظيم عييا . ومثار سخرية واستهزاء إذا نطق ، وقرب من اليأس فى أن يكون خطيبا . ولكن أستاذه شجعه على اصلاح عيبه . فعكف على المطالعة . واصلاح لسانه ، حتى رووا أنه كان يحلق نصف رأسه . ويقيم فى بيته أشهرا . يتمرن على الخطابة والإشارة ، وأنه كان يذهب إلى شاطئ البحر . ويضع فى فمه حصاة . ويخطب على هدير الموج . كأنه جمهور عظيم حتى صلح لسانه[١] .

وكتاب " الجمهورية " لافلاطون يوضح أن خطباء الاغريق كانوا يتقنون الفن دراسة قبل إلقائه على الجمهور .

و "لنكولن" نفسه مؤسس أمريكا الحديثة كان لا يجيد الخطابة . إلا أنه اكتسبها بعد قليل بالتلقى والمران ... يقول "هرندن" : "**كان لنكولن يبدو من العسير أن يلائم بين موقفه وبين ما يحيط به ، وقد ناضل بعض الوقت تحت وطأة شعور ظاهر من التردد . والخوف وكان صوته يبدو شبيها بالولولة والصياح . ولكن هذا كله لم يلبث إلا وقتا ثم اختفى بعد ذلك**"[٢] .

وهكذا نجد أن الخطابة تكتسب بالتعلم . والدراسة . والممارسة .

فمثلا يمكن لأولى الأمر أن يتولوا أمر من يريدونهم خطباء من طفولتهم ويربوهم على الثقة بالنفس . وحب الجماعة . وتشابه الأعمال للأقوال والاشتغال بالعلوم والفنون . وتعلم بعض الرياضيات ومقامات الموسيقى ، ينفقون عليهم الأموال . ويوجهونهم إلى الجماهير ليتعودوا على الالتقاء بهم .

---

(١) فن الخطابة صـ١٨ . أصول الخطابة صـ٢٠ .

(٢) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة صـ١٤ .

إن على الخطيب أن يتمتع بمجموعة من الصفات المتنوعة . وواجب على من وكل إليهم أن يكونوا خطباء أن يؤتوها . إجادة للعمل . وأداء للأمانة . وتكوينا ذاتيا وعلى المشرفين والمربين أن يهتموا بتخريج الخطباء المجيدين .

إننا ننصح طلاب الدعوة والخطابة بما يأتى :

أولا : البدء برغبة قوية :

يجب على من وكل إليه أن يكون خطيبا أن يبدأ عمله برغبة قوية . ونهم شديد ، لأن الرغبة الهزيلة لا تحقق النجاح أبدا ، وتأتى بالوهن ، وفقدان الأمل والثقة ، والواجب على الداعية أن يتفهم دراسته المتخصصة . ويقتنع بها ، ويعمل لها . ويفكر فيما تعنيه بالنسبة له ، ويستشعر المسئولية التي القاها الله عليه .

ليس هناك من هو أكثر شهرة وجاها من خطيب يرضى الناس . ويجذب انتباههم ، وكثيرا ما عشنا ورأينا خطباء يبلغ بهم التأثير الجماهيرى درجة أكبر من تأثير مسئول كبير .

وليس هناك من طريق يرضى الله ، وينفع الناس ، ويفيد سالكه أكثر من الدعوة إلى الله تعالى . يقول الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ** ﴾[١] .

يقول فيليب أرمور : "**كنت أفضل أن أكون خطيبا مفوها على أن أكون رأسماليا عظيما**"[٢] .

وما دامت النتائج مفيدة للإنسان فالواجب أن يبدأ الخطيب فى عمله برغبة قوية ويبتعد عن التكاسل . ومحاولات الهروب التى يبديها فى بداية الطريق ،

---

(١) سورة فصلت ، الآية ٣٣ .

(٢) التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة صـ١٥ .

وعليه وهو يعمل في مجال الدعوة الإسلامية أن يخلص في رغبته ويعتبرها نوعا من الجهاد لإعلاء كلمة الله ، ويحتسب أجره عند ربه الكريم الذي يملك خزائن السموات والأرض وهو على كل شئ قدير .

ثانيا : الممارسة والارتياض :

على من يريد الخطابة أن لا يخجل من نفسه . لأن الحديث لا يقويه إلا حديث يشبهه ، والخطبة لا تجود إلا بتكرارها ، وسبب ذلك أنها أعمال قولية تحتاج إلى فنية التطبيق ، ومنهجية الاستمالة والاقناع .

وهناك أمر مسلم هو أن من يريد أن يتعلم السباحة عليه أن يلقى نفسه فى الماء . فلماذا لا يلجأ إلى الخطابة من يريد أن يتعلمها ويتقنها .

يقول روزقلت : "إن أى مبتدئ معرض لـ " حمى الكلام " وهى حالة هياج عصبى شديد يترتب عليها أن يهجر المبتدئ الخطابة كلية ... وهذه قد تؤثر فى الشخص فى أول موقف خطابى له أمام جمهور المستمعين ومثل هذا الرجل لا تنقصه الشجاعة . ولكن ينقصه ضبط الأعصاب ، ورباطة الجأش ، يجب عليه بعد التدريب المتوالى التعود على ضبط النفس ، وأن يجعل أعصابه باستمرار خاضعة لسيطرته ، وهذا أمر مرده فى معظم الحالات إلى العادة ، والجهد المتواصل ، والتدريب المتكرر ، فإذا كان لدى الشخص المادة الملائمة . فإن قوته ستتزايد مع كل تدريب"[١] .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : ورياضة النفس على الخطابة تكون بأمور كثيرة بعضها يتعلق بالفكرة ، وبعضها يتعلق بالأسلوب . وبعضها يتعلق بالإلقاء ، لأن الخطابة فكرة وأسلوب ، والقاء محكم ...

ومن الرياضة التى تتعلق بالفكرة أن يعود نفسه ضبط أفكاره . ووزن آرائه . وعقد صلة بينها وبين ما يجرى فى شئون الناس ، وعامة أمورهم . ومنها

---

(١) المصدر السابق صـ٢٠ .

أن يكون كثير التأمل فى شئون الحياة . وأن يتعود الاتصال بالناس ليخلط نفوسهم بنفسه لتظهر الفكرة في عقله مرتبة ، مسلسلة .

ومن الرياضة المتعلقة بالأسلوب أن يتحدث بجيد الكلام ، ويكتبه كثيرا ويقرأ للأدباء وبخاصة للمجيدين منهم . ويحاكى البلغاء فى مرانه الخطابى .

ومن الرياضة المتعلقة بالإلقاء أن يعود نفسه إخراج الحروف من مخارجها . وأن يقرأ كل ما يستحسنه بصوت مرتفع . مصورا بصوته معانى ما يقرأ . وذلك بتغيير النبرات ورفع الصوت وخفضه[١] ... وهكذا .

إن أعظم النجاح للخطبة هو إلقاؤها بصورة جيدة على مسامع الناس ، جامعة عوامل التأثير والبلاغ ، من هدوء وأناء ، وتنوع صوتى متكرر ، واشتراك أكثر من حاسة فى إظهار المعنى المقصود .

ويحسن كثيرا أن يستحضر المبتدئ فى الخطابة موضوعه قبل إلقائه بمدة كافية ، فلا يؤجل إلى ظهر يوم الخميس ما سيلقيه يوم الجمعة ، بل عليه أن يستحضر خطبة الجمعة من أول أسبوع لأنه كلما عاش مع خطبته وقتا أطول زاد إلفه بها . وكثرت أفكارها ونضجت ، وعندما يكون الذهن مشغولا بالموضوع التقط عديدا من المعانى . واخترع غيرها ... ويا حبذا لو سجلت سائر الأفكار كلما وردت بلا ترتيب . **يقول ديل كارنيجى** : "حافظ على تسجيل جميع الأفكار التى ترد إلى ذهنك وفكر فيها بقوة واستمرار كل الوقت ولا تتعجل هذه العملية . لأنها من العمليات العقلية الهامة التى ستستفيد من ممارستها . وهى كذلك الوسيلة إلى نمو العقل نموا منتجا حقا"[٢] .

---

(١) أصول الخطابة صـ٢١ .

(٢) التأثير فى الجماهير صـ٣٠ .

ثالثا : حب الخطابة والعمل فى مجالها :

دلت النتائج العلمية على أن الإنسان فى الحقيقة يبدأ من داخله ، وكل أمر لا يرتبط بالباطن الإنسانى فمآله إلى الضياع ، من هنا وجب على كل من وضع نفسه ، أو وضعته ظروفه ليكون خطيبا أن يعشق عمله . ويخلص له ليتمكن من النجاح فيه .

لابد من وجود الحافز النفسى على النجاح . وبخاصة فى مجال الخطابة التى تحتاج إلى القراءة ، ودوام التفكير ، وقوة الملاحظة ، ومواجهة الجماهير بين الحين والحين .

إن الخطيب الكاره لعمله لا يستعد له . واذا ما واجه الناس خارت قواه لعدم ثقته فى دوره الذى يقوم به .

إن الخطبة رحلة ذات هدف ، ولابد لها من تخطيط يبدأ من نقطة معينة وينتهى عند نقطة أخرى . والخائفون لا يمكنهم التحكم فى أنفسهم فكيف يتحكمون فيما يخططون له ؟!

لابد من حب الخطابة وعشقها . والإخلاص لها .

وكم رأينا أناسا يكلفون بالخطابة وهم لها كارهون ، رأيناهم وقد أساءوا لخطبهم ولأنفسهم ، ولم يحققوا للدعوة إلا الضرر .

تلك أهم الوصايا التى يجب الاهتمام بها لينجح الخطباء فى أدائهم لدورهم .

المبحث الثانى
إعـداد الخطـيب

تحتاج الخطابة إلى الفطرة والاكتساب معا كما ذكرت ، ولذلك كانت ضرورة اختيار صاحب الفطرة قبل تدريبه وتعليمه .

ويقع المشتغلون فى إعداد الخطباء فى خطإ وهو قبول كل من يتقدم لهم مهما كانت فطرته . ومهما كان استعداده ، والواجب بذل الجهد في اختيار من سيعمل في هذا المجال الحيوى الهام ، وتدريبهم ، واعدادهم على النمط التالى :

(١) الاختيار المبكر :

يولد الطفل بمجموعة من الصفات الموروثة من والديه ، ويكتسب مجموعة أخرى من بيئته الأسرية ، فإذا ما بدأ دراسته الأولى فى المدرسة أو الكتاب أخذ فى اكتساب المزيد من الصفات عن طريق أقرانه وأساتذته .

وكم كنت أتمنى اختيار طلبة الدعوة والخطابة مع بدء تعليمهم وتدريبهم منذ الصغر ، لكن صعوبة ذلك تدفعنا إلى اقتراح اختيار هؤلاء الطلاب عند قبولهم فى المرحلة الجامعية ، ويستفاد فى هذه المرحلة بما يدرس فيها كمعرفة أصول اللغة وحفظ القرآن الكريم ، وتنمية بعض الملكات الفطرية عند الدارس . وينبغى فى المرحلة الأولى من الدراسة الجامعية أن توضع بطاقة لكل طالب تدون فيها ميوله ، ورغباته ، ومستوى ذكائه ، وقدراته على التحصيل الدراسى ، ومدى إستجابته لتوجيه أساتذته أمرا ونهيا ومدى تأثره بأقرانه وتأثيره فيهم ومدى حبه للخطابة واقباله على علوم الدعوة لأن هذه المعلومات تعتبر مؤشرا على شخصية الطالب واتجاهاته فيما بعد .

ومن الممكن اختيار بعض الطلاب لدراسة علوم الدعوة التخصصية على أساس إستعدادتهم وميولهم . **يقول ابن سينا :** "إذا فرغ الصبى من تعلم القرآن الكريم وحفظ أصول اللغة أنظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته

فوجهه لطريقه بعد أن يعلم مدبر الصبى أن ليس كل صناعة يرومها الصبى ممكنه له مواتية لكن ما شاكل طبعه وناسبه"[١] .

وتلك ملاحظة هامة لأن وضع الإنسان فى موضع يتفق مع ميوله واستعداداته أول شروط النجاح ، ولنقتد فى ذلك برسول الله ﷺ فهو الذى اختار أبا بكر وعمر رضى الله عنهما للشورى ، وأختار عليا ومعاذا للحكم والقضاء ، وهكذا كان اختياره **ص** لسائر الصحابة الذين وكل إليهم أعمالا معينة . وما تم ذلك ألا وفق استعداد كل منهم ليقوم بما يعهد إليه من مهام .

ومن الممكن أيضا عقد لقاءات شخصية للطلاب لاختيار قدرتهم واستعدادهم لهذا النوع من الدراسة ، لأن الاستعداد الشخصى أساس للتفوق العلمى ، ولقد كان السلف رضوان الله عليهم يختبرون من يعلمون حتى لا يضعوا البذرة فى أرض سبخة ، ومن ذلك ما حدث من الخليل بن أحمد عالم العربية حينما أتاه النظام بولده إبراهيم وقال له : علم لى ولدى هذا .

فقد اختبره أولا ، وقال له : صف هذا الكأس . وأشار إلى كأس فى يده .

فقال الغلام : بمدح أم بذم .

قال : بمدح

فقال الغلام : تريك القذى ، ولا تقبل الأذى . ولا تستر ما وراء .

قال : فذمها

فقال الغلام : يسرع إليها الكسر ، ولا تقبل الجبر .

ومن ذلك أيضا أن الحافظ العراقى لما ذهب إلى شيح ابن البابا ليتلقى عنه الحديث اختبره أولا وقال له : من ابن البيع ؟

قال الحافظ : الحاكم أبو عبيد الله النيسابورى .

فقال له : من أبو محمد الهلالى ؟

---

(١) التربية عند علماء المسلمين صـ١٧ " المقدمة " .

قال : سفيان بن عيينة .

قال له : هلم يا بنى . وعرف مكانته من الوعى والإدراك ، واستعداده للتعلم وعلمه[١] .

إن مثل هذا الاختبار يتم اليوم فى عدد من الدراسات المتخصصة التى تبدأ من وقت مبكر كدور المعلمين والمعلمات . ومعاهد الخدمة الاجتماعية . والمدارس العسكرية المتنوعة ، وذلك كله لينجح الطالب بعد تخرجه فيما يوكل إليه من أعمال .

وقد أدرك قدر هذا الاختبار المبكر مع الاختيار أصحاب المذاهب الوضعية ورجال الأديان الأخرى فعملوا به وأخذوا يعدون لباطلهم دعاة فيهم الذكاء والنشاط والإخلاص .

واعداد الدعاة إلى الإسلام يجب أن يندرج فى هذا الخط الطبيعى ، فتختارهم فى سن مبكرة ، ونختبر مستوياتهم الذهنية وقدراتهم الشخصية ليسهل إعدادهم ، ويكونوا بعد تخرجهم على مستوى أهمية العمل للدعوة .

وعلى القائمين بالاختيار أن يركزوا على الجانب الفطرى لدى الطالب ومعرفة مدى استعداده للخطابة والمواجهة ، وسرعة بديهته في الرد والإجابة .

(٢) مدارس الدعاة :

مع أن الاختيار المبكر لطلاب الدعوة منذ طفولتهم أمر شاق لغلبة المادة على النفوس ، واتجاه غالبية الناس إلى زخرف الدنيا ، ومظاهرها ... مع ذلك فإنا نأمل في فئة قليلة من الناس أن توجه بنيها لدراسة الدعوة أداء للواجب ، وحبا لدينهم ، والى هؤلاء وأمثالهم يكون حديثنا عن الاختيار المبكر لدراسة علوم الدعوة .

---

(١) التربية عند علماء المسلمين صـ١٨ .

بعد انتهاء المرحلة الأولى يلتحق الطلاب بالمرحلة المتوسطة ، وأقترح هنا إنشاء مدارس متوسطة وثانوية للدعوة والخطابة بجانب الكليات الجامعية حيث يتلقى بها الطلاب الذين وقع عليهم الاختيار دراساتهم المتوسطة والثانوية.

ومن المتصور أن الطالب فى المرحلة الأولى أجاد القراءة والكتابة وحفظ قدرا كبيرا من القرآن الكريم . وعرف مبادئ عدد من العلوم كالحساب والهندسة . وبعد ذلك يلتحق طالب الدعوة بمدارس الدعوة المتوسطة لنعده مع المراحل بعدها للدعوة وفق خطة تتطور بتطور عمره وعلمه ، ومناهج هذه المدارس بالضرورة تشتمل على دراسات للإعداد العام الضرورى لكل طالب فى أى تخصص ، وأخرى للإعداد الدينى الشامل لكل علوم الدين ، وثالثة للإعداد التخصصى المرتبط بالدعوة والخطابة . ويقوم المشرفون بوضع المناهج والمقررات المطلوبة لهذه الدراسات .

وينبغى أن يقوم نظام هذه المدارس على أساس الرعاية الكاملة طوال اليوم بحيث يعيش الدارسون بين أساتذتهم وقت الدراسة ، ويقضون أوقات راحتهم وتريضهم مع الموجهين والمشرفين ، وبذلك يعيش الطلبة بين الأستاذ والموجه مما يجعلهم يسيرون تلقائيا نحو التربية المقصودة والهدف المنشود .

إن النظام الداخلى خلال الدراسة فى هذه المدارس هو أحسن ما يحتاجه الدارسون وبخاصة فى المجتمعات الحديثة التى كثرت فيها المؤثرات . وتعددت معها الأهداف والغايات ، مما جعل الأفراد بسببها فى تناقض ذاتى . واضطراب فكرى .

ولو كانت المجتمعات الإسلامية تسلك المنهج الأمثل فى كافة أنشطتها لقلنا إن أنشطة المجتمع تكمل دور مدارس الدعوة ، وتساهم بجزء هام فى تكوين الشخصية الإسلامية ، تماما كما كان المجتمع الإسلامى فى عصر رسول الله **ص** حيث كان الصحابة يسمعون الإسلام من رسول الله ، ويرون

تطبيقاته فى مختلف الأنظمة والأنشطة مما جعلهم خير أفراد ، كونوا خير أمة أخرجت للناس بإيمانها ، وأعمالها ، وتمسكها بالمعروف ، وبعدها عن المنكر .

إننا نتمنى للمسلمين أن يعاودوا سيرتهم الأولى ، وحتى يتحقق ذلك نقترح لمدارس الدعاة أن تقوم على الأساس الذى أشرنا إليه من أجل تكامل الداعية ، واعداده سويا خاليا من التضارب والسلبية .

إن التفرغ الكامل للدارسين يسهل أمام المسئولين تكوين الدعاة بالصورة المرجوة فى الدين والعلم والخلق ، وليس التفرغ للدراسة بالأمر الصعب ، لأن نوعيات عديدة من المدارس والمعاهد فى جميع أنحاء العالم أخذت بنظام التفرغ خلال الدراسة فى مقابل تحقيق بعض المزايا المادية والمعنوية للدارسين ، وكان الإقبال عليها شديدا ، ودلت نتائجها على تحقيقها لأغلب الأهداف التى وضعت البرامج من أجل الوصول إليها .

ويجب أن تشتمل مدارس الدعاة على مزايا عديدة يجدها الدارسون خلال الدراسة وبعدها ، وذلك لاختيار أفضل العناصر للقيام بالدعوة ، واعدادهم الإعداد المطلوب ، ومن المعلوم أن صناعة الدعوة تعنى صناعة الأمة ، فإذا ما أحسن المسلمون إعداد الدعاة وتربيتهم فقد أدوا بعض ما وجب عليهم ، ونفعوا فى نفس الوقت أنفسهم وأمتهم بنشر العدل . وتحقيق الأمن .

إن مناهج ومقررات مدارس الدعاة يجب أن تتجه جميعا إلى بناء شخصية الدعاة بصورة متكاملة ، وقد ضرب رسول الله ﷺ من نفسه نموذجا لهذه الشخصية لتكون مائلة أمام المسلمين ، ينشئون أجيالهم على نمطها ، ويتخذونها المثال لحياتهم ومعاشهم ، ولا غرو فى ذلك فرسول الله ﷺ بعث ليتمم مكارم الأخلاق بالهدى ودين الحق ، وليوجه الإنسانية إلى ما يصلح شأنها ويعلى قدرها .

إن الدعوة إلى الإسلام تحتاج فى كل وقت إلى التكامل فى شخصية الدعاة ، ومن هنا ندرك حرص الرسول على تربية الشخصية والاعتداد بالنفس

عند أصحابه رضوان الله عليهم حتى أصبح كل منهم أمة فى نفسه ، لا يعرف غير الحق ، ولا يخشى فى الله لومة لائم ، وصدق رسول الله **ص** فى قوله عنهم : "أصحابى كالنجوم ، بأيهم إقتديتم إهتديتم"[١] رضوان الله عليهم فلقد انتصر الإسلام بهم .

ويجب أن تقدم مدارس الدعوة لطلبتها الدراسة التى تساعد على تكامل شخصية الدعاة وفق خطة مقررة يضعها الاشراف المتخصص على إعداد الدعاة .

(٣) كليات الدعوة :

تعتبر الدراسة فى كليات الدعوة امتدادا للدراسة فى المدارس المتوسطة والثانوية من حيث الهدف والغاية مع تميزها بالعمق والتحليل والمقارنة واجراء البحوث الميدانية والعلمية .

وعلى المسئولين المشرفين أن يحددوا المقررات والمناهج المطلوبة لمدارس وكليات الدعوة . من أجل تحقيق التكامل بين الدراسات المقررة ، وفى نفس الوقت على المشرفين ملاحظة أن المرحلة الثانوية تكون نهاية الدراسة لعدد من الطلاب مما يحتم اعتبار الدارس المتخرج من هذه المرحلة معدا على مستوى معين ، ويمكن الاستعانة بهؤلاء كدعاة فى القرى الصغيرة والمجتمعات البسيطة ، كما يمكن جعلهم مساعدين للدعاة فى المجتمعات الواسعة .

ويجب عدم تكليف من يقل مستواه عن الدراسة الثانوية فى علوم الدعوة بأى عمل فى مجال الدعوة ، وكما جاز اقتصار بعض الطلاب على الدراسة الثانوية فإنه يجوز أن يستمر بعض الطلاب فى الدراسات العليا للحصول على الماجستير والدكتوراه فى علوم الدعوة . وعلى كليات الدعوة أن تهتم وتخطط لذلك .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله . باب ما يلزم الناظر في اختلاف العلماء جـ٢ صـ٨٩٨ .

وبعدما يتخرج الدعاة يكلفون بما أعدوا له وينضمون إلى ما سبقهم من الدعاة ، وبذا لا تنقطع الصلة بهم بعد عملهم حيث يستمر معهم الإشراف والعون والمساعدة .

(٤) دراسة اللغات الأجنبية :

تعتبر دراسة اللغات الأجنبية من أهم الدراسة اللازمة للدعاة فى العصر الحديث وبخاصة إذا كان من توجه إليهم الدعوة من غير العرب ، كما أن العديد من المؤلفات التى تتعلق بالإسلام إيجابا أو سلبا كتبت بغير اللغة العربية ، وحتى يمكن قراءة كل ما يقال عن الإسلام . ومن أجل تبليغ الإسلام لجميع الناس يجب إحاطة الدعاة بصورة تامة بلغات من سيدعونهم ، وهذا واجب بدهى لأن مصادر الإسلام نزلت بلغة عربية ، وحفظها الله للناس كما أنزلها على رسوله محمد **ص** وألزم المؤمنين تبليغ الإسلام على وجه بين واضح ، ولا يتم ذلك إلا باتحاد اللغة بين الداعية والمدعوين أيا كانت هذه اللغة ، ولهذا المعنى أرسل الله رسله السابقين إلى أقوامهم بلسانهم حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[1] ، وبسبب كون القرآن نزل أولا فى العرب كان نزوله بلغتهم لأنه لو كان بغير لغة العرب لما فهموه ولطلبوا نزوله بلسانهم ليفقهوه لكن الله تعالى بحكمته أنزله عربيا وقال سبحانه : ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية ٤ .

عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[١] . ولعل فى قوله تعالى : ﴿ ءَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ إنكار للاختلاف اللغوى بين الداعية والمدعوين إذ لا يصح أن يكون الكلام أعجميا والمخاطب به عربيا ، لأن ذلك لو حدث لاحتاج المخاطبون إلى التفصيل والبيان .

وتحقيقا لعالمية الإسلام مكن الله العرب من اتقان لغات العالم كله . ويجب على الدعاة أن يتمكنوا من ذلك دائما ، وقد وجه رسول الله ﷺ المسلمين والدعاة إلى هذا الواجب بما فعله مع الصحابى زيد بن ثابت ر حيث قال له : **يا زيد أتحسن السريانية ؟ إنها تأتينى كتب بها** .

قال زيد : **لا** .

قال ﷺ : **تعلمها** .

يقول زيد : **فتعلمتها فى سبعة عشر يوما**[٢] .

وهكذا وضح الرسول للمسلمين طريق مخاطبة الناس وتوجيههم إلى الله تعالى . ونظرا لكثرة اللغات العالمية فإنه يمكن تقسيم الطلاب إلى مجموعات تختص كل مجموعة بدراسة لغة أو لغتين وبذلك يمكن تخصيص كل مجموعة لدعوة إقليم من أقاليم العالم .

وينبغى تعريف كل جماعة بالأقليم الذى ينطق لغة دراستهم من ناحية عاداته ، وتقاليده ، والأديان والمذاهب المنتشرة فيه ، وبغير ذلك ليكون الدعاة على بينة تامة ممن سيدعونهم[١] .

---

(١) سورة فصلت ، الآية ٤٤ .

(٢) صحيح ابن حبان . كتاب التاريخ . باب ذكر زيد بن ثابت ج١٦ ص٨٤ .

المبحث الثالث
الصفات العقلية للخطيب

الخطيب يعرض فكره على الناس كلما التقى بهم، لأنه يخاطبهم فى قضايا هامة حدد لها العناصر ، وجمع لها الأدلة ، وأمله أن يوصلها إلى قلوبهم وأعمالهم .

وقديما قيل لعبد الملك بن مروان عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين قال : وكيف لا يعجل على . وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين .

ونظرا لأن المستمع يتأمل ، ويحكم على الخطيب ، بسعة أفقه ، وفطنته وتمكنه من خطابه ، وقدرته على الجذب والاستمالة ... أو بعجزه وخوائه ... نظرا لذلك صار لازما أن يتميز الخطيب بعدد من الصفات العقلية التي منها :

ـ ١ ـ
عمق النظرة

صاحب العقل يعيش الحياة فاهما لها ، متأملا فيها ، يأخذ منها الدروس ويستنتج العبر ، ولذلك نراه دائما ينظر ، ويحلل ، ويستفيد ، ويضم إلى هدوئه دقة الفكر ، وعمق التركيز ، ويستنتج مما يقرأ ويرى أكثر مما يعرفه غيره ، ولذلك نجده محيطا بأحوال الناس ، عليما بحاجاتهم ، ولديه إمكانية معونتهم ، وحل مشاكلهم واذا أراد أن يتحدث إليهم لمس أوتار الحركة ، وعوامل التأثير فيهم ، وهو بواسطة عقله وذكائه يختار موضوعه ، ويجمع أدلته ، ويصبه في آذان الناس بصورة بليغة فصيحة ، لتحقيق ما يريد منهم .

---

(١) لقد تقدمت بخطة كاملة لإعداد الدعاة أقرها موتمر توجيه الدعوة والدعاة الذي عقد في المدينة المنورة عام ١٩٧٦م .

ـ ٢ ـ

سعة المعارف

لا يستغنى الخطيب عن الاطلاع الدائم فى كافة العلوم . وسائر أنواع المعارف حتى يمكنه أن يتعادل مع دوره الهام . حيث له الصدارة . ومنه الفتوى والمناصحة والتوجيه .

إن الخطيب لا يمكنه القيام بدوره هذا إلا بعد جهد طويل ، وبذل متواصل فى التحليل العلمى . والبحث الموضوعى .

واعلم أن العلم فى حد ذاته ضرورى . **يقول الإمام الغزالى** : "إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذا فى نفسه فيكون مطلوبا لذاته . ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها . وذريعة إلى القرب من الله تعالى . ولا يتوصل إليه إلا به"(١)

يقول النبى ﷺ : "**تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية . وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح . والبحث عنه جهاد . وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه . وبذله لأهله قربة . لأنه معالم الحلال والحرام . ومنار سبل أهل الجنة وهو الأنس فى الوحشة ، والصاحب فى الغربة . والمحدث فى الخلوة . والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداد . والزين عند الأخلاء ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة وأئمة تقتص آثارهم . ويقضى بأفعالهم وينتهى إلى رأيهم**"(٢) .

وعلى المربين أن يوجهوا طلبتهم إلى التزود العلمى . ولا يصيخوا سمعهم لبعض المعوقين الذين يركنون إلى الدعة والكسل .

---

(١) الإحياء جـ١ صـ١٢ .

(٢) رواه ابن عبد البر عن معاذ بن جبل . جامع بيان العلم وفضله جـ١ صـ٦٥ .

ويمكن للمربين أن ينشئوا تلاميذهم على السلوك الاجتماعى بالرحلة ، ومشاركة الآخرين ، ومد يد العون للضعفاء والمحتاجين .

يقول صاحب كتاب "الكرازة المثلى" : إن المسيح كان يهتم دائما بمتابعة رحلات تلاميذه . وبهذا الإحساس يمكننا أن نقول : إن أحاديثه كانت تدور حول إعطاء التوجيهات . وتحديد الأماكن التى يذهبون إليها ، وكل أسئلته وتوصياته ، وانذاراته ، ونصائحه ، كان الغرض منها أن يعطيهم ما يحتاجون إلى معرفته لكى يتمموا عملهم وهو الكرازة[١] .

ومن أهم المعارف التى يجب أن يهتم الخطيب المسلم بها ما يلى :

(أ) حفظ القرآن الكريم :

الخطيب الإسلامى الناجح هو الذى يهتم بالقرآن الكريم حفظا وفهما . ويقتبس منه فى خطبه وكلماته . ويورده مؤثرا به على المستمعين .

ويعتبر القرآن الكريم مقياس الإجادة عند الخطيب . فهو كتاب لا يكتفى بإيراد الحقائق عن الموضوع المعنى به فقط ، وانما يوردها بصورة تلائم عقول المستمعين وأرواحهم . وتهتم بالشكل والمضمون . ولذا نجد الآيات فى لفظ بهى . ومعنى مرتب دقيق .

ومن هنا يكتسب الخطيب من القرآن أسلوبا رائعا . وأفكارا مؤثرة . وتسلسلا دقيقا ، والتزاما للموضوع الواحد بلا خروج عنه . ومراعاة لأحوال المستمعين واتجاهاتهم ومناسباتهم ، كما أن القرآن يقدم للخطيب فن التبشير والإنذار الذى هو فن هام فى التأثير .

ولئن ذكر بعض الفقهاء . أن بعض آيات القرآن الكريم تكون خطبة كاملة للجمعة لما فيها من نصائح وذكر ، وقد صح أن النبى ﷺ اكتفى في

---

(١) الكرازة المثلى صـ٨٢ ، ومعنى الكرازة الدعوة والتبشير ، ومع تحفظنا على مدلول مضمون النص إلا أنه يشير إلى أهمية التعلم بالعمل والسلوك .

بعض خطبة بقراءة سورة (ق) ، ومع ذلك فإننا نطلب من الخطيب أن يضمن خطبته بعضا من القرآن الكريم . ليحقق شروط سائر الفقهاء . وليتمكن من الإفادة والإقناع .

وهنا أمر ذوبال نلفت النظر إليه . وهو وجوب مراعاة الحفظ الدقيق للآيات التى يوردها الخطيب فى خطبته ليكون حجة موثوقا به عند المستمعين .

ليس من العيب أن يبذل كثيرا من الوقت فى الحفظ . لكى العيب كله أن يخطئ فى الآيات حين يقرؤها أمام الجمهور . لأن هذا الخطأ يدفع الجمهور إلى عدم الثقة فى الخطيب ، ويجعلهم يشعرون بالملل والضيق . ويكثرون من النقد والتعلق .

فعلى الخطباء جميعا أن يهتموا بالقرآن الكريم . وياحبذا لو أحاط الواعظ المسلم بسائر الكتب المنزلة مع حفظه للقرآن ليفهم ما عند الناس . ويخدم دينه بهذا الفهم .

(ب) السنة النبوية :

السنة النبوية هى كل ما أوثر عن النبى ﷺ من وقول أو فعل أو تقرير أو صفة أو حال . وهى تتضمن عديدا من أنواع البيان . حيث أتت موافقة لنص الكتاب . أو موضحة لمجمل النص . أو أتت بزيادة عليه . أو نسخته ، وهى بذلك تؤكد ضرورتها ، وأنه لا يمكن الاستغناء عنها لخطيب يعمل فى خدمة الدعوة . لأن القرآن يحتاج لبيانها أكثر من احتياجها هى للقرآن الكريم .

يقول الإمام أحمد بن حنبل : "إن السنة قاضية على الكتاب أى أن السنة تفسر الكتاب وتبينه"[١] .

---

(١) جامع بيان العلم جـ٢ صـ٩٥ .

ومع دور السنة فى البيان فإننا نجدها قمة فى البلاغة العربية . قد خلت من كل شذوذ ، حيث الألفاظ متناسقه . والمعانى محكمة واضحة . وذلك لأن النبى **ص** بعث بجوامع الكلم .

إن السنة النبوية[١] تتمتع بمجموعة من الخصائص التى تفيد الخطيب . حيث تهتم بالموضوعات الواقعية التى تلامس حياة الناس . ولا شأن لها بالنظريات الخيالية أبدا ، وأيضا فإنها تشتمل على أساليب الترغيب والترهيب الذى هو فن عظيم النتائج قوى الأثر بين الناس .

ولست أقصد أن يرتبط الخطيب بما يحفظه من قرآن وسنة . بل أزيد الخطيب وأقول له : "إذا حفظ الخطيب القرآن الكريم ، وأكثر من حفظ الآثار النبوية . ثم نقب عن ذلك تنقيب مطلع على المعانى . عرف حينئذ كيف يجيد وهنا يستفيد بما ينشئه من ذات نفسه ، ويستعين بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية ، وأصحاب الاجتهاد لا يستغنون عن هذا الحفظ أبدا"[٢] .

(ج) الملل والنحل :

معرفة الملل والنحل هام للخطيب حتى يتمكن من المقارنة فى موضوعه ليثبت الحق فيه . ويدفع الشبه التى تثار ضده .

ومع اشتمال القرآن والسنة على كثير من الملل والنحل بشكل مجمل أو مفصل إلا أننا نرى وجوب متابعة الخطيب للأبحاث الكثيرة التى تصدر تباعا فى هذا الموضوع .

إن كثيرا من العادات تتأصل فى الناس بسبب بعد الزمن . وتتحول إلى نحلة يعتنقها أصحابها على أنها مذهبهم ودينهم ، والدعاة مسئولون عن معرفة ما هو ملة أو نحلة ليتمكنوا من المواجهة الصحيحة ، والتحليل الدقيق .

---

(١) أفتى ابن حجر بتعزير من ينقل حديثا من كتاب فى الخطبة . وهو لا يعرف راوية إهمالا منه ، أو بسبب ترك الكتاب ذكر الراوى . حاشية الأجهورى صـ١١٦

(٢) المثل السائر صـ٣١ .

(د) علوم اللغة العربية :

علوم اللغة العربية كثيرة وعديدة ، بعضها يتعلق بالتراكيب اللفظية ، وبعضها يتعلق بطرق تحسينها . والتعبير عنها بصور مختلفة ، وبعضها بإعرابها وضبطها ، والداعية يحتاج إليها جميعا في الخطابة وفى غيرها .

إن مداومة الاطلاع فى علوم اللغة بمختلف فنونها يعطى للخطيب طاقة لفظية لا حدود لها ، وتمكنه من تشكيل معانيه فى صورة بهية جميلة .

ويجب أن يكون واضحا أن الاهتمام بهذه العلوم يفيد الخطبة من حيث سهولة اللفظ ، ويسر المعنى ، والقرب النفسى من المستمع .

(هـ) العلوم الإنسانية :

العلوم الإنسانية كافة العلوم تدور حول الإنسان ، تحلل ، وتقدم النظريات التى تخدم الإنسان بعد ذلك .

ومن العلوم الإنسانية علم التاريخ . وعلم الاجتماع . وعلم النفس . وعلم المنطق . وعلم الجمال . ونظريات هذه العلوم ضرورة للخطيب لكى يلاحظها حين يضع علاجا خطابيا للمستمعين .

إن الخطيب المسلم بصورة خاصة صاحب رسالة تحتاج منه الاخلاص الدقيق . والاصرار الواعى على النجاح . والشمول الواسع للمعارف والفنون .

ومن هنا فواجب أن يكون للخطيب مكتبة ثقافية يحرص على اقتنائها ، وأن يعيش بين الكتب . ولا يكتفى بنشرة مختصرة ، أو بأدلة محددة ، ولا يساعده على ذلك إلا مكتبة بها مؤلفات فى المعارف التى أشرنا إليها مع استعداد لدى الخطيب ليقرأ . ويستوعب . ويفهم . ويستفيد .

ما الذى يمنع استفادة الخطيب من الفن التمثيلى . والإلقاء المسرحى . والتوزيع الصوتى . وكل تلك وسائل مفيدة ومؤثرة ؟! ... وعليه أن يستفيد بها وبغيرها في إطار الضوابط الشرعية .

ولماذا لا يهتم الخطيب بسائر الأفكار . وبكل العلوم الإنسانية . وهى ضرورية لذاته ورسالته ؟!

أو ليس واجبا على الخطيب أن يحفظ كتاب دعوته . والسنة المبينة للكتاب ، وهما معا يوضحان الدين . ويمدانه بوسائل التأثير والاقناع ؟!

إننا فى عالم لا مكان فيه لغير العلم . وعلى الخطيب أن يلحظ ذلك . ويعمل له . لينجح فى دعوته ويربطها . كحقيقتها . بالحياة .

ـ ٣ ـ
قـوة الذاكـرة

يحتاج الخطيب إلى حسن الذاكرة . ليتمكن من أداء رسالته . لأن الذاكرة الضعيفة تنسى كثيرا من المعارف . وتضر كثيرامن العبقريات .

إن المرء قد يكون مثقفا . غزير المادة . واسع الاطلاع . ومع ذلك إذا صادفه موقف حساس إرتج عقله . وخانته ذاكرته . وقديما قالوا : "**إن المرء بأصغريه قلبه ولسانه**" .

ذهب غلام مع وفد قومه لتهنئة عمر بن عبد العزيز ر . ولما وقفوا بين يدى الخليفة اشرأب الغلام للكلام ...

فقال عمر ر : **يا غلام . ليتكلم من هو أسن منك .**

فقال الغلام : **يا أمير المؤمنين . إنما المرء بأصغريه . قلبه ولسانه . فإذا منح الله عبده لسانا لافظا . وقلبا حافظا فقد أجاد له الاختيار . ولو أن الأمور بالسن لكان ههنا من هو أحق بمجلسك منك .**

فقال عمر : **صدقت**[١] .

والقلب الحافظ لا يكون إلا من ذاكرة حسنة . وبديهة حاضرة .

---

(١) الشخصية صـ٢٢ .

وقد درس علماء النفس ظاهرة ضعف الذاكرة فوجدوها ضارة بالإنسان وخاصة الإنسان العادى لأنه يهمل التذكر بغير وعى .

يقول " كارل سيشور " : "إن الرجل العادى لا يستخدم أكثر من عشرة فى المائة من قدرته الموروثة فى الاستذكار . ويضيع منه تسعون فى المائة بإهماله قوانين التذكر الطبيعية"(١) .

وقبل أن نقدم قواعد علم النفس فى تحسين الذاكرة كما بينها العلماء نوضح أن العلم ابتداء هبة إلهية يعطيها الله للمتقين من عباده كما يقول تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾(٢) .

ويقول الإمام الشافعى :

شكوت إلى وكيع سوء حفظى ∴ فأرشدنى إلى ترك المعاصى

وأخبرنى بأن العلم نور ∴ ونور الله لا يعطى العاصى

وأهل التقوى يقولون بالإلهام الاشراقى . ويذكرون أن أهل الله يكون الله معهم دائما عونا ونصيرا مستدلين بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣ ﴾(٣) .

ومع أن الأمر هبة إلهية فإننا نطالب بالأخذ بالأسباب ، ومطرد العادة ليتحقق العطاء الإلهى للصالحين .

هذا وقد درس العلماء طرق تحسين الذاكرة . وحصروها فى ثلاثة هى :

---

(١) التأثير فى الجماهير صـ٦١ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .

(٣) سورة الطلاق ، الآية ٢ ، ٣ .

الطريقة الأولى " التركيز " :

التركيز عملية عقلية تساعد صاحبها على الإلمام بالموضوع واستحضار كافة المعلومات التي تتصل به ، ومن الناس من تشغله الحياة ، وتنسيه همومها كثيرا مما يحتاج إليه ، وهؤلاء يحتاجون إلى إتباع الوسائل التي تساعد على التركيز والتذكر .

ويجب على من يريد تحسين ذاكرته أن يحدد المطلوب عند قراءته . حتى لا يتفلت منه ويضيع . ويكون التركيز باستحضار المعنى عند قراءة الكلمات . وترتيب الأفكار حسب ورودها فى الألفاظ . وياحبذا لو ارتبطت هذه الأفكار بصورة حية فى النفس .

إن التشبيه أسلوب مبين لأنه يربط المشبه بما هو معروف ومشاهد ، ولذلك كان ارتباط الأفكار بصورة حسية مؤديا لتحسين الذاكرة .

ويكون التركيز أيضا بالقراءة بصوت مرتفع حيث تشترك حينئذ حاستان فى التقاط المعنى .

إن اللسان والأذن فى هذه الحالة يمدان العقل بالمعانى . وهذا يؤدى إلى تحسين الذاكرة .

ويأتى التركيز كذلك ، بكتابة المقروء وبخاصة ما يحتاج إليه .

إن العقول تعتمد على رؤية المكتوب أكبر من إدراكها المسموع خمسا وعشرين مرة ، ومن الإمكان أن تنسى اسم الشخص فى وقت تحافظ فيه على تذكر صورته .

ويمكن أن يسجل الخطيب أو القارئ ما يقرؤه فى جمل قصيرة .

يقول "مارك توين" : كنت ألقى محاضرة كل ليلة . وكان لابد لى أن أستعين بمذكرات تملأ صفحة كاملة حتى لا يختلط على الأمر . وكانت هذه المذكرات عبارة عن بدايات الجمل .

الطقس فى ذلك الأقليم ...

جرت العادة فى ذلك الوقت ...

ولكن لم يسمع أحد فى كاليفورينا أن ...

جمل من هذا الطراز يتكون منها ملخص الموضوع يقى صاحبه من الحصر والارتجاج[١] ويمكن صياغة هذه الطريقة بتسجيل العناصر الرئيسية ، وكتابة رءوس المسائل ، لأن الخطيب حين يراها يتذكر ما وراءها .

ويأتى التركيز أيضا بإبعاد كافة المعوقات الحسية وقت القراءة لأنها تصرف بعض الفكر إليها . ولذلك نجد البعض لا يفهم جيدا إلا فى مكان بعيد عن الناس .

ولسنا نقصد حصر التركيز فى هذه الصور الكثيرة ، وما نقصده بيان تنوعها أمام الأشخاص لأن من الناس من يركز بصورة ، أو بأخرى ، أو بغير ذلك كله .

الطريقة الثانية " التكرار " :

هذا هو القانون الطبيعى الثانى لقوة الذاكرة . وهو قانون مضمون النتيجة لأنه يمكن الكثيرين من حفظ النصوص الطويلة . والمسلمون لا يحفظون القرآن إلا بالتكرار .

ويجب أن لا يكون التكرار آليا . بل يجب أن يكون ذاكيا . بمعنى أن يستمر التكرار مدة طويلة على فترات منقطعة . لأن العقل الباطن يكون مشغولا بين فترتى التكرار بتكوين ترابطات أكثر ضمانا ، ولأن العقل حينما يقوم بعمله على فترات لا يرهقه التعب المتواصل .

---

(١) التأثير فى الجماهير صـ٦٥ .

وهناك كشف مفيد جدا يتصل بقوة الذاكرة وهو وجوب النظر فى الموضوع قبل إلقائه . لأن العقل ينسى فى الثمانى ساعات الأولى أكثر مما ينسى فى خلال ثلاثين يوما بعد ذلك .

الطريقة الثالثة " الترابط " :

يستطيع الخطيب أن يتذكر نقاط موضوعه ، ويربطها بشئ موجود فى العقل . أو يربط بعضها ببعض في تسلسل وتتابع كان تكون العناصر بعدد أيام الأسبوع ، أو بعدد أصابع اليد الواحدة ، أو بأى شئ مادى ملموس ، حتى إذا بدأ في النقطة الأولى تتابعت أمامه باقى النقاط .

وأذكر أن بعض الخطباء في أول أمره كان يربط عناصر خطبته بعدد أدوار البيت الذي يسكن فيه ، ويسمى كل عنصر بدور ... وهذا يسهل عليه إيرادها وقت الإلقاء .

وهكذا يجب على الخطيب أن يحسن ذاكرته ليتمكن من النجاح فى مهمته .

المبحث الرابع
الصفات الأخلاقية للخطيب

يحتاج الخطيب إلى مجموعة من الصفات الأخلاقية من أجل القدرة على النجاح ، لأن هذه الصفات تعطيه الثقة فى نفسه ، وتجعل المستمعين يقبلون على كل ما يقوله بنفس متفتحة ، ورغبة أكيدة . ومحبة تتعلق بالقول والقائل ، وبالبحث فى أهم الصفات الواجبة نرى أنها تنحصر فيما يأتى :

(أ) الثقة بالنفس :

كثير من الناس حينما يكلفون بالخطابة يشعرون بأنهم حملوا أمرا فوق طاقتهم ، ويضمون إلى هذا الإحساس عجزا واضحا حين إلقاء الخطبة . حيث يصابون بالاختلال العصبى . فيحمر لونهم ، ويسبل عرقهم ، ويصيبهم فزع شديد ، يقول خطيب عاش هذه الحالة : "**إن أول مرة حاولت فيها إلقاء حديث عام كنت فى حالة من الشقاء . وليس هذا مجرد تشبيه .ولكنه الحق بعينه فقد تيبس لسانى فى سقف حلقى . فلم أستطع أن أنطق بكلمة واحدة**"[١] .

إن حالة الخوف هذه يجب مطاردتها بحب الخطبة نفسها ، لأن الحب الكامل لها يدفع الخوف كله . ويؤدى إلى ثقة الخطيب فى نفسه ، وهذا الحب لا يتم إلا بعد إعداد جيد قبل الإلقاء . لأن الإعداد تسعة أمثال الإلقاء فى صنع الثقة ، ومما يدفع إلى تحقيق الثقة المطلوبة إيمان الخطيب بدعوته لأنه يخطب حينئذ فى أمر يهمه شخصيا ، وحينئذ يسمع جمهوره له .

يقول عامر بن عبد القيس : "**الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب**"[٢] .

والإعداد المبكر للخطيب يحقق الثقة المطلوبة ، لأنها عاش بها ردحا طويلا من عمره .

---

(١) التأثير فى الجماهير صـ١٢ .

(٢) البيان والتبين جـ١ صـ٨٣ .

(ب) المشاركة الوجدانية :

وهى صفة هامة للخطيب تجعله يعيش حياة الناس ليشعر بشعورهم وينفعل مع آرائهم وحياتهم ، ويتداخل فى تقاليدهم وكافة شئونهم . بصدق وفهم . وتحليل ، ويجب أن تأخذ هذه الصفة عنده شكلا عاما بمعنى تواجدها تلقائيا مع الجميع بلا تفرقة بين غنى وفقير ، أو رئيس ومرؤس . أو رفيع ووضيع لكى يصل إلى الجميع .

إن المشاركة تضفى إحساسا عمليا له قوته فى الوصل والتأثير ، ومن المعروف أن المشاركة الوجدانية هى الرباط الحريرى الذى يصل القلب بالقلب ويربط العقل بالعقل ، وبالجسم ، وبالروح[١] ، وهى التى تنشئ كل التصرفات الحسنة والسلوك القويم ، وتأثيرها فى الحياة الاجتماعية مؤكد بسبب خلوها من الزيف والتصنع ، وتظهر مع أول مقتض ، ولكل أمر . ولا تحتاج إلى عناء كبير لكى تعرف وتدرك لملازمتها القول والسلوك والعمل . وبها ينتظر الناس الخطيب ويقدمونه عليهم ، فيأخذون رأيه وينهجون نهجه ، ويجعلونه رائدهم . وما أستحق ذلك عندهم إلا بعد أن تأكدوا من الصور العملية لهذه الصفة . فهو حبيب يتمنى الخير للجميع كما يتمناه لنفسه فيصل الرحم . ويكرم الجار . ويقرى الضيف ، ويخلص للجميع ، ولا يترك أمرا فيه مصلحتهم إلا ويحث عليه . ودائما تلقاه مهتما بالخير والنفع ، يكرر النصيحة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وتعاونه مع الجميع يلمسه الجميع . وهو فى كل هذا لا ينتظر من الناس جزاء أو شكورا . وكل ما يتمناه أن يجعل الأفهام متفتحة لدعوته . مقبلة على تدبرها واليقين بها .

---

(١) الشخصية صـ٤٠ .

و الخطيب المسلم يطبق هذه الصفة عن اقتناع بها لأنها أوامر دينه إليه وحياة رسول الله **ص** مع الناس بعد البعثة وقبلها . واذا كانت هذه مصادر دعوته فهو أحق الناس بتطبيقها .

إن الدروس المستفادة من فهمه لحقيقة الإنسانية ودعوة الإسلام للتعارف تحتم المشاركة الصادقة وجدانيا وعقليا وحسيا ليصنعوا جميعا ما يفيدهم وينفعهم .

وليس بدعا أن القرآن يمتدح المؤمنين الأول لأنهم تركوا أنانية الذات إلى حب الجميع حيث كانوا لا يدعون للأحياء وحدهم بل يقولون : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[1] . ولم تكن بالقول فقط وانما بالعمل كان إيثارهم كما يفيده قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[2] . فترى الانصارى ساكن المدينة يحب المهاجر إليه من مكة بكل صفاء ، ويؤثره على نفسه خاصة ، وسبب ذلك أن وجداناتهم قد آمنت بهذه المشاركة عن اقتناع فتمكنوا بعد ذلك من تأسيس مجتمعهم على الحب والخير والمشاركة ، وكل ما حرصوا عليه هو أن ينمحى الغل من قلوبهم ، وأن يوقوا شح النفس ليصلوا إلى الفلاح ، وذلك درس للداعية الخطيب .

---

(١) سورة الحشر ، الآية ١٠ .

(٢) سورة الحشر ، الآية ٩ .

(ج) الطبيعة العملية :

يجب على الخطيب أن يتمسك بالتطبيق العملى لكل ما يقول حتى يستجيب المستمعون لتوجيهاته وأوامره . لأن من المعلوم أن الأشخاص أكثر إلفا وطاعة للأعمال من الأقوال .

ومن المعلوم أن المسلمين يوم الحديبية لم ينفذوا أوامر الرسول ﷺ إلا بعد أن رأوها عملا منفذا من الرسول نفسه .

و يجب أن يسير الخطيب على خطة مرسومة مدروسة توصله إلى هدف معين . وقد دلت التجارب العملية أن الناس يتابعون أخبار مرشدهم فلو اكتشفوا مخالفة بين القول والعمل لكانت الطامة ... وهذا أمر مسلم به لأن الخطيب لو كان يؤمن بما يقوله لمستمعيه لطبقه . وما لم يطبقه فهو غير مقتنع به . وليس على المستمعين لوم بعد ذلك حين ينصرف عن الخطيب . **يقول أرسطو** : "إن للصفات الخلقية التى يتمتع بها الخطيب أكبر الأثر فى قوة الاقناع ، ومن هنا نرى وجوب تمسك الخطيب فى أعماله بكل ما يقول ، وأن يثق بنفسه ، وأن يكون مع الناس فى كافة مشاعرهم وأحوالهم . حتى يتحقق له ما يريد" .

(د) عدم التردد أمام الناس :

تدل كافة التجارب النفسية والاجتماعية على أن البشر يؤخذون بمدى الجدية التى يدعون إليها ، والمؤمن بفكرة ما حينما يدعو بها يجد من حوله أنصارا عديدين .

لقد وقف النبى محمد ﷺ وحده يدعو إلى الله . ومع أن عمه حاول إثناءه عن دعوته ، وطلب منه ذلك صراحة . مع كل هذا لم يتردد فى دعوته ولم ينثن عن إرشاده للناس . ولقد أدى تمسكه بفكرته أن آمن الناس بها ودخلوا فى دين الله أفواجا بعد مدة وجيزة .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : "إن قوة الاعتقاد تكسب الكلام حرارة . والصوت رنات مؤثرة ، والألفاظ قوه ، والمعانى روحا ، وتجعل من الملامح والنظريات نورا يشع شعاعا ، يصور ما فى القلب من إيمان قوى واخلاص عظيم"(١) .

(هـ) مراعاة المستمع فى الخطبة :

ينبغى أن يجد الناس من الخطيب حلولا لاهتماماتهم . وأعمالهم . ومتاعبهم . ونجاحها ومشاكلهم .

يقول جون سيدال : "الناس أنانيون في طبعهم وسلوكهم . فهم بوجه خاص لا يهتمون إلا بأنفسهم . ولا يعنيهم مثلا إن كان يجب على الحكومة أن تكون على وضع معين . وكل ما يهمهم أن يتقدموا فى أعمالهم . وأن يناولوا أجورا مختلفة أكثر من تلك التى يحصلون عليها ، وأن يحافظوا على صحتهم"(٢) .

ويقول جيمس هلرفى روينصون : "ظاهر أننا نفكر طوال ساعات اليقظة ، ويدرك معظمنا أننا نستمر فى التفكير حتى أثناء النوم ، ونحن نسمح لأفكارنا أن تأخذ مجراها ، وهذا المجرى بآمالنا ومخاوفنا ورغباتنا التلقائية ، وليس هناك شئ آخر أهم لأنفسنا من أنفسنا ذاتها . وجميع الأفكار العاملة التى نسيطر عليها . ونوجهها إلى حد ما لابد أن تدور حول "الأنا" أو "الذات المحبوبة"(٣) .

وهذه الأنانية الشخصية عالجها الإسلام بربطها بقيم عليا ، وغايات نبيلة وجعل سعادة المسلم في إتباعه سلوك الحق . والتوجه إلى الله لنيل خير الدنيا

---

(١) أصول الخطابة صـ٧٢ .
(٢) التأثير فى الجماهير صـ١٧٧ .
(٣) نفس المصدر صـ١٩٥ .

والآخرة ، وربط النصر والظفر والأمن بطاعة الله ورسوله ... ومع ذلك لابد من ربط الشخص بمصالحة الذاتية ، ودعوته إلى الحق من خلال استقامته ، وتكريمه .

وللخطباء المسلمين فى هذا أسوة برسول الله **ص** فما كان يحدث الناس إلا بما يشغلهم . ويهمهم .

إن أكثر أعمال الإنسان ناشئة من أجل الحصول على مصلحة . والبعد عن مفسده . ومن المعلوم أن الوجدان يشكل النتائج تبعا للذته وألمه .

والخطيب الجيد هو الذى يأتى المستمع من هذه الناحية . فيخاطب الناس بما يثير لذآتهم ، ويشبع رغباتهم ، وما يرون فى الأخذ به اتقاء لآلآم متوقعة . ويبين لهم أن الآلام فى نقيض ما يدعو إليه .

وليس ذلك صعبا على الخطيب إذا درس مستمعيه ، وأحاط بنفسياتهم وتعلم الطرق المثلى لمخاطبتهم ، واختيار الموضوعات التى يتناولها على أسس العلم وقواعده .

(و) ملاحظة الروح الجماعية فى المستمعين :

أهم ما تتميز به الجماعة أنها لا تسير دائما تبعا بعقل الفرد . وانما يتحكم فيها اتجاه عام ، يحركها ، ويؤثر فيها ، وهو عبارة عن روح عامة تسيطر على الجماعة ، ويعرف بالعقل الجمعى . وهذا العقل الجمعى يحول الفرد الضعيف إلى قوة قوية مع الجماعة ، وينقله من إنسان سلبى إلى آخر إيجابى يشارك فى العمل . ويندفع فى التنفيذ .

وهذه الروح تسيطر على العامة والخاصة . **يقول لوبون** : وأعظم الرجال لا يتفاوتون عن العامة فى الأمور التى مرجعها إلى الوجدان[١] .

---

(١) روح الاجتماع صـ٣٠ .

فعلى الخطيب أن يلاحظ ذلك ويستثير الجماعة بهذه الروح . وذاك العقل . وليس ذلك بشاق عليه إذا استعمل الأساليب المثيرة المشوقة من شرط واستفهام ، وقسم ، وتوكيد . وراعى أصول العلم وقواعده .

(ح) عدم مصادمة الغرائز :

الغريزة ميل فطرى فى النفس يدفع الإنسان لأن يسلك مسلكا خاصا أو يصدر حركات مؤتلفة ، تؤدى إلى غاية عامة ، وان لم يشعر بها الإنسان نفسه وهذه الحركات ليست نتيجة خبرة أو تعلم . ويتصل بها انفعال نفسى يكون واضحا بارزا فى كثير من الأحيان .

وهذه الغرائز فطرية وحتمية . ولا أمل فى إزالتها كلية . ومن هنا بحث علماء النفس طريقة علاج الغرائز الضارة . ورأوها ترويضها ، وبالاستعلاء ، أو بالابدال ، أو بالتقليل .

إن غريزة الجنس ترتقى بالزواج ، وغريزة التعصب تسمو بالجهاد ، وحماية الفضائل ، وغريزة حب المال تعلو بتحديد الوسائل المشروعية لكسبه وانفاقه .

وعلى الخطيب أن يلاحظ غرائز مستمعيه لكى لا يقع فى تناقض لا أمل فى الخلاص منه ، وهو يتمكن من ذلك بمواصلته بمعرفة العلوم الدينية وقراءة علم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما من العلوم الإنسانية الحديثة .

وبهذه الطريقة المجربة يمكن تغيير الدوافع النفسية الضارة ، واحلال بديل لها بلا صراع ومقاومة .

وهكذا يجب على الخطيب أن يهتم بالمستمعين فهم موضوع خطبته . وفيهم يتحقق مراده ورسالته ينشرها من أجلهم .

المبحث الخامس
الصفات البيانية للخطيب

أهمية البيان للخطيب :

الداعية الخطيب يحرص لدعوته أن تكون بينة واضحة في جوهرها ، وحركتها ، وهدفها ، ويجعلها تقف أمام العقل ، وتناقشه ، وتشتبك مع الفهم لتأسره ، وتستميله بصدقها . وأصالتها .

والدعوة الإسلامية ما كانت . ولن تكون بغير البيان . إذ البيان أحد لوازمها ، والصدق فيه يضمن لها الخلود والعمق ، ولذا كان من الأوصاف القرآنية لإبلاغها " **المبين** " ، وكثيرا ما يذكر القرآن أن المرسلين جاءوا بالبينات . ويقصد بها دعواتهم .

وقد اكتسب البيان هذه الأهمية لأن تبليغ الدعوة بصورة غامضة غير موقظة للعقل والنظر لا يعد أداءا للواجب ، ولا يخلص الدعاة من مسئوليتهم عند الله تعالى .

وتحقيقا للبيان أرسل الله رسله بلغة الأقوام الذين بعثوا فيهم حتى لا يكون لهم حجة تجعلهم يقولون : لم نفهم ما خوطبنا به فكيف نسأل عنه ؟ ... لأنهم لو خوطبوا بغير لغتهم لعجزوا عن الفهم ولكان ذلك مدخلا إلى عدم إيمانهم يتحاجون به كما قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ** ﴾[1] . ولعل قوله تعالى بعد ذلك ﴿ **ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ** ﴾ إنكار

---

(١) سورة فصلت آية ٤٤ .

لهذا التناقض ، إذ لا يصح أن يكون الكلام أعجميا والمخاطب به عربى ، لأنه لو كان كذلك لتمادوا فى عنتهم وقالوا لولا فصلت آياته بلسان نفقهه .

ولما كان النبى **ص** مبعوثا إلى كل الأمم ، بمختلف لغاتهم فقد اختار الله أمة تملك العناصر التى تمكنها من نشر ما تعتقده وتؤثر به . فاختار الأمة العربية أمة النبى **ص** وجاء القرآن بلغتها ، وحملته هى بدورها إلى كل مكان محفوظا ومفسرا . ومترجما . وقد استطاعت ذلك لفهمها طبيعة الأمم ، واختلاطها بهم . ومعرفة لغاتهم . وبرغم ذلك فقد عمل المسلمون من غير العرب إلى تعلم اللغة العربية . لغة القرآن الكريم مما كان سببا فى تحول أمم شتى بلسانهم إلى اللغة العربية وأصبحت هى لغتهم بعد ذلك .

ولأجل البيان كان تنجيم القرآن من السماء الدنيا بعد ما نزل جملة إليها لأن التنجيم يفيد إجادة الترتيل . والتفسير الحسن . والدفاع الحق عن الحجج التى تنشأ . كما أفاد ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا** ﴾[1] . وكل ذلك يهدف إلى تبيان الدعوة واتضاحها ، إذ بالترتيل يقرأ القرآن فى تؤده وتمهل . مصاحبا للتدبر . والاتعاظ ، وكل فهم لمعنى القرآن الكريم هو بيان للدعوة ، وتذكير للمسلم ، ونداء للإيمان عند سواه ، وبإيراد الأمثلة الحقيقية تنهدم مجالات الباطل ، وتؤسس فكرة الحق واضحة لإيرادها . ولذلك فهى أحسن تفسيرا ، وذلك كله من فوائد التنجيم .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٣٢ ، ٣٣ .

أنظر قوله تعالى : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[١] . **يقول أبو السعود** : على مكث أى على تمهل ، وتثبت ، لأن ذلك أيسر للحفظ وأعون على الفهم[٢] . كما أن التنجيم يعطى لتكرير الموقف الواحد فائدة حيث أن الموقف يتكرر موجزا مرة ، ومفصلا ومطولا . مرة أخرى . ومختصرا وشاملا مرة ثالثة ، وفى كل مرة يهدف إلى غير ما هدف إليه سابقا ، بصورة مستقلة ، وكأنه الفرد في هذا الموقف وذلك كله بيان للدعوة وايضاح للمقصود .

ومما يظهر البيان ويجليه ما يلى :

ـ أولا ـ
النطق الحسن

النطق الحسن هو الدعامة للإلقاء الجيد ، لأنه يقوم على تخير المعنى وتحسين اللفظ ، والاستعانة بالأساليب الفخمة ، وبعد ذلك يأتى دور الإلقاء بفنيته المؤثرة ، وصورته البليغة الرائعة . واذا اعترى المعنى غموض وخفاء أو أصيب اللفظ بجفوة وغرابة ، أو ظهر الأسلوب في تنافر وشذوذ . ضاع الإلقاء ، وضاعت الخطبة ، وفقد الخطيب ما يسمو إليه من وراء البيان .

ونحن هنا نوجه بعض الملاحظات للخطيب ليهتم بتحسين نطقه واجادته .

(١) على الخطيب أن يجود لفظه :

على الخطيب أن يخرج حروفه من مخارجها الصحيحة فلا ينطق بالثاء سينا ، ولا بالذال زايا . وهكذا كل مخارج الحروف فيجب أن يعتنى الخطيب بإخراج الحروف من مخرجها .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ١٠٦ .

(٢) تفسير أبى السعود جـ٣ صـ٢٢٩ .

وليس معنى ذلك أن يتشدق الخطباء ويمططوا الألفاظ لأن ذلك مكروه للخطيب . لأن التكلف يوقع أولئك المتكلمين فى نقيض ما يرغبون . إذ ينطقون بالحروف من غير مخارجها . كبعض الخطباء الذين يدفعهم التشدق إلى أن ينطقوا بالجيم شينا" أو يمدون في موضع القصر، أو يقصرون في موضع المد.

(٢) مجانية اللحن :

يجب أن يهتم الخطيب بتصحيح الكلام الذى ينطق به . ويحافظ على مفرداته وعباراته . وذلك يتأتى بدراسة علوم اللغة والبلاغة .

إن الحركة الواحدة تغير اللفظ وتنقله من معنى إلى معنى آخر .

حدث أن خارجيا قال فى قصيدة :

ومنا يزيد والبطين وقعنب ∴ ومنا أمير المؤمنين شبيب

فلما علم عبد الملك بذلك طلبه وسأله : لم قال هذا ؟

فأجاب بأنه قال : ومنا أمير المؤمنين شبيب "**بفتح الراء فى أمير لا بضمها**" .

وبذلك انتقل الكلام من الإخبار إلى النداء ، وأنقذ نفسه أمام عبد الملك بفتحة وضعها فوق الراء .

(٣) تصوير المعانى :

على الخطيب أن يتقن إلقاء ألفاظه بشكل يجعل المعانى مصورة من خلال الألفاظ . وذلك يبرز الاستفهام . ويجسم التقرير ، ويظهر السرور . ويخفى الحزن . وهكذا .

وعلى الخطيب أن يستفيد فى ذلك بتعلم فن الإلقاء المسرحى والإذاعى إذ نجد هؤلاء يستعينون بالصوت والموسيقى ، وبإبراز الأصوات من أجل إظهار المعانى التى يقصدونها .

إن علماء الإعلام يستفيدون بالمؤثرات الصوتية في إبراز المعنى ، ولذلك يضعون بعض الفواصل الموسيقية بين الكلام ، ويلجأون إلى الصمت والسكون ، ويكثرون من الحركة والالتفات ، وتركيز النظر ، ويوهمون المستمع بأنهم في بيوتهم وبين أهلهم وعلى الخطيب أن يستفيد من كل جديد مشروع .

(٤) المهل :

يحتاج الخطيب إلى التمهل فى إلقاء خطبته ، لأن النطق السريع المتعجل يشوه اللفظ ، ويضييع المعنى ، ويجعل المستمع لا يستطيع متابعة سرعة الخطيب ومن حسن شرع الله تعالى أن علم المسلمين التمهل في القراءة ليتدبروا المعنى وكان النبى **ص** إذا قرأ بعض الآيات تمكن العاد أن يعد حروفها معه .

(٥) إبراز الكلمات الهامة :

ومعنى هذا أن يضغط الخطيب على بعض المقاطع دون بعض ، بشرط أن لا يكون هذا الضغط عشوائيا . ولكن يجب اختيار الكلمات الهامة الدالة على الموضوع . أو المؤيدة للعناصر . أو الموجزء للخطبة كلها . وهكذا يجب إبراز بعض النقاط الهامة فى الموضوع ، كأنه يضع سطورا تحت كلمات مكتوبة ، ويمكن تكرار هذه الكلمات بيانا لأهميتها .

(٦) تغيير ارتفاع الصوت :

الصوت له أثر كبير فى وقع الكلام على المستمع حسنا أو قبحا ، لذلك على الخطيب أن يغير صوته بين الارتفاع والانخفاض ليؤثر بالصوت وبالمعنى معا . وأيضا فمن الواجب على الخطيب أن يجعل صوته مناسبا لسعة المكان أو ضيقه .

إن هذا التغيير يؤثر فى الإنسان بصورة واضحة وتلقائية . وينبه الغافل ويوقظ النائم ، ويجذب الشارد . وحينئذ يسمع الجميع ويستفيدون .

(٧) تغيير سرعة الصوت :

إن تغيير سرعة الصوت من الأمور السارة التى تمكن الخطيب من الوصول إلى هدفه .

يقول ديل كارنيجى : "إن هذه كانت إحدى الوسائل المحببة عند لنكولن حين يريد الوصول بفكرته إلى الهدف . وكان ينطق بعدة كلمات بسرعة كبيرة حتى يصل إلى الكلمة أو العبارة التى يريد تأكيدها . ثم يبطئ فى صوته عندها ، ويضغط عليها . ولا يلبث أن يندفع مسرعا فى الحديث حتى يصل إلى نهاية العبارة كالبرق الخاطف . وكان يخصص أطول وقت مستطاع للكلمة أو الكلمتين اللتين يريد تأكيدهما"[١] وهكذا يجب أن يكون الخطيب .

(٨) التوقف قبل وبعد كل فكرة :

يجب على الخطيب أن يركز فى تقسيم خطبته ، ويوقف المستمع معه على هذا التركيز . وهذا لا يتأتى إلا بمؤثرات صوتية فى الإلقاء تأتى عن طريق التوقف عن الإلقاء قبل كل فكرة وبعدها ، ولو للحظات قليلة لأن المستمع سوف يبحث عن سر هذا التوقف . وفى خلال بحثه يجد أن الفكرة المقصودة قد أتته فيفهمها بإتقان ، ويعلم أن الفكرة السابقة قد تمت .

والواقع أنه ليس أجدر بالصمت أن يكون من الذهب إلا حين يستخدم بحكمه أثناء الحديث . فهو وسيلة ناجحة . ومع هذا نجد كثيرا من الخطباء يهملونه .

---

(١) التأثير فى الجماهير صـ١٠٠ .

ـ ثانيا ـ

التخلص من العيوب الصوتية

هناك عيوب تلحق بالصوت تؤدى إلى خفاء بعض الحروف أحيانا والى سقوط بعض الكلمات فى أحيان أخرى ، ولذا كان من الواجب على الخطيب أن يسعى للتخلص من هذه العيوب بكل وسيلة ممكنة . **ومن هذه العيوب :**

- عدم قدرة الخطيب على بيان موضوعه . واختفاء غرضه من خلال سرعة الصوت لديه مع مراعاته لنصائح الإلقاء الجيد ، وهذا العيب يمكن تلافيه بالتدريب على النطق الهادئ ، والتمهل في التلفظ بالكلمات والتزام أصول " علم الخطابة " .
- العيوب الشائعة فى اللسان ، كاللثغة[١] ، والتمتمة[٢] ، والفأفأة[٣] ، واللفف[٤] وعلاج هذه العيون يكون بالطب الجسمانى فإذا تعذر علاجها بالطب وجب على الخطيب أن يتجنب الكلمات المعيبة عنده ، فإن عجز عن ذلك فليترك الخطابة لأهلها .
- خفوت الصوت : وهذا يكون بسبب ضعف صحى فى الخطيب ويعالج هذا العيب بالطب البشرى . والثقة بالنفس . وبالشجاعة الأدبية .

ولابد التخلص من هذه العيوب ، لأنها تضر الخطابة ، ولا تحقق للخطيب هدفا ... ولذلك وجب الحسم إزاءها صيانة للخطبة ، ومحافظة على الخطيب .

---

(١) اللثغة : إبدال حرف بآخر فى النطق كابدال السين ثاء ، والقاف طاء ، واللام ياء . والراء لاما .

(٢) التمتمة : التتعتع فى التاء .

(٣) الفأفأة : التتعتع فى الفاء .

(٤) اللفف : إدخال بعض الكلام فى بعض

ـ ثالثا ـ

تخير المعانى الجادة

يأتى المستمع إلى الخطيب ليخرج فى النهاية بمعنى يبقى فى ذهنه ، وكل ما يضعه علم الخطابة من دراسات يهدف فى النهاية إلى إمداد الجمهور بعلم ينفعه ، أو بتوجيه يحتاج إليه فى نشاطه وحياته ، يتأثر به ، ويستفيد منه بشئ يؤثر فيه ، ويفيده ، ويوضح له منهجا صالحا للقضايا التى تساعده فى حياته .

ولا يجوز فى الخطبة أن تكون ذات لفظ جميل مع خلوها من المعانى الدقيقة لأن ذلك عبث بعقلية المستمعين .

إن الإنسان له عقل يفكر به ، وهو الذى يحركه ويقوده ، والخطيب يخاطب هذا العقل ، ويعمل على إقناعه ووضعه فى الطريق الذى ينادى به ، ولن يتم له ذلك إلا بتقديم قضية محددة المعالم ، واضحة المعنى ، متضمنة للخطة المطلوبة ، والمنهج المقصود .

إن الأسلوب الجميل يبهج السمع ، ولا يبقى فى القلب منه إلا المعنى بعطائه اللفظى .

لقد انتشرت الأديان بالخطابة ، وذاعت الثورات وحركات الاصلاح بها ولولا معانيها الدقيقة ما كان لها أثر يذكر .

على الخطيب أن يلحظ أنه يخاطب عقول المستمعين وعليه حينئذ أن يجود كلمته . وينظم عناصرها ويجعلها فى مستوى فهم الناس . مع ضرورة استعمال الصور البيانية المتعددة .

المبحث السادس
الصفات الشكلية للخطيب

لابد للخطيب من مراعاة مجموعة من الصفات الشكلية التى تحيط به . والتى تؤثر كثيرا فى انتباه المستمعين . ذلك لأن الأشخاص يستفيدون بكافة حواسهم حيث نجدهم يوجهون آذانهم لصوت الخطيب . ويتابعونه بعيونهم ، ومن المعلوم أن تحريك كافة الجوارح مدعاة لليقظة والانتباه .

وللصورة الحسية أثر بالغ فيمن يرى الخطيب ، وينظر إليه ، ويسمعه لأن المظهر يدل على المخبر ، وللصورة تأثير يسبق الحدث ولذلك كان النبى ﷺ يأمر أصحابه بلبس أحسن ثيابهم حين استقبال الوفد عليهم ليرى فيهم حسنا وبهاء يعظم فيه دينهم الذي حقق لهم الحسن والجمال والنظافة .

ولذلك وجب على الخطيب أن يهتم بهذه الصفات التى سنوجزها فيما يلى :

(١) الوقوف فى مواجهة المستمعين :

على الخطيب أن يلحظ مكانه بالنسبة للجمهور . فلابد أن يكون أمامهم ويستحب له أن يكون واقفا . وعلى مكان مرتفع ، وأن لا يبدأ فى خطبته فور وقوفه ، بل يتمهل قليلا حتى يلحظه الجمهور الناظر .

إن الخطيب الجاهلى عرف هذه الميزة . فكان يخطب على ظهر دابته أو على مرتفع من الأرض ، وأول خطبة خطبها النبى ﷺ كانت من فوق جبل الصفا ...

وقد ثبت أنه ﷺ استمر مدة طويلة يخطب الناس وهو واقف على جذع نخلة إلى أن انتقل إلى منبر أقامه المسلمون في مسجد المدينة للخطبة خاصة .

إن هذه المواجهة تمكن الخطيب من اكتشاف أثر خطبته على الجالسين أمامه ، وهذا يدفعه إلى الإجادة والدقة .

وفى العصر الحديث عرف الجميع قيمة هذه الصفة فاهتموا جميعا بتأسيس مكان خاص للخطيب ، يتميز بالارتفاع ، وبأنه فى مواجهة المستمعين ففى دور العبادة حيث الخطب الوعظية . وفى المؤتمرات والهيئات العالمية ، وفى دور القضاء يعتلى الخطباء الأماكن ليلقوا خطبهم منها .

إن المستمع تؤثر فيه رؤيته للخطيب . ومن هنا رأينا البعض ينادى الخطيب بأن يمتنع عن تحريك أصابعه . أو العبث بملابسه . أو الأتيان بحركات عصبية لأن المستمعين يرقبون كل ذلك ، ويتابعونه ، ويفكرون فيه فى وقت يجب أن لا يهتموا إلا بالخطبة ، وبالكلام الموجه إليهم .

إن الدين الإسلامى دعا الناس إلى الحضور لخطبة الجمعة قبل بدئها بوقت مبكر ، ورغبهم فى أن يبدأوا الحضور من مطلع الشمس . وذلك لكى يستعدوا إستعدادا كليا لحصر انتباههم فى ذكر الله . وحتى لا تؤثر حركة قادم متأخر فى نفسيات المستمعين وتصرفهم عن الخطبة .

ولنفس السبب كان بعض الحكمة من مشروعية عدم تخطى الرقاب . ومن باب أولى يجب أن يلحظ الخطيب ذلك ، ولا يقوم بأى شئ يصرف الناس عن الخطبة .

وينادى بعض العلماء بأن ينفرد الخطيب وحده بمنصة الخطابة . لأن الاشتراك فى هذا المكان يؤدى إلى كثرة الحركات فى مواجهات المستمعين ، وهذا يصرف الناس عن الاستماع الجيد للخطبة ، وهذا رأى جربه كثيرون وآمنوا بجدواه لدرجة أنهم طالبوا الخطيب بأن ينتظر فى إلقاء خطبته ولا يعجل إليها إذا كان قد سبقه آخر ، حتى يهدأ المكان . ويزول صدى الخطيب السابق من الآذان . وحينئذ ينتبه المستمعون إلى القول الجديد .

وبالجملة فإن مكان الخطيب يجب أن يكون محل عناية واهتمام .

(٢) المظهر العام للخطيب :

يستحب أن يتمتع الخطيب بجمال الصورة . ولا نقصد بذلك أن يكون أمير الجمال . ولكنا نريده مقبول الصورة غير منفر . لأن الناس "منذ كانوا " مولعون بالقوة والسلامة والاستواء فى الخلقة ، والحسن فى الصورة .

وها هن نسوة مصر في قصر عزيز مصر حينما رأوا يوسف نظروا إليه بإجلال . يقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[١] .

مدح الرمق بن زيد أمام جبلة الغسانى . وكان الرمق دميما قصيرا فلما أنشده وحاوره قال : عسل طيب فى ظرف سوء .

وقد ذكر الجاحظ أن زيد بن جندب كان أشغى (أسنانه مختلفة طولا وقصرا ودخولا وخروجا) وأفلج (أسنانه صفراء) ولولا ذلك لكان أخطب العرب قاطبة .

ولما رأى النعمان بن المنذر ضمرة بن ضمرة وكان دميما قال له : "**تسمع بالمعيدى خير من أن تراه**" .

فأجاب ضمرة . **إن الرجال لا تكال بالمكيال . وانما المرء بأصغرية قلبه ولسانه**[٢] .

ومع هذا التصور فهناك خطباء برعوا فى فنهم مع قبح صورتهم من أمثال الأحنف بن قيس الذى اتصف بالقبح والدمامة[٣] إلا أننا نشير إلى الغالب الأعم الذي يفيد الخطبة والخطيب .

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٣١ .
(٢) فن الخطابة صـ٣٩ ، ٤٠ .
(٣) زهرة الآداب جـ٣ صـ٦٢ .

(٣) حسن اللباس :

أرسل عالم نفسانى إلى مجموعة كبيرة من الخطباء وسألهم عن تأثير الملابس فيهم فشهد جميعهم دون استثناء . بأنهم حين يكونون فى أيهى زينة . وأجمل ملبس . يملكون زمام أنفسهم ولا يخطئون ويرضون الناس[١] .

ومعنى هذا أن حسن الهندام أحد أسباب الثقة بالنفس . وهذا يجعل الخطيب يجود قوله . ويحسن خطبته . وبالتالى ينال تقدير مستمعيه بما يقدم لهم من كلام حسن . مؤثر . مفيد .

(٤) أمور جانبية :

هناك أمور أخرى يجب أن يلاحظها الخطيب . وعليه أن ينظمها لتكون مساعدة له فى خطبته .

فمثلا على الخطيب أن يعد المكان . أو يأمر بذلك . لأن المكان لو لم يكن متسعا لجميع الناس ، أو كان سئ التهوية . أو خاليا من المقاعد ، إن كان المكان واحدا من هذا أو من غيره فإنه يدعو إلى ضجر المستمع من هذه الأمور الجانبية . وانصرافه عن الخطيب إلى شئ بعيد عن الهدف الذى جاء من أجله .

ومثلا يحتاج المكان إلى إضاءة كافية تساعد على الرؤية . ولابد من ملاحظة ذلك . ففى أثناء النهار يكتفى بفتح النوافذ الكثيرة لإدخال الضوء الشمسى . وفى خلال الليل لابد من إعداد الإضاءة الملائمة . سواء كانت من التيار الكهربائى أو من غيره مع مراعة كافة الظروف .

ومن الأمور الهامة إحضار مكبر للصوت إذا كان المستمعون عددا كبيرا وكان المكان واسعا . لأن هذا يساعد على راحة الخطيب واستفادة المستمعين . وحفظ النظام .

وهذه أمور نسوقها على سبيل المثال . ويجب مراعة كل ما هو على نمطها .

---

(١) التأثير فى الجماهير صـ١٠٧ .

الفصل الثالث

المستمـعون

"المستمعون"

تهدف سائر الأعمال والأنشطة الاجتماعية خدمة الإنسان ، ومحاولة الترقى به من وهدة التخلف إلى رقى في الفكر والحضارة والنهضة ، وفى إطار تحقيق هذا الهدف تعمل مؤسسات الدعوة والإعلام ، وهيئات الإرشاد والخدمة الاجتماعية ، ومختلف الجمعيات الخيرية والتنموية .

وقد جاء الرسل عليهم السلام لتحقيق خير الإنسان وسعادته وذلك بإرشاده إلى الطريقة المثلى ليعيش دنياه عابد الله تعالى ، وينتقل لآخرته سعيدا بما يلقاه فيها . يقول الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[1] ، ويقول سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢ ﴾[2] ومن ولاية الله للمؤمنين أن وجه الدعاة نحو المنهج الأمثل لدعوة الناس به .

وعلم الخطابة على رأس علوم الدعوة يتجه مباشرة إلى المستمعين لحل قضاياهم بمنهج الله ، وتصحيح مسارهم ، ودعوتهم إلى الله بالحسنى ، ولذا لزم كل من يلي أمر الخطبة أن يحيط بأحوال المستمعين من كافة النواحى بقدر الإمكان ليتمكن من مخاطبتهم بما يفيدهم ، وبما يحتاجون إليه .

وفى هذا الفصل سأتناول هذا الموضوع في عدة مباحث فيما يلي :

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٧ .

(٢) سورة محمد ، الآية ١ ، ٢ .

المبحث الأول
مراعاة عقلية المستمعين
وتوجهاتهم الفكرية

للإنسان طاقة عقلية معينة يمكنه بها أن يفهم كل حديث يتناسب معها . وعلى الموجهين والخطباء ملاحظة طاقة المستمعين العقلية . ولذلك كان النبى ﷺ يقول لأصحابه : "**حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله**"(١) ، إن الإنسان إذا لم يخاطب غيره على قدر مستواه العقلى فإنه لا يفيد شيئا ، ينفر منه ما يسمعه ، وحين يسمعه ينشغل باطنه بأمور يتخيلها ويبتعد عنه .

وفى كتاب " الدعوة التامة " للشيخ عبد الله بن علوى الحداد تقسيم للناس وفق علمهم واقبالهم على الله تعالى ، وبيان لكيفية دعوة كل فريق ، وقد ذكر . رحمه الله تعالى أن البشر أصناف متعددة ، ذكر منهم هذه الأصناف :

الصنف الأول : طائفة العلماء ، وهم رءوس الناس ، ووجهاؤهم وأساس الصلاح أو الفساد فى المجتمع . والعامة فى حاجة دائمة إليهم ، وهم جماعة تميزت بالفطنة ، واشتغلت بالمعارف ، وعلت بالعلوم التى حصلوها ، وثقتهم فيما جمعوا من علم أرقى من ثقتهم بما جمعوا من مال .

وقد ولد العلم لديهم ملكه فكرية تجعلهم قادرين على التخيل والإبداع ، ومنهم يكون المجتهدون في سائر العلوم الدينية .

ولذلك وجب حين دعوتهم وتوجيههم أن يقدم لهم الحديث اللائق بلا تكرار . ولا إطناب . ولابد من بث الثقة فيهم . والرضى عنهم ، وتزكية فكرهم وعقلهم ولو فى جانب ما ، وذلك خير من الصدام معهم .

---

(١) صحيح البخارى . كتاب العلم . باب من خص بالعلم قوما دون قوم جـ١ صـ٣٧ .

إن الإنسان عموما لا يحب من يصدم مشاعره ، وواجب ملاحظة ذلك وبخاصة مع العلماء الذين هم قادة الفكر فى الناس .

ويستحسن فى خطابهم أن يقوم على الحوار . والجدل . والقصص . والبرهان ليستنتجوا مع الخطيب ما يريد ... ومن الضرورى إستثارة روح المسئولية عند العلماء حين التوجه إليهم بالخطاب .

الصنف الثانى : المطيعون لله . وهم أهل الورع والتقوى . وهم صفوة الله وأحباؤه وأولياؤه . وهؤلاء تكفيهم الإشارة . والرمز . لأنهم علموا والتزموا ، وعرفوا ، وذاقو واتباعهم للخير جبلة فيهم . لا يحتاجون لعناء . إنما يكفيهم التذكر : ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1] .

الصنف الثالث : الأمراء والولاة . وهم أولو الحكم والسيادة إن قاموا بواجبهم وفق أمر الله عدلوا ونصروا ، وان ضيعوا واجبهم هلكوا وأهلكوا ، وهذا الصنف له هيبته وقيادته ، ودعوتهم تحتاج إلى حكمة ودربة ، إذ لابد من إعطائهم ما يليق بهم من تقدير ، وعدم التصادم المباشر معهم . وفى نفس الوقت لابد من نصحهم ، ووعظهم بالمسائل التى تنفعهم ، وتنفع رعاياهم باللين والحسنى ، وليس بمستحسن أن يتجه الخطيب لهؤلاء بما ينفرهم منه ، ويجعلهم فى عداء معه ، واللائق في نصح هؤلاء أن يذكرهم العالم بمسئوليتهم أمام الله تعالى ، ويروى لهم الأدلة النصية الواردة في نصحهم لأنهم لا يستعلون على حكم الله كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية .

الصنف الرابع : أصحاب الحرف والمهن . وهؤلاء طوائف من الناس تقضى وقتها كله فى العمل والسعى والكدح . وفيهم الحرص على الكسب والمال . وقد يفئ الله عليهم فيملكون مالا كثيرا وهم لم يتعلموا . ولم يتفقهوا . وواجب على من يخطب فى هؤلاء أن يعيش مع نفسياتهم ، ويستدل لهم من حياتهم ،

---

(١) سورة الذاريات ، الآية ٥٥ .

ويعلمهم بأسلوب سهل ، ويتخولهم بالموعظة ، ويحاول أن يعالج الأمراض النفسية والاجتماعية التى تنتشر بينهم .

إن أصحاب الحرف يلزمهم معرفة حكم الشرع فى عملهم ، كل فى اتجاهه . وهذا واجب الخطيب . ومن هنا كانت ضرورة ملاحظة نوعية المستمع لتكون الخطبة ملائمة له ومناسبة لمصلحته .

الصنف الخامس : أهل الفقر والمسكنة ويراد بهم من يعيش فى بلاء ما كمرض . أو فقر . أو سجن . أو ظلم . وهؤلاء يعيشون بنفسية معينة . وعقلهم وفكرهم دائما يعيش فى مشكلهم . ويحاول أن يقارن بينهم وبين غيرهم من الناس ، وخطيب هؤلاء يجب أن يلحظ وضعهم ، فليس الحديث للمسجونين والمرضى كالحديث للأحرار الأصحاء ، ولن يكون الكلام للغنى هو الكلام للفقراء .

الصنف السادس : أهل الضعف كالنساء والأطفال وهؤلاء يجب أن يعرفوا واجبهم ، وحقهم أن يخاطبوا على قدر مستواهم الذهنى والعقلى .

الصنف السابع : غير المسلمين من الناس وهؤلاء قد يكونون أصحاب دين أو مذهب ، أو لا دين لهم ويسلكون مسلكا فوضويا فى مجال السياسة ، أو مجال الاقتصاد .

وقد يكون لهؤلاء سبق علمى ، وثراء مادى ، ونهضة حضارية كما هو مشاهد اليوم ، وكثير منهم قد يتصور أن الفضل في تفوقهم يرجع إلى إهمالهم الدين ، واعتمادهم التوجه العلمانى ... ودعوة هؤلاء تتم بالحسنى ، ومحاولة القرب النفسى ، وتقديم الإسلام لهم من حقيقة تعاليمه ، لا من تطبيقات المسلمين وحياتهم ... ومن الممكن فتح باب الحوار معهم ، ومناقشتهم .

وحيث أن الإسلام دين يجب تبليغه للناس جميعا . كان على الخطيب الذى يوجه حديثه إلى غير المسلمين أن يتعب نفسه ويعرف اتجاه مخاطبيه ،

ولا يتصادم مع عواطفهم . وتقاليدهم ، ولا ينفرهم منه ، وليكن حديثه معهم من باب : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[١] .

وعلى ضوء قوله سبحانه :

- ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾[٢] .

- ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٣] .

وهؤلاء لا يفيدهم الاستدلال بالنص لأنهم لم يؤمنوا ، وانما لابد من الاستدلال لهم بآيات الله فى النفس ، والكون ، والحياة ، وعقد مقارنة سريعة بين النص وما هو موجود محسوس .

ويجب أن يعلم الخطيب أن الناس منذ خلقهم الله جبلوا على احترام الذكاء النافع ، والاخلاص الهادئ ، ومحبى الخير والسلام ، وعلى أن يقبلوا على من يقبل عليهم . إن الإقبال على حل مشكلة ما . يجعل أصحابها يشاركون فى الحل والإقبال .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٦٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١١١ .

(٣) سورة سبأ ، الآية ٢٤ .

المبحث الثانى
ملاحظة الاتجاهات السائدة

فى كل جماعة من الناس ينتشر اتجاه أو اتجاهات معينة تبعا لظروف بيئية أو اجتماعية . ومن أمثال ذلك انتشار اتجاه صوفى فى جماعة ما ، أو أن تعيش الجماعة فى حى يحتم على ساكنيه أن يكونوا تجارا ، أو أن يوجد فى وسط الناس مصلح مخلص يورث فيهم حب العلم . وتقدير أهله ...

وعلماء التربية يوجهون المشتغلين بالتعليم لملاحظة الاتجاهات التى تسود بالضرورة بين مجتمع الشباب ، أو مجتمع المرأة ، أو مجتمع العمال ، أو مجتمع الجنود ، أو مجتمع العلماء والمفكرين ... وهكذا . لأنها اتجاهات متغايرة ، وفى نفس الوقت متحكمة فى النشاط الاجتماعى . والمربى الموفق هو الذى ينطلق من هذه الاتجاهات . ينميها أو يعدلها على وفق ما يرى .

ولو تصورنا مصلحا اجتماعيا بدأ عمله في وسط ريفى وأخذ يتكلم في الزرع والضرع ، ونزول المطر ، والقضاء على الآفات ، وتوسيع الأرزاق ، وتيسير الأعمال فإنه يفيد لأنه عاش مع الاتجاهات التي تسيطر على عقول من يربيهم ويعمل لهم .

والخطيب وهو يوجه الجماعة نحو الغاية التى يعمل لها عليه أن يلاحظ ما فى مستمعيه من اتجاهات ليتمكن من تحليلها ، وبناء عمليته الاصلاحية على أساس فنى لا يتصادم معها ،ولا يبدأ بالهجوم عليها ، وبخاصة إن تأصلت هذه الاتجاهات فى النفوس ، ومن المفترض أنه درس شيئا في علوم الاجتماع وعلوم النفس ، وعلوم العمران والسياسة ، لأن هذه العلوم تضع يده على مفاتيح اكتشاف اتجاهات الناس .

ويجب أن يعرف أن هذه الاتجاهات قد تولدت ، ونمت وفق ظروف معينة كالحرب والرخاء ، والحرية ، والديكتاتورية ، وغيرها إذ بسبب من هذا

وأمثاله توجد اتجاهات خاصة كالأنانية والمادية ، والفوضى ، والحقد ، والحب ، والتعاون .

وعلى الخطيب أن يبحث فى أسباب الاتجاه ، ويبسط توضيحه فى أناة ويذكر مستمعيه بما فيه من خير أو شر . ويلون خطابه بما يثير ويقنع .

فمثلا ينتشر فى بعض الجماعات اتجاه عدم الالتزام بالتعاليم الدينية بدعوى التقدم والسلوك العالى . وتلك قضية على الخطباء أن يواجهوها بإظهار الأسباب الأصيلة وراء هذا الواقع ، إنه الجهل بالدين وعدم التزام هذه الجماعات به ، ووجود الغزو المضاد للدين .

إن وجود إعلام غير إسلامى . ووجود تعليم لا يربى على الدين يؤدى إلى صعوبة التربية الجادة ، وانحراف الناس عن الصراط المستقيم ... والخطيب الموفق هو الذى يعالج هذه القضايا وسط هؤلاء العلمائيين واحدة بعد واحدة ، فإذا ما عالجها بدقة وموضوعية انتهى إلى حب المستمعين ، وايمانهم .

ومن المعلوم أن هناك اتجاهات طارئه بسبب الاشاعات ، والأخبار الكاذبة التى تبثها بعض أجهزة الإعلام بقصد نشر البلبلة ، أو تشوية الحقائق فى مجتمع ما . وهذه يمكن مواجهتها ببيان الحقيقة مدعمة بأدلتها . وبيان كذب الإشاعة .

وقد وجهنا الخطيب وغيره من علماء التوجيه إلى ملاحظة الاتجاهات السائدة لأن هناك اتجاهات طارئة مؤقتة كحادثة وفاة ، أو حريق ، أو سرقة يكون لها أثرها المؤقت . وهذه تعالج بصورة مؤقتة وتنتهى .

إن ملاحظة الاتجاهات السائدة فى المستمعين قضية علمية لابد منها لكل من يتصدى لعملية التوجيه والتربية .

المبحث الثالث
مراعاة المناسبات عند المستمعين

هناك مناسبات متعددة ينفعل بها الناس ويعايشونها بعواطفهم وعقولهم ولذلك نجدهم يسمعون الحديث عنها ، ويتابعون التعليق المتصل حولها ، وتتأهب نفوسهم لفهم كل ما يدور حولها .

إن الجماهير تنفعل بالمناسبات الاجتماعية ، والسياسية ، والرياضية ، وغيرها ... ويوقفون كل نشاطهم من أجل المتابعة والمشاركة ، ويتأثرون إلى حد كبير بعقلهم الجمعى .

وأهم المناسبات ذات التأثير فى النفس هى المناسبات الدينية . كيوم العيد وموسم الحج ، وأيام الصيام ، وتلك كلها مناسبات دينية تثير في النفس الآمال والأحلام ، وبخاصة في الإطار الذي شرعه الله لها ، وعلى نمطها المناسبات الأخرى . وعلى الخطيب مراعاة هذه المناسبات جميعا فى خطبه .

إن الحديث فى ذكرى الحرب يغاير بالضرورة الكلام فى أيام الأمان . والخطبة بعد النصر ليست هى التى تكون بعد الهزيمة .

إن مراعاة المناسبة يعنى الاهتمام بالمستمع ، ويشير إلى النجاح فى عملية التأثير والإفادة الذى هو أمل كل خطيب يعرف ما يناط به من مسئولية وواجب .

ومن روعة الإسلام أنه يحتوى على كل ما يناسب الإنسان فى جميع ظروفه .

ولا يعنى الاهتمام بالمناسبات المجاملة ، ومجاراة الواقع ، مهما كان سيئا ، وانما المقصود هو الإجادة والحسن فى أداء الرسالة عن طريق مشاركة المستمع ، والتفاعل معه فى القضايا التى تشغل فكرة ، وعواطفه ، وتوجهه إلى

المعروف برفق ، وتنهاه عن المنكر بأدب ، من غير تصادم مباشر مع عواطفه ووجدانه .

كم من خطيب يقصده الناس لأنه يحدثهم عن أنفسهم ، ويوجد الحلول لمشاكلهم ، ويظهر الحلول الإسلامية لما يثار أمامهم !

وكم من خطيب ينصرف الناس عنه ويتمنون أن يسكت حين يبدأ فى الحديث !!

إن المشتغلين بالتربية والتوجيه والارشاد يهتمون بموضوع الساعة لأنه المناسبة الحية المتحركة عند الناس . ولذا نراهم يتناولون هذا الموضوع بالدراسة والتحليل ، والتعليق ، والشرح وبيان كل ما يتعلق به من أحكام دينية وفوائد علمية ... وهكذا .

وما ذلك إلا نوع من الاهتمام بالمناسبة الذى ننادى به ليضعه الخطيب فى مخططه .

والمناسبات عديدة بعضها دورى ثابت ، وبعضها طارئ مؤقت وكلاهما يجب الاهتمام به رعاية لإفادة المستمعين .

إن الثورة على الاستبداد عمل لا يغيب عن خواطر الناس ، ووجوده فى واقع الحياة مناسبة يجب أن لا تغيب عن الخطيب ... وعليه أن يعيش مع الناس يعرفهم بأخطار الظلم والفساد ، ووجوب التصدى له ، ودعوة الإسلام للعدل والإصلاح .

إن الخطيب رائد فى مجتمعه ، ولذا لزمه أن يعيش مع حياة الناس ومناسباتهم .

المبحث الرابع
ملاحظة الاختلافات المهنية

يتأثر الإنسان بيئته ، وعمله ، وزملائه ، وثقافته ، وتلك كلها عوامل مؤثرة في شخصية الإنسان الاجتماعية ، وتوجهاته العامة ، ونشاطه خلال الحياة . والبيئات المهنية عديدة ، وبعضها مغلق على أصحابها ، وذلك مثل بيئة الجند الذين يقيمون في المعسكرات ، ويعيشون للتدريب والاستعداد ، ويحتاجون إلى تربية معنوية تحببهم في الجهاد ، وحب الوطن ، وتعرفهم بأعدائهم ، وتبين لهم أهمية تحسين صلتهم بالله تعالى ، والمحافظة على حقوقه سبحانه وتعالى ، ليتمكنوا من النصر ، وتتهيأ لهم أسبابه .

وهناك بيئة العمال الذين يعيشون في مساكن خاصة بهم تابعة لعملهم ، وهؤلاء يشغلهم العمل ، ويحتاجون إلى توجيههم نحو الإخلاص ، وتقدير العمل وحب النجاح لصاحب رأس المال ، وهناك بيئة الطلاب الذين يسكنون في مدن جامعية ليقضوا يومهم مع الدراسة ، وليلهم مع الزملاء والمذاكرة .

وفى كثير من المدارس يكون نظام اليوم الكامل ... وهناك بعض التجمعات الدينية والسياسية الذين يربون إتباعهم على منهج خاص ، ويربونهم تحت إشرافهم طوال الوقت ... وهكذا

والخطيب الناجح هو الذي يفهم جمهوره قبل أن يلتقى به ، ويتقن معرفة البيئة التي تأثر بها ، ويعد خطبته لتلائم مستمعيه .

إن الخطيب يحتاج إلى استعمال ألفاظ معينة ، ويسوق تشبيهات لتوضيح فكرته ، وحتى تكون مفهومة لابد أن تلامس إفهام المستمعين ، وأن تكون معلومة لديهم ، وذلك لا يكون إلا إذا نبعت من البيئة التي يعيشون فيها . ومن هنا وجب عل الخطيب أن يكون محيطا بالبيئات المهنية للمستمعين .

الباب الثانى

فقه الجمعة والعيدين

تمهيد :

يوم الجمعة أحد أيام الأسبوع فى دورته الفلكية يسبق بيوم الخميس ، ويعقبه يوم السبت .

وهو أول أيام الأسبوع عند المسلمين حيث خصهم الله به ، وشرع لهم الخطبة والاجتماع في يومه ، فسبقوا بذلك غيرهم من أهل الكتاب .

وقد فرض الله على المسلمين صلاة الجمعة فى يومها ، وشرع معها الخطبة لتكون مدرسة يتعلم منها المسلمون دينهم ، وملتقى يتعارفون خلالها على إخوانهم ، وجمعا يتدارسون أثناءه قضايا أمتهم ، متعاونين كرماء .

وكما شرع الله يوم الجمعة شرع العيدين ، عيد الفطر وعيد الأضحى لإدخال الفرحة في قلوب المسلمين ، واعلانها للناس بعد الانتهاء من عباداتهم .

وفى العيدين يسمع المسلمون خطيبهم يهنئهم بالعيد ، ويبين لهم أحكامه ويذكر بالفرحة الكبرى عند لقاء الله تعالى ، ويوجههم إلى ضرورة المحبة والتعاون بين المسلمين في يوم العيد العظيم .

إن ارتباط تجمع المسلمين فى يوم الجمعة والعيدين بالخطبة ضرورة شرعية يحقق للمصلين ما يلى :

أولا : معرفة أحكام الإسلام فى العبادة ، والحياة .

ثانيا : نشر العلم الدينى بين المسلمين .

ثالثا : بيان ارتباط الإسلام بالعلم .

رابعا : إظهار تنظيم إسلامى له أهميته فى أيام الجمع والعيدين .

وقد تكون الباب من فصلين ، حيث جاء الفصل الأول للجمعة والثانى للعيدين . وذلك فيما يلي :

الفصل الأول

فقه الجمعة

تمهيد :

إن يوم الجمعة هو أفضل الأيام وأحسنها عند الله تعالى ، فقد جعله الله عيدا للأمة الإسلامية . ففيه وحدة الأمة حين تلتقى على منسك واحد ، مجتمعة فى بيوت الله ، لتعلم دينها ، وتقف على كافة شئونها .

وفى يوم الجمعة يكون الخضوع التام لله إذ يجتمع الناس فى بيوت الله يؤدون فرضهم ، ويعلمون دينهم عبادا لله . خاشعين خاضعين ، ترفرف عليهم السكينة . وتنزل عليهم الرحمة ، ويعمهم الخير والتوفيق .

ولأهمية الجمعة والعيدين فى الحياة الإسلامية عقدت هذه الدراسة لفهم كل ما يتعلق بهما من حكم وتشريع لمعرفة دين الله تعالى .

وقد جعلت هذا الدراسة فى إطار الحديث عن قواعد علم الخطابة لشدة الصلة بينهما . فأبرز ما فى يوم الجمعة هو الخطبة ، حتى أن كل بحث يقدم فى المحيط الإسلامى عن الخطبة هو محاولة للنهوض بخطبة الجمعة ، والاستفادة بها على الوجه الذى شرعت له .

والحديث عن فقه الجمعة متشعب الجوانب . متعدد الجهات ، ولذا سأقتصر على تقديم أساسيات هذا الفقه مدعما بالنصوص والآثار ، وذلك فى المباحث التالية :

- **المبحث الأول** : اسم الجمعة .
- **المبحث الثانى** : فضل يوم الجمعة .
- **المبحث الثالث** : قيم إسلامية من خلال فقه الجمعة .
- **المبحث الرابع** : شروط الجمعة وايجابية الجماعة .
- **المبحث الخامس** : خطبة الجمعة .
- **المبحث السادس** : نماذج من الخطب المأثورة .

المبحث الأول
اسم الجمعة

كان للعرب يوم قبل الإسلام يعرف بيوم " العروبة " بفتح العين ومعناه "البيان العظيم" .

وهو أحد أيام الأسبوع . اختاره كعب بن لؤى جد رسول الله ﷺ ليجمع الناس فيه ، ويعلمهم مكارم الأخلاق ، ويذكرهم بمبعث النبى ﷺ ويعرفهم أنه سيكون من ولدهم ، ويأمرهم باتباعه ، والإيمان به إذا بعث فيهم .

وظل العرب يخصون يوم العروبة بهذا بالاجتماع فى الأمور الهامة حتى جاء الإسلام فغير اسمه إلى يوم الجمعة ، وفرض على المسلمين الاجتماع فيه للصلاة واستماع الخطبة .

والجمعة تنطق بضم الجيم مع ضم الميم ، أو فتحها ، أو تسكينها ، والجمعة تعنى الاجتماع سميت بذلك للدلالة على ما حدث ويحدث فيها .

يروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : " **إنما سمى يوم الجمعة بالجمعة لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام**"[١] .

وقيل إنما سميت جمعة إشارة لما كانت تصنعه قريش فيها ، حيث كانت تجتمع إلى قصى فى دار الندرة فى هذا اليوم . وكان كعب بن لؤى يجمع فى هذا اليوم قومه يذكرهم ، ويأمرهم بتعظيم الحرم . ويخبرهم بمبعث محمد ﷺ . وهو بهذا الاسم كان موجودا عند العرب قبل الإسلام ولو بمعناه .

وقيل سمى هذا اليوم بالجمعة لأن القيامة ستكون فيه حيث يجتمع فيه الناس لرب العالمين فى أرض الحشر والحساب .

---

(١) عمدة القارئ جـ٦ صـ١٦١ .

وقيل إن التسمية كما هى إسلامية الوجود . فهى إسلامية السبب لأن اسمها مأخوذ من الاجتماع للصلاة والخطبة .

وأول من سمى اليوم بالجمعة هم الأنصار فى المدينة ، فلقد جاءوا للنبى ﷺ وقالوا له : لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام . وكذا للنصارى فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه ، ونذكر الله ، ونصلى له ، ونشكره فعرفهم الله بيوم الجمعة وهو يوم العروبة لديهم ، فلما اجتمعت الصلاة والجمعة فى هذا اليوم سمى بالجمعة .

وظل العرب يسمون اليوم بـ " يوم العروبة " فلما اجتمعوا إلى أسعد بن زراره صلى بهم ركعتين ، وذكرهم ، فسموا الجمعة حين اجتمعوا إليه وذبح لهم أسعد شاة فتغذوا وتعشوا من شاة واحدة وذلك[١] لقلتهم ، فأنزل الله فى ذلك بعد : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٢] .

وليس هناك مانع من وجود هذه الأسباب جميعا إذ لا تناقض بينها ، ووجود أحدها كاف فى التعليل .

ثم يوم الجمعة يكون بمعنى اسم المفعول أى المجموع فيه . ويكون بمعنى اسم الفاعل أى الجامع للناس . والتاء فى الجمعة ليست للتأنيث وانما هى للمبالغة كعلامة ورجالة ولذلك وصف بها المذكر[٣] .

---

(١) عمدة القارئ . كتاب الجمعة جـ٦ صـ١٦١ .

(٢) سورة الجمعة ، الآية ٩ .

(٣) لسان العرب مادة " جمع " .

المبحث الثانى
فضل يوم الجمعة

وردت آثار عديدة تشير إلى فضل يوم الجمعة على غيره من الأيام ، وتبين قيمة الأعمال الصالحة فيه ، ففيه خلق آدم ، وفيه أهبط من الجنة ، وفيه ساعة إجابة ، وبه تميزت الأمة الإسلامية ، وسبقت سواها من الأمم ، ومن هذه الآثار :

(أ) يروى الإمام أحمد فى مسنده أن رسول الله ﷺ قال : "**سيد الأيام يوم الجمعة وهو أعظمها عند الله تعالى**"[١] .

(ب) وعن سعد بن عبادة رضى الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى النبى ﷺ وقال : **أخبرنا عن يوم الجمعة ماذا فيه من الخير ؟**

قال ﷺ : **فيه خمس خلال .**

خلق الله فيه آدم عليه السلام .

وفيه أهبط الله آدم عليه السلام إلى الأرض .

وفيه توفى آدم عليه السلام .

وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا أتاه الله تبارك وتعالى إياه ما لم يسأل حراما .

وفيه تقوم الساعة .

ما من ملك مقرب ، ولا سماء . ولا أرض . ولا رياح . ولا جبال ولا بحر . إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة[٢] ... وسبب الاشفاق أن الملائكة ترقبهم إلى قيام ساعة الإجابة فى هذا اليوم .

---

(١) أيام الأسبوع السبعة عند العرب قبل الإسلام هى : (شبار ، أول ، أهون ، جبار ، دبار ، مؤنس ، عروبة) .

(٢) الفتح الربانى . باب فضل الجمعة جـ٦ صـ٢ والمراد بالأيام أيام الأسبوع . لأن يوم عرفه أفضل أيام السنة .

(ج) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : "ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر"[١] وهذا يعنى أنه يسأل ولكنه لا يفتن فى القبر ، ويسأل سؤالا يسيرا .

(د) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل لله عز وجل فيها خيرا إلا أعطاه إياه وهى بعد العصر"[٢] . وهذه الساعة تعرف بساعة الإجابة .

وقد إستشكل هذا الحديث مع حديث آخر ذكر فيه رسول الله أن الساعة يواقفها المسلم (**وهو فى صلاة**) ، وقد وردت هذه الزيادة عن بعض الصحابة منهم سريج ر فقال لسعيد الخدرى . إن رسول الله قال فى صلاة . وليست بساعة صلاة .

فرد عليه : **أولم تعلم أن رسول الله ﷺ قال : "منتظر الصلاة فى صلاة"** .

قال له : **بلى هى والله هى**[٣] . وهذه الساعة تتكرر كل أسبوع .

(هـ) وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبى ﷺ كان يقول : " **ليلة الجمعة غراء ويومها أزهر**"[٤] أى ليلته مشرقة ويومه مضئ لكثرة نزول الملائكة فى الأرض يستغفرون للناس . ويباركون لأهل الأرض .

(و) وعن أوس بن أبى أوس ر قال رسول الله ﷺ : " من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على"[٥] أى تعرضها

---

(١) الفتح الربانى جـ٦ صـ٩ .

(٢) مسند أحمد . مسند أبى هريرة جـ١٣ صـ١١٧ .

(٣) بلوغ الأمانى جـ٦ صـ١٤ .

(٤) الفتح الربانى . باب فضل الجمعة جـ٦ صـ١٠ .

(٥) المصدر السابق . باب فصل الجمعة جـ٦ صـ٩ .

الملائكة على رسول الله ﷺ كما تعرض الهدية على صاحبها فيستبشر لذلك ويستغفر لصاحبها من المسلمين .

(ز) ويروى البخارى بسنده عن ربيعة بن الحارث أن أبا هريرة ﷺ سمع رسول الله ﷺ يقول : "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا . ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع ، اليهود غدا ، والنصارى بعد غد"[١] والمراد بهذا الحديث أننا برغم تأخرنا الزمانى فإننا السابقون منزلة بلا انقطاع إلى يوم القيامة .

وهذه الأحاديث وغيرها تشير إلى فضل يوم الجمعة . وتوضح وقت الخير لمن يريده ، وتدعو المسلمين إلى التسابق فيه بالطاعة والصلاة على رسول الله ﷺ ، والإكثار من الدعاء ، وتذكر ما وقع فى هذا اليوم ، وما سيقع فيه ليعرف الإنسان قصة خلقه الأولى ، وصورة نهاية الكون كله . ويعلم ما ينتظره فى قبره من سؤال وحساب .

ومعنى هذا أن المسلم لو عاش فى الخصائص التى أشرت إليها ، وتدبر فيها ، وحاول أن يتعظ بها ، لعاش بحق منهج هداية حسن ، وسعد بعبوديته لله رب العالمين .

إن هذه الخصائص تبين بعض الحكمة فى اختيار يوم الجمعة ليكون عيدا أسبوعيا يشغله المسلمون بالعبادة . ويجددون به روحهم وأملهم فى الدنيا وفى الآخرة ، ويعلمون أنهم الأعلون عند الله لو كانوا صادقين .

---

(١) صحيح البخارى . كتاب الجمعة . باب فرض الجمعة جـ٢ صـ١٥٧ .

المبحث الثالث
قيم إسلامية من خلال فقه الجمعة

توضح تشريعات الإسلام ليوم الجمعة عظمة الإسلام وسموه فى بعض الآداب والقيم الاجتماعية التى يبنى بها المجتمع على الحب والمودة ، ويبنى بها الفرد على الصفاء والاخلاص والوفاء . ومحاولتى هذه لإبراز هذه الآداب مرتبطة بالبشر ومعرفة الأحكام الفقهية من أجل إبراز الحقائق التالية :

(١) الإسلام دين الحياة ينظم العبادة ، وفى نفس الوقت يسوس الدنيا ولا يعرف الإسلام أبدا الانفصال بين العقيدة والشريعة ، ولا صحة لمن يقول غير هذا .

(٢) الإسلام علم وسلوك ، ثقافة وتطبيق ، تعليم وتربية ، وعلى المتدين به أن يكون مسلما بباطنه وقوله وعمله .

(٣) منهجية الإسلام فى نشر تعاليمه تتفق مع طبيعة الإنسان وفطرته ، بحيث لا يعاديها إلا معاند جاحد ، أو جاهل حاقد . وأمرهم إلى الله تعالى . مالك الملك ، القادر على كل شئ سبحانه وتعالى .

وهذه الحقائق وغيرها تبرز بروزا واضحا من خلال القيم الإسلامية التى يربى الفرد عليها من خلال تعاليم الإسلام ، وتشريعاته ليوم الجمعة . ومن أهم تلك القيم ما يلى :

(أ) الجماعة :

أجمع الفقهاء على أن الله فرض صلاة الجمعة لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[1] . فإن الأمر فى الآية

---

(١) سورة الجمعة ، الآية ٩ .

للوجوب ولقول النبى ﷺ : "**الجمعة على من سمع النداء**"[١] ، ولقوله ﷺ : "**رواح الجمعة واجب على كل محتلم**"[٢] وأجمعت الأمة من لدن رسول الله إلى يومنا هذا على فرضية الجمعة .

وهذه الفريضة لا تصح إلا في جماعة ، وهى صلاة يتجمع لها المسلمون في بيت الله تعالى . ليعرف بعضهم بعضا ، ويساهم كل منهم في معونة إخوانه . حيث يجمعهم قصدهم وجه الله تعالى ، فهم لم يقصدوا جاها دنيويا ، أو كسبا ماليا ، أو غرضا زائلا من أغراض الحياة الدنيا .

إن المسلم يلتقى مع أخيه في المسجد ليصنع معه أساسا متينا للمجتمع الصالح ، وحتى يؤدى هذا اللقاء دوره نجد الإسلام يحسن للمسلمين التبكير في الذهاب للمسجد يوم الجمعة . فعن أبى هريرة ر عنه أن النبي ﷺ قال : "**إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد فكتبوا من جاء الجمعة فإذا خرج الإمام طوت الملائكة الصحف**" . **فقال رسول الله ﷺ : المهجر إلى الجمعة كالمهدى بدنة . ثم كالمهدى بقرة . ثم كالمهدى شاة . ثم كالمهدى بطة . ثم كالمهدى دجاجة . ثم المهدى بيضه**"[٣] . وهكذا يؤدى الحضور المبكر إلى الحصول على ثواب أكثر ، وهذا ترغيب يؤدى بالضرورة إلى طول التعارف والتآلف الذي هو أحد أسباب مشروعية الجماعة في الجمعة ...

ومن أجل الالتزام التام بفريضة الجمعة نرى الترهيب من التخلف عنها والتحذير من التأخير في الحضور إليها . يقول على بن أبى طالب ﷺ : "**إذا كان يوم الجمعة غدت الشياطين برایاتها إلى الأسواق فيرمون الناس بالترابيث ويثبطونهم عن الجمعة**"[٤] . والترابيث هي الشواغل النفسية التي تحبس الإنسان

---

(١) السنن الصغرى للبيهقى . كتاب الصلاة . باب العدد جـ١ صـ٢٣٥ .

(٢) عمدة القارئ جـ٦ صـ١٦٢ .

(٣) سنن أبى داود . باب فضل الجمعة جـ١ صـ٢٤٢ .

(٤) سنن أبى داود . كتاب الصلاة . باب فضل الجمعة جـ١ صـ٢٧٦ .

عن الذهاب إلى المسجد . فكأن المسلم الذي يكسل عن الجمعة بالتأخير أو التخلف يسلم أمره للشيطان ، وهذا غاية السوء . ورسول الله ﷺ يشدد على ضرر التهاون في الذهاب للجمعة ، ويبين أثره السئ حتى لا يحدث جحود في القلب وجهالة في العقل . يقول عليه الصلاة والسلام : "من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه"(١) .

وعن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : وهو على أعواد منبره : " **لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله عز وجل على قلوبهم . وليكتبن من الغافلين**"(٢) . والمراد بالطبع على القلب والختم عليه فقد التوفيق ، والبعد عن الخير ، والإحساس بالغفلة ، وعدم الشعور بالواجب والمسئولية .

إن التخلف عن الجمعة سببه الانشغال بالمادة والخوض في متاهات الدنيا ، والبعد عن ذكر الله تعالى . واللجوء إليه . وعدم التسليم التام بقدره وقضائه وفى هذا تصوير بديع يبينه الرسول الكريم فيقول ﷺ : "**يتخذ أحدكم السائمة فيشهد الصلاة في جماعة فتتعذر عليه سائمته . فيقول لو طلب لسائمتى مكانا هو أكلأ من هذا . فيتحول ولا يشهد إلا الجمعة فتتعذر عليه سائمته . فيقول : لو طلبت لسائمتى مكانا هو أكلأ من هذا . فيتحول فلا يشهد الجمعة ولا يشهد الجماعة فيطبع على قلبه**"(٣) .

والسائمة هي الماشية التي ترعى بلا كلفة . ومعنى الحديث أن الرجل تشغله الدنيا ويهتم بها فيهجر الجماعة مكتفيا بالجمعة . ثم يهجر الجمعة بعد ذلك من شدة حرصه على الدنيا ، وحينئذ يضيع منه كل شئ ، ويمتلئ قلبه بالنكران والجحود .

---

(١) سنن أبى داود . كتاب الصلاة . باب التشديد في ترك الجمعة جـ١ صـ٢٧٧ .

(٢) الفتح الربانى . باب التغليظ في ترك الجمعة جـ٦ صـ٢١ .

(٣) مسند أحمد . حديث حارثة بن النعمان جـ٣٩ صـ٨٣ .

لقد وصل العلماء في العصر الحديث إلى ضرورة التجمع البشرى في أطر كثيرة كالنادى ، والرحلات ، ومعسكرات العمل وغير ذلك لإحداث تفاعل اجتماعي بين الجماعة الواحدة ، ولخلق شعور واحد . كما ينادى العلماء بشحذ الهمم . وتركيز الانتباه نحو هدف مشترك ، وهو ما يوجد التجمع في إطار حزب ، أو وطن ، أو قومية وهكذا .

إن الإسلام سبق كل هذه المحاولات البشرية بتشريع الله للجمعة والجماعة وغير ذلك . وهو بهذا يوجد التجمع الأصيل المؤثر ، النابع من القلب المرتبط بأهداف عليا رسمها الخالق سبحانه وتعالى .

إن تجمع الإسلام يتم في سكينة وخشوع وفى إطار الخضوع لله ، مع التجرد التام من كل غرض مادى . وهذا يورث في المجتمعين الصدق والاستمرار ، بخلاف ما اخترع من اجتماعات ترفيهية إذ فيها ينتشر الهوى ، وتوجد ألوان من المتع العدوانية على المحارم والحقوق ، وهذه لا تنتج إلا الآلام والشقاق .

كم سمعنا عن لقاءات تطول أياما وشهورا لتعويد الأفراد حب نظام ما ونشر منهج معين ، والولاء لشخص ، ولكن الأفراد سرعان ما يختلفون بعد انتهاء اجتماعهم لضحالة الهدف . وقلوبهم شئ .

ثم ما هي المرغبات لهذه الاجتماعات البشرية المخترعة ؟

إنها جزاء مادى بسيط سريعا ما ينتهى ويزول .

وأيضا ما هي العقوبات لمن لا يقبل مخلصا على الاشتراك الجماعى في هذه اللقاءات ؟

لا وجود للعقوبات على هذا إذ لا عقوبة في القانون إلا بجريمة . ولا جريمة لمن ينعزل ويتوارى في نظر البشر .

أما اجتماع الجمعة فهو عبادة مفروضة يحقق السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة . كما أنه يحرم البيع ، وكل صناعة ، وعمل ، في وقت الجمعة ليندفع المسلمون جميعا إلى التجمع في مسجدهم لله وفى الله رب العالمين .

ومن حكمة التشريع أن من يتخلف عن الجمعة ، ويغيب عن هذا العيد الأسبوعى عليه أن يتحمل غرما ماليا يعود على الجماعة كصدقة حتى يتحقق للمسلم دور اجتماعي بالضرورة . فعن سمرة بن جندب ر عن النبي ﷺ قال : "**من ترك الجمعة من غير عذر فليتصدق بدينار فإن لم يجد فبنصف دينار**"[١] ، وهذا المال المتصدق به كفارة تمحو ذنب التخلف عن الجمعة لأنها ما سميت كفارة إلا لتكفير الذنب عن مرتكبه لاسيما وأنه خاص بحق الله تعالى . والله عز وجل جعل له كفارة فمن أداها قبلت منه ، ولا حرج على فضل الله تعالى ، ومن لم يؤدها صار مستحقا للعقاب الوارد في ذلك .

(ب) إيجاد التآلف في الجماعة :

تشريع الإسلام للجماعة في الجمعة محاط بعوامل عديدة تنشر التآلف ، وتشجع على التقرب . وتمنع عوامل النفرة والكراهية . ومن حكمة الله تعالى أن وضع هذه العوامل في إطار حكم شرعى له ثوابه عند الله ، وله نتيجة الخير عند الناس في الدنيا .

ومن هذه العوامل المشروعة الأمر بالنظافة التامة يقول النبي ﷺ : "**من أتى الجمعة فليغتسل**"[٢] والفقهاء مختلفون في حكم الغسل للجمعة .

ذهب الظاهرية والإمام مالك إلى أن الغسل للجمعة واجب لابد منه . لأن صيغة الحديث الذي معنا جاءت بالأمر والأمر يفيد الوجوب .

---

(١) سنن النسائى . باب كفارة من ترك الجمعة من غير عذر جـ٣ صـ٢٤ .

(٢) سنن الترمذى . باب ما جاء في الاغتسال يوم الجمعة جـ٢ صـ٣٦٤ .

وقال جمهور الفقهاء : حكم الغسل يوم الجمعة الاستحباب والندب لقوله ﷺ : "**من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فهو أفضل**"[١] .

ورأى الجمهور أولى بالقبول لأن عمر بن الخطاب ﷺ ترك عثمان ﷺ يصلى الجمعة بالوضوء فلو كان الغسل واجبا ما اكتفى عثمان بالوضوء . وما تركه عمر يصلى . وحينئذ يكون الأمر في الحديث مصروفا عن الوجوب بالأحاديث الأخرى[٢] .

إن النظافة بصورة عامة تبعث عن الإشراق النفسى ، وهدوء الأعصاب وتريح التفكير ، وتبحث على الطمأنينة والثقة ولذلك وجدنا علماء الاجتماع المعاصرين ينادون بضرورة النظافة والتجمل وبخاصة لأولئك الذين يتصدون لقيادة الناس[٣] . ويكفى إلقاء نظرة على مجموعة من الأطفال في مدرسة ابتدائية نجد أن النظافة أحد عوامل النشاط والقرب النفسى . لأنه لو حدث أن وجد طفل غير نظيف فإنه ينعزل ويبتعد عنه أقرانه .

إن النظافة عامل فطرى له أثره النفسى داخل الجماعة ، ولذلك شرع الإسلام الغسل لمن يذهب لجماعة الجمعة .

ومن عوامل التأليف الاجتماعى توجيه المصلين إلى لبس أحسن الثياب والتطيب يقول النبي ﷺ : "**إن الغسل يوم الجمعة على كل محتلم ، والسواك وأن يمس من الطيب ما يقدر عليه**"[٤] ، ويقول ﷺ : "**إن من الحق على المسلمين أن يغتسل أحدهم يوم الجمعة وأن يمس من طيب إن كان عند أهله فإن لم يكن عندهم طيب . فإن الماء أطيب**"[٥] .

---

(١) الفتح الربانى جـ٦ صـ٥٠ .

(٢) أنظر الفتح الربانى جـ٦ صـ٥٣١ .

(٣) كيف تكسب الأصدقاء صـ٢٣٠ .

(٤) سنن النسائى . باب الهيئة للجمعة جـ٣ صـ٧٨ .

(٥) الفتح الربانى . باب الغسل للجمعة جـ٦ صـ٥ .

يقول ابن قيم الجوزية : "الطيب غذاء الأرواح . والقوى الإنسانية تزداد بالطيب لأنه ينفع الدماغ والقلب ، وسائر الأعضاء الباطنة . ويفرح القلب ويسر النفس . وينشط الروح . ولذلك كان الطيب أحد المحبوبين إلى أطيب الطيبين رسول الله ﷺ .

وفى صحيح مسلم عنه ﷺ قوله : "**من عرض عليه ريحان فلا يرده فإنه طيب الريح . خفيف المحمل**"(١) .

وفى الطيب من الخاصية أن الملائكة تحبه . والشياطين تنفر منه . وأحب شئ إلى الشياطين الرائحة المنتنة الكريهة ، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة . والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة ، وكل روح تميل إلى ما يناسبها . فالخبيثات للخبيثين . والخبيثون للخبيثات . والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ، وهذا وان كان في النساء والرجال . فإنه يتناول الأعمال والأقوال ، والمطاعم ، والمشارب ، والملابس ، والروائح . إما بعموم لفظه . أو بعموم معناه .

إن الإسلام يحرص على تهيئة المسلم لصلاة الجمعة من أجل إحداث قربى بين المصلين .

ومن ذلك أن من كان جالسا بالمسجد وغلبه التماس فليتحول من مكانه ويترك المسجد لأن المقصود من الحضور هو المشاركة الاجتماعية ، وأى عمل يبعده عن ذلك يجب الابتعاد عنه . يقول النبي ﷺ : "**إذ نعس أحدكم في المسجد يوم الجمعة فليتحول من مجلسه ذلك إلى غيره**"(٢) ، وذلك حتى يذهب النعاس . وينشط عقله وجوارحه ، ويقاس على النوم كل ما يؤدى إلى الغفلة .

---

(١) صحيح مسلم .كتاب الأدب . باب استعمال المسك جـ٤ صـ١٧٦٦ .

(٢) الفتح الربانى جـ٦ صـ٧٥ . باب الجلوس في المسجد للجمعة .

ومن الآداب أن يجلس من يأتى إلى المسجد حيث انتهى به المجلس فلا يتخطى رقاب الناس . ولا يفرق بين اثنين متجاورين . وقد شدد النبي ﷺ على هذا فقال : "**من تخطى المسلمين يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم**"[١] . ورأى النبي ﷺ رجلا يتخطى رقاب الناس فقال له : "**اجلس فقد آذيت وآنيت**"[٢] . وان كان هذا في تخطى الرقاب فمن باب أولى يمنع أن يقيم الداخل غيره ليجلس مكانه . ولكن له أن يطلب التوسعة .

وقد اختلف الفقهاء في حكم تخطى الرقاب يوم الجمعة ، فقال بعضهم هو حرام ، وقال آخرون : هو مكروه .

وعلى الجملة فإن كل منفر للنفس ، وكل مضعف للألفة . ينهى الإسلام عنه . حتى يتحقق في المسجد التعاون المطلوب ، والمحبة الواجبة بين المسلمين جميعا ، بلا فرق بين غنيهم وفقيرهم . ولا بين صغيرهم وكبيرهم فهم جميعا متساوون بين يدى الله تعالى .

---

(١) الفتح الربانى جـ٦ صـ٧١ . باب الجلوس في المسجد للجمعة .

(٢) سنن ابن ماجه . كتاب إقامة الصلاة . باب النهى عن تخطى الناس جـ١ صـ٣٥٤ .

المبحث الرابع
شروط الجمعة وإيجابية الجماعة

يهدف الإسلام من فرض الجمعة ومشروعية الجماعة إلى تكوين مجتمع صالح متماسك . يعمل الفرد فيه لمصلحة الجماعة ، وتحرص الجماعة على حفظ حق الفرد وصيانته . ولذلك وضع الإسلام شروطا لفرضية الجمعة وشروطا لصحة أدائها . وكلها توصل إلى تحقيق الإيجابية المطلوبة في هذا الاجتماع الأسبوعى الهام .

وهنا أفصل آراء الفقهاء في شروط الجمعة . سواء بالنسبة لفرضيتها أو لصحتها . وبعدها استنبط الحكم والفوائد المترتبة على هذه الشروط .

ومن المعلوم أن شروط الجمعة نوعان . **أولاهما : شروط الوجوب** وبها تفرض صلاة الجمعة على من استجمع هذه الشروط .

وثانيهما : شروط الصحة . وهى التي لا تصح الصلاة إلا بها .

وكلا النوعين يؤدى دوره في حياة الجماعة المسلمة . ويحقق الإيجابية المطلوبة .

ـ أولا ـ
شروط وجوب الجمعة

وشروط الوجوب هي التي تحقق الوجوب ، وتلزم من تتجمع فيه بضرورة أداء صلاة الجمعة لأنها صارت واجبة عليه بهذه الشروط .

يذهب جمهور الفقهاء إلى أن الجمعة فرضت بالمدينة المنورة بعد الهجرة ، بقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ

﴿إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[١] . وهذه الآية مدنية فلزم أن يكون زمن ما شرع بها بعد الهجرة إلى المدينة المنورة .

ومن الفقهاء كالغزالى وابن حجر وغيرهما من يرى أنها فرضت بمكة قبل الهجرة مع سائر الصلوات إلا أن المسلمين لم يقوموا بأدائها لعجزهم عن التجمع لأدائها ، ولما تعذر الاجتماع لها لم تؤد قبل الهجرة .

ويمكن جمع الرأيين بأنه طلب فعلها قبل الهجرة ولم يتحقق لها الوجوب لانعدام بعض شروطه ، فلما تحققت الشروط بعد الهجرة وجبت . وليس هناك ما يمنع من أن طلب أدائها حدث بوحى آخر غير هذه الآية ، نزل قبلها .

يروى الدارقطنى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما **أن رسول الله ﷺ أذن له في الجمعة قبل أن يهاجر فلم يستطع أن يجمع بمكة . فكتب إلى مصعب بن عمير أما بعد . فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا إلى الله بركعتين**[٢] .

وبهذا يكون مصعب بن عمير أول من صلى بالناس الجمعة في المدينة بعد ما جمعهم أسعد بن زرارة رضي الله عنهم أجمعين ، وهذا يدل على فرضيتها والمسلمون بمكة .

ولكن :

ما شروط فرضية الجمعة ؟

وما دورها في تحقيق غاية الاجتماع في يوم الجمعة ؟

---

(١) سورة الجمعة ، الآية ٩ .

(٢) الروض الأنف المجلد الرابع . باب بدء إسلام الأنصار صـ٥٦ .

أما شروط فرضية الجمعة فهى :

(١) البلوغ :

وهو شرط أجمع عليه الفقهاء لأنه أساس التكليف مطلقا ، فلا جمعة على صغير لم يبلغ الحلم ، وان صلاها جازت صلاته . ويستحب تعويد الأبناء المميزين على حب المسجد ، ومعرفة آداب الإتيان إليه من نظافة وخشوع ... ولا ينبغى مطلقا إهمال الصغار . وتركهم أمام تيارات الغزو الفكرى توجههم صباح مساء ، بل على الآباء أن يحببوا المسجد إلى أبنائهم ويعودوهم آدابه ، والانتفاع به حتى إذا ما بلغوا أدركوا ما فرض عليهم وأدوه عن اقتناع ورضى .

(٢) العقل :

وهو شرط مجمع عليه من الفقهاء لقوله ﷺ : "**رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الطفل حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يبرأ أو يعقل**"[١] .

ومعنى هذا الحديث أن التكليف الشرعي منعدم مطلقا بالنسبة لهذه سبق الأصناف الثلاثة . ورفع القلم كناية عن عدم التكليف ، ورفع التكليف لا يقتضى التكليف كما قد يتبادر . وانما آثر النبي ﷺ التعبير بالرفع في الحديث إشعارا بأن التكليف لازم لبنى آدم جميعا إلا لهؤلاء الثلاثة . وأن صفة الرفع لا تنفك عن غيرهم .

ووجه استدلال الفقهاء بالحديث أن جميع البشر مكلفون مندوبون إلى فعل الخير . مأمورون ومنهيون . متوعدون بالنار . وموعودون بالجنة . يحتاجون إلى إنقاذ أنفسهم . الكل في ذلك سواء . لأنهم جميعا مكلفون لا يخرج من ذلك إلا من أخرجهم الحديث . ورفع عنهم التكليف ، وقد أخرج

---

(١) مسنده الإمام أحمد انظر الفتح الربانى جـ١٥ صـ١٠٣ .

الحديث ثلاثة أصناف من هذا التكليف فدل على أنهم غير مكلفين . غير مخاطبين بالأوامر والنواهى . وبالتالى لا جمعة على المجنون[١] .

(٣) الإسلام :

وهو شرط أجمع عليه الفقهاء لأن التكليف لا يكون إلا بعد الدخول في الإسلام ، وكل من لم يدخل في الإسلام يتجه إليه التبليغ ليؤمن بالله سبحانه وتعالى . ويصدق برسالة سيدنا محمد ﷺ . فإذا ما صدق بذلك كلف بالأوامر والنواهى ، و من هنا كان شرط الإسلام شرطا للتكليف عند جميع الفقهاء .

(٤) الذكورة :

وهو شرط مجمع عليه عند الفقهاء ، حماية للمرأة من مزاحمة الرجال ولانشغالها في خدمة زوجها وأبنائها ولقوله ﷺ : "**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة إلا على امرأة أو مسافر أو عبد**"[٢] فدل هذا الحديث على أنه لا جمعة على المرأة .

وهذا الشرط فيه دلالة على تكريم الإسلام للمرأة حيث رفع عنها الجمعة مراعاة لوضعها . ومنعا من وقوعها في الحرج والمشقة فإذا انتقى الحرج . وتمكنت المرأة من أداء الجمعة في مصلى خاص بها جاز لها الصلاة لما روى عن الحسن البصرى أنه قال : "**كن النساء يجمعن مع رسول الله ﷺ ويقال لهن لا تخرجن إلا تفلات غير متطيبات**"[٣] وذلك حتى لا يؤذيهن أحد ، ولا يؤذى بهن أحد .

---

(١) المجنون شخص فاقد للعقل بالكلية لا يفهم ولا يدرك ولا يفرق بين الأمور والأشياء والجنون قد يكون مطبقا وقد يكون غير مطبق . وكلاهما سبب لرفع التكليف ، إلا أن المجنون في حالة إفاقته يعتبر عاقلا مكلفا . فإن طالت إفاقته لوقت صلاة وجبت عليه . ولو كانت الإفاقة في يوم الجمعة أداها . (تبيين الحقائق جـ٥ صـ١٩١) .

(٢) المهذب جـ١ صـ١١١ .

(٣) بدائع الصنائع جـ١ صـ٢٥٩ .

ومن المقرر بالمشاهدة والواقع أن خروج المرأة في الطريق ، واختلاطها بالرجال مثير للفتنة في حد ذاته ، يدفع الرجال والشباب إلى الفساد والشر ... وتلك حقيقة لا يمارى فيها إلا مجادل كذوب . ولذلك كان مناسبا للفطرة والمصلحة أن تعفى المرأة من التكليف بالجمعة والجماعات .

(٥) الإقامة :

فلا تجب الجمعة على غير المقيم ببلده لأن في السفر مشقة . فلا تجمع مشقة السفر إلى مشقة الحضور للجمعة ، وأيضا فإن المسافر يكون مشغولا بمهام معينة مرتبطا بقافلته ، ومواعيد رحيلها ، وهذا يجعل التزامه بالجمعة أمرا عسيرا . ولذلك أبيح لغير المقيم ترك الجمعة والإكتفاء بصلاة الظهر ، لكن إن صلاها أجزأته عن الظهر ولا يعيده .

وجمهور الفقهاء على هذا الشرط .

ويذهب ابن حزم . والزهرى والنخعى إلى وجوب الجمعة على المسافر لعموم آية التكليف .

ويجاب عليهم بأن النبي ﷺ كان يسافر ولا يصلى الجمعة في سفره ، وقد وقع ذلك منه في حجة الوادع حيث كان يوم عرفة يوم جمعة ، فجمع النبي ﷺ الظهر والعصر ولم يصل الجمعة .

والشافعية يرون أن السفر لمعصية لا يسقط الجمعة لأن الإسقاط جاء مراعاة لمصلحة المسافر . والعاصى لا تراعى مقاصده ومصالحه .

ويعتبر الشخص مقيما إن سافر لمصر ونوى الإقامة فيه مدة أربع أيام فصاعدا عند الشافعية والمالكية والحنابلة ، ومدة خمسة عشر يوما عند الأحناف بشرط أن لا يدخل في هذه الأيام يوم دخول المصر إن وقع بعد صلاة الفجر ،

أو العشاء وضابطه أن يأتى عليه في اليوم بعد إقامته خمس صلوات . وهى فرائض اليوم[١] .

(٦) الحرية :

اشترط الفقهاء لوجوب الجمعة حرية المكلف بصورة كاملة . فلا جمعة على عبد أو مكاتب لأنه يكون في عمل سيده . ولقول النبي ﷺ : "**حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة . عبد مملوك . أو امرأة . أو صبى . أو مريض**"[٢] وجرى على ذلك إجماع الفقهاء ما عدا الظاهرية فإنهم ذهبوا إلى أن على العبد أن يذهب إلى الجمعة بغير إذن سيده ، لأن آية التكليف عامة لم تخصص عندهم بهذه الأحاديث ، ومن المعلوم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[٣] .

(٧) الخلو عن الأعذار :

يشترط لفريضة الجمعة أن يخلو المكلف من الأعذار التي تمنعه من الحضور للجماعة كالمرض ، والخوف ، والعمى ، وتقدر الأعذار بقدرها ، وهذا الشرط محل إجماع الفقهاء لأن التكليف على قدر الوسع والطاقة والمعذور لا يمكنه أداءها فتسقط عنه فرضيتها .

وهذه الشروط السبعة تتعلق بذات المكلف . وهى تعنى جملة من الحقائق من أهمها :

(أ) مراعاة الإسلام للفطرة البشرية . فلا يكون تكليفه إلا ميسرا مع خلوه من العنت والحرج .

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة صـ٤٣٣ . ٤٤٠ .

(٢) سنن أبى داود . كتاب الصلاة . باب الجمعة للمرأة والمملوك جـ١ صـ٢٨٠ .

(٣) أنظر المحلى جـ٥ صـ٥٧ .

(ب) ارتباط العبادة بالأخلاق . وكل ما يتصور منه إفساد أخلاقى يمنع تشريعه .

(ج) ضمان حق الإنسان في إطار أداء العبادة . وأى عبادة يتصور منها تعطيل حق فهو تصور باطل .

(د) تهيئة الجماعة للاستفادة القصوى من الجمعة وذلك بوضع شروط للمصلى يكون بها إنسانا إيجابيا قادرا على أداء دوره في المجتمع الصالح ، ومن هنا كان شرط الحرية وشرط العقل ، وشرط البلوغ من أجل مساهمة إنسان قادر على الفهم والحوار ، وقادر على تصور قضايا المجتمع الذي يعيش فيه ، وقادر على تنفيذ كل فكرة يقتنع بها في إطار الشرعية الإسلامية .

إن هؤلاء المجتمعين في المسجد يوم الجمعة يعيشون اجتماعا أسبوعيا دوريا يسمعون فيه أهم قضاياهم . ويفهمون حكم الإسلام فيها . ويسلم كل منهم على أخيه ويعرفه . ويعاونه . وبذلك يتكون المجتمع السعيد .

إن رجال النظم السياسية المعاصرين يرون ضرورة مساهمة المواطن في تنظيم أمور مجتمعه بإبداء رأيه في الانتخابات البرلمانية . وذلك إذا وصل سنه إلى ثمانى عشرة سنة تقريبا ، لأنها في نظرهم السن التي تمكنه من الفهم والتعبير .

إن الله سبحانه وتعالى وهو يفرض الجمعة يفرضها على كل بالغ حر عاقل قادر على العطاء والمساهمة في البناء الاجتماعى ، ومن الممكن اعتبار شرط الإقامة دليلا على ضرورة فهم الواقع الذي يعيشه . لأن المسافر يكون في غير مجتمعه لا يدرك عنه شيئا . وليس من العدل مقارنة اجتماع الجمعة بأى اجتماع سياسى أو مقارنة شرط الاشتراك في الانتخابات بشرط فرضية الجمعة لأن البون شاسع والفروق عديدة ومتنوعة .

فاجتماع الجمعة يحدد الأطربين يدى الله تعالى . وفى بيته ، ومع تلاوة القرآن الكريم في خشوع وخضوع . واتجاه لله أن يعفو . ويصفح . ويغفر . ويوفق . أما الاجتماع مع غير الله فإنه يتم بين النفاق والأكاذيب غالبا ومع المغريات والأهداف المادية الزائفة التي لا يصدق فيها إلا القليل .

إن اجتماع الجمعة يخلو من الزيف والوعود ، والعضو فيه في لحظة توبة صادقة مع الله ومع الناس . ولذلك كان رأينا أن شروط الفرضية في جملتها تحقق للجماعة ايجابية في الفهم . وفى السلوك ، وفى العمل الاجتماعى السليم .

ـ ثانيا ـ

شروط صحة الجمعة

هي الشروط التي لابد منها لتقع الجمعة صحيحة . وهذه الشروط تتعلق بغير ذات المكلف وتدور حوله ومعه . وهى بدورها لها صلة بتحقيق التكامل والتآلف داخل المجتمع . **وشروط الصحة هي :**

(١) الوقت :

لا تصح الجمعة إلا إذا أديت في وقتها . وقد فصل الفقهاء الحديث فيه فالشافعية والأحناف يرون أن وقت الجمعة هو وقت الظهر[١] . فلا يجوز تقديمها على زوال الشمس . ولا يصح تأخيرها إلى دخول وقت العصر . لما روى أن النبي ﷺ كتب إلى أسعد ابن زرارة ر بذلك ، وكان ﷺ يصلى الجمعة

---

(١) وقت الظهر محدد بالزوال وهو الوقت الذي تكون فيه الشمس في كبد السماء ونهايته إذا صار ظل كل شئ مثله أو مثليه .

إذا زالت الشمس من اليوم الذي تتجهز فيه اليهود لسبتها فازدلف إلى الله بركعتين[١] .

وأيضا فإن الجمعة أقيمت مقام الظهر بالنص فيصير وقت الظهر وقتا للجمعة[٢] .

ومن المقرر عند المالكية أن وقت الظهر ممتد إلى قبيل غروب الشمس ولذلك جازت الجمعة عندهم إلى الغروب . لكن ذلك غير مسلم لهم من غيرهم .

ورأى الحنابلة أن آخر وقت الجمعة هو آخر وقت الظهر بغير خلاف عندهم . أما أول الوقت ففيه روايتان .

أولاهما أوله وقت العيد بعد شروق الشمس لحديث رواه عبدالله بن سيلان قال : "**شهدت الجمعة مع أبى بكر ﷺ فكانت صلاته وخطبته قبل نصف النهار ، ثم شهدنا مع عمر ر فكانت خطبته وصلاته إلى أن أقول تنصف النهار ، ثم شهدنا مع عثمان فكانت خطبته وصلاته إلى أن أقول زال النهار فما رأيت أحدا عاب ذلك ولا أنكره**"[٣] .

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله قوله : "**كان رسول الله ﷺ يصلى الجمعة فنذهب إلى جمالنا فتريحها حتى تزول**"[٤] . ولأنها يوم عيد فجاز أن يكون وقتها وقت العيد .

والرأى الثاني للحنابلة كرأى الأحناف والشافعية وهو رأى الجمهور . الذي يرون في استدلال الحنابلة على رأيهم الأول ضعفا أو مبالغة .

---

(١) سنن أبى داود . كتاب الصلاة . باب في وقت الجمعة جـ١ صـ٢٨٤ .

(٢) بدائع الصنائع جـ١ صـ٢٦٩ ، والمهذب جـ١ صـ١١١ .

(٣) مصنف ابن أبى شيبة جـ٢ صـ١٧ .

(٤) صحيح مسلم . كتاب صلاة المسافرين . باب صلاة الجمعة جـ٢ صـ٥٨٨ .

ورأى الجمهور في الوقت يتضمن الوقت المتفق عليه ولذلك فالصلاة فيه تخرج صاحبها من الخلاف . ومن المعلوم أن الخروج من اختلاف الفقهاء أحسن . وفيه إبراء للذمة أوضح . ولذلك حسن رأى الجمهور للاتفاق عليه[١] .

ويدرك وقت الجمعة بأداء ركعة في وقتها ، وهو رأى الجمهور خلافا للأحناف .

وتحديد وقت الجمعة يؤدى إلى تنظيم المسلم ليومه ، فيؤدى واجبه ، ويسعى على معاشه ، فإذا ما جاء الوقت ذهب إلى المسجد ساعيا إلى ذكر الله والصلاة .

(٢) المصر :

يرى الشافعية[٢] والحنابلة[٣] أنه لا تصح الجمعة إلا في أبنية مجتمعة يستوطنها عدد تعقد بهم الجمعة في بلد أو قرية استيطانا دائما لا يظعنون عنها صيفا ولا شتاء .

فأما أهل الخيام (البدو) وبيوت الشعر فلا جمعة لهم ، ولذلك كانت قبائل العرب حول المدينة بدوا فلم يأمرهم النبي ﷺ بجمعة .

ومتى اجتمعت شروط المصر وجب على أهلها الجمعة لأن كعبا قال : **أسعد بن زرارة أول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بنى بياضة في نقيع يقال له : نقيع الخضمات .**

قال الخطابى : " **حرة بنى بياضة قرية على ميل من المدينة . لأن هذا بناء استوطنه أربعون من أهل الجمعة فوجبت عليهم كأهل المصر** . ولأنه لم تقم الجمعة في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين إلا في بلد أو

---

(١) الكافى جـ١ صـ٢٨٣ .

(٢) المهذب جـ١ صـ١١٠ .

(٣) الكافى جـ١ صـ٢٨٤ ، المغنى جـ٢ صـ٣٣١ .

قرية . ولم ينقل أنها أقيمت في بدو فإن خربت القرية فلازمها أهلها عازمين على إصلاحها وحرمتها فحكمها باق ، وان عزموا على النقلة منها زال الاستيطان"[١] .

والأحناف يرون أن المصر لابد أن يكون مصرا جامعا وهو عندهم ما أقيمت فيه الحدود ونفذت الأحكام بواسطة قاض ونائب للسلطان يقدر على تحقيق العدل ونصرة المظلوم ... يستدل الفقهاء على ما ذهبوا إليه بقوله ﷺ : "**لا جمعة ولا تشريق إلا في مصر جامع** "[٢] . وكان النبي ﷺ يقيم الجمعة في المدينة وما روى أنه أقامها حولها . وكذا الصحابة فتحوا البلاد وما نصبوا المنابر إلا في الأمصار[٣] .

والراجح هو أنه يكفى في المصر أن يكون قرية يستوطنها عدد تصح بهم الجمعة ، وهو رأى الشافعية والحنابلة والمالكية والدليل على رجحان هذا الرأي أن الرسول لم يصل بجوار المدينة لأنه كان يصلى في المدينة نفسها . وكافة الأدلة تقويها .

إن جميع القرى المصرية يجوز إقامة الجمعة فيها لأن فيها نائبا للوالى وهو العمدة أو الشيخ أو ضابط للشرطة للمساهمة في إقامة العدل واقامة المسجد والمنبر يعد إذنا بالجمعة . كما أن القرية المصرية تعد مصرا في مفهوم الأحناف وغيرهم .

(٣) العدد المطلوب للجمعة :

سميت الجمعة بهذا الاسم لكون الجماعة شرطا في صحتها ولا تؤدى بغيرها .

---

(١) بدائع الصنائع جـ١ صـ٢٥٨ .

(٢) مسند عبد الرزاق الصنعانى . كتاب الجمعة . باب القرى الصغار جـ٣ صـ١٦٧ .

(٣) بدائع الصنائع جـ١ صـ٢٥٩ .

وقد اختلف الفقهاء في العدد الذي تصح به الجمعة .

فقال الشافعية والحنابلة[١] لابد من أربعين مصليا ممن تجب عليهم الجمعة غير الإمام لما روى عن جابر ﷺ قال: **قضيت السنة أن في كل ثلاثة إماما** . وفى كل أربعين فما فوق ذلك جمعة وأضحى وفطرا .

ويراد بالسنة سنة النبي ﷺ .

وذهب المالكية إلى أن صلاة الجمعة تصح بأربعين في أول أدائها وبعد ذلك تصح باثنى عشر مصليا سوى الإمام[٢] .

وذهب أبو حنيفة ومحمد إلى أن الجمعة تصح بثلاثة سوى الإمام لما روى أن النبي ﷺ **كان يخطب فقدم عير تحمل الطعام فانفضوا إليها فتركوا رسول الله ﷺ قائما وليس معه إلا اثنى عشر رجلا منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم أجمعين** . وقد أقام الجمعة بهم . ولأن الثلاثة تساوى ما وراءها في كونها جمعا فلا معنى لاشتراط جمع الأربعين .

ويروى أبو يوسف أن الاثنين مع الإمام تصح بهما الجمعة . وهو مردود لأن الاثنين ليسا بجمع[٣] .

ويبدو أن رأى الشافعية والحنابلة هو الأولى بالإتباع لأن النظر في هذا الشرط مع شرط المصر يدفع إلى اشتراط الأربعين لحضور الجمعة . كما أن اجتماع الجمعة لا يراد به مجرد الجمع . بل يراد به الجمع الذي يستفيد ويفهم ويعلم . ولهذا يرجح رأى من قال بالأربعين سوى الإمام .

كما أنه يجوز وقوعها بأربعة بالإمام لأن شروط الفقهاء اجتهادية في أغلبها .

---

(١) المهذب جـ١ صـ١١٠ ، الكافى جـ١ صـ٢٨٥ .

(٢) شرح كتاب النيل جـ٢ صـ٣٣٠ .

(٣) بدائع الصنائع جـ١ صـ٢٦٣ .

وعلى الإمام مراعاة ظروف كل قرية ومصر ليكون عملهم وفق ما يحقق المصلحة الخاصة والعامة .

(٤) الجماعة :

لابد من الجماعة لصحة الجمعة بالعدد الذي أشرنا إليه . وتدرك جماعة الجمعة بركعة منها .

(٥) الخطبة :

أجمع الفقهاء على اشتراط خطبتين قبل الصلاة قبل الصلاة لابد منهما لصحة الجمعة ... وفى الخطبة تفضيل كبير عند الفقهاء ولذلك سأفردها بمبحث خاص بها .

هذا :

وقد زاد الأحناف شرطين هما :

الأول : حضور السلطان أو نائبة ليتمكن من تنفيذ الوعيد الذي ذكره الرسول ﷺ بالنسبة لمن يتخلف عن الجمعة . ولقول النبي ﷺ : "**أربع إلى الولاة ، وعد منها الجمعة**"[١] ... وهذا شرط مرجوح بغيره من الأدلة .

الثاني : الاشتهار العام . معناه أن يؤذن للجمعة ، ويظل المسجد مفتوحا لكل من يقبل عليه ، فإذا حدث غير ذلك بطلت الصلاة ، كأن يجمع أمير جيشه وأتباعه ويغلق الباب عليهم . ويمنع سواهم . ويصلى بهم الجمعة فحينئذ لا تجزئهم صلاتهم . لأن الله شرع النداء لصلاة الجمعة . والنداء للاشتهار . وهو ملزم لكل من سمعه . ولذا يسمى جمعة لاجتماع الجماعات فيها ، فاقتضى أن تكون الجماعات كلها مأذونين بالحضور إذنا عاما تحقيقا لمعنى الاسم[٢] .

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح . كتاب الحدود جـ٦ صـ٢٣٣٩ .

(٢) بدائع الصنائع جـ١ صـ٢٦٩ .

وهذا الشرط له وجاهته وهو جعل الاجتماع واسعا يستفيد به كل من يريده . وفى بعض الحالات الضرورية يمكن ترك العمل بهذا الشرط اكتفاء بما ذكر الفقهاء من شروط سواه .

إن شروط صحة الجمعة تحقق للجمعة والاجتماع لها إيجابية كبرى فاشتراط العدد والمصر والخطبة يوسع دائرة النفع والمشاركة ويحول المسجد إلى جامعة شعبية يتعلم فيها المسلمون بصورة متساوية وبلا شروط مسبقة ، وبلا مصروفات معينة ، بل هم جميعا في أخوة تامة . وحرية مطلقة ، ومساواة تنظم الناس صفوفا تابعة لمجيئهم المسجد لأن الكل يجلس حيث ينتهى به المجلس .

إن المسلم من خلال اجتماع الجمعة يستمع أسبوعيا لموضوع علمى إسلامى ، وعند المواظبة على ذلك يتجمع أمام المسلم في العام الواحد اثنان وخمسون موضوعا هي عدد جمع العام . إنه قدر علمى يفوق ما يناله طالب في الجامعة . وهذا يعنى عظمة ما تقدمه جامعة الجمعة للمصلين .

إن شروط فرض الجمعة تلزم الفرد المكلف القادر على المشاركة بالجمعة ليتحقق ايجابية المسلم مع الجماعة ، وشروط صحة الجمعة تساعد في إيجابية الجماعة . وهى تحتوى الفرد وتتفاعل معه . لإيجاد المجتمع السعيد لفهمه لدينه . وحبه لخالقه والتزامه بمنهج الشرع الكريم .

إن فقه الجمعة يوحى بكل ذلك ولذلك عده المسلمون عيدا لهم ، وعده الإسلام تبرئة لساحة المسلم من ذنوب قد يقع المسلم فيها لقوله ﷺ : " الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما"[١] .

---

(١) عمدة القارئ شرح صحيح البخارى.كتاب الحج . باب وجوب العمرة ج١٠ ص١٠٨.

المبحث الخامس
خطبة الجمعة

من الشروط الواجبة لصحة الجمعة تقديم الخطبة على الصلاة لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[1] . فإن المراد بالذكر هو الخطبة التى تسبق الصلاة . وهذا يعنى تضمن الذكر للخطبة وللصلاة معا ... يقول عمر بن الخطاب ﷺ : "**كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين يجلس بينهما**" . وتواترت الأخبار على أن رسول الله ﷺ واظب على ذلك . وجرى على هذا إجماع الأمة من غير نكير ... والسلف يرون أن الجمعة قصرت إلى ركعتين لأجل الخطبة . فإذا لم تتم الخطبة يكون الأصل وهو الظهر وان لا فلا . والحديث في الخطبة يتناول المباحث التالية :

(١) مشروعية الخطبة :

شرعت الخطبة يوم الجمعة قبل الصلاة . ووقتها هو وقت الظهر ويقصد بها التعليم . والتعريف . والتذكير بنعم الله تعالى . وهى من فضائل الإسلام التي يبرز بها دور العلم . وأهمية العلماء والمتعلمين . لأن بالعلم يعرف الدين . وتفهم مسائلة وقضاياه . ويعيش المكلف عالما عاملا .

وللعلماء في حكم خطبة الجمعة[2] آراء :

---

(١) سورة الجمعة ، الآية ٩ .

(٢) (فائدة) جملة الخطب المشروعة عشر وهى خطبة الجمعة ، وخطبة عيد الفطر ، وخطبة عيد الأضحى ، وخطبة الكسوف ، وخطبة الخسوف ، وخطبة الاستسقاء ، وأربع في الحج إحدهما بمكة في يوم السابع من ذى الحجة المسمى يوم الزينة . وثانيها بنمرة في يوم التاسع المسمى بيوم عرفة ، ثالثها بمنى في يوم العاشر المسمى يوم النحر ، ورابعها بمنى في الثاني عشر المسمى يوم النفر الأول . وكلها بعد الصلاة إلا خطبة == ==

يرى الشافعية والأحناف والمالكية والحنابلة أن الخطبة شرط واجب لابد منه لصحة الجمعة واستدلوا على ذلك بما يلي :

(أ) يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ ، والخطبة من ذكر الله فتدخل في الأمر بالسعى لها دخولا أوليا . أو أن المراد من الذكر الخطبة . وقد أمر بالسعى إليها فدل ذلك على وجوبها وكونها شرطا لانعقاد الجمعة .

(ب) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله **ص** كان يخطب يوم الجمعة خطبتين يجلس بينهما[١] وقد واظب النبى **ص** على ذلك فدل على الوجوب لأنه كبيان المجمل للآية .

(ج) عن عمر وعائشة رضى الله عنهما أنهما قالا : "**إنما قصرت الصلاة لأجل الخطبة**" . وشطر الصلاة فرض لا يسقط إلا لتحصيل ما هو فرض .

(د) ترك الظهر بالجمعة عرف بالنص . والنص ورد بهذه الهيئة وهى وجوب الخطبة[٢] .

وعلى القول بوجوب الخطبة للصلاة جرى أغلب الفقهاء . ولم يقل بعدم وجوبها إلا نذر يسير بلا دليل لهم غير أنهم حصروا رأيهم في معارضة أدلة القائلين بالوجوب . وبذلك ظهر ضعف ما ذهبوا إليه . وتوارى رأيهم في جنبات الأمة ، ولا يعرف جمهور المسلمين إلا الرأي الراجح وهو وجوب الخطبة للجمعة .

الجمعة وخطبة عرفة ، فإنهما قبلها ، أما خطبة الاستسقاء فتجوز قبلها أو بعدها وكلها خطبتان إلا الثلاثة في الحج فخطبة واحدة .

(١) الفتح الربانى جـ٦ صـ٨٩ .

(٢) بدائع الصنائع جـ١ صـ٢٦٢ .

إن المسلمين يرتبطون روحيا وعقليا بخطيبهم ، يأتون إليه من كل مكان لسماع موعظة ، وفهم قضية ، ومعرفة شئ من أمور الدين .

ويا ليت الخطباء يدركون قدر الخطبة المفروضة فيعدوا لها . ويقدموا إسلامهم من خلالها !! إنهم لو فعلوا ذلك لحققوا إصلاحا اجتماعيا كبيرا يقوم على منهج الإسلام وتعاليمه .

(٢) أركان الخطبة :

بعد اتفاق جمهور الفقهاء على فرضية خطبة الجمعة انقسموا في كونها واحدة أو اثنتين .

فذهب الأحناف والمالكية إلى أن المشروع هو ما يقع عليه الخطبة سواء كانت واحدة أو اثنتين والخطبة وهو اسم يشتمل في المتعارف على تحميد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ . والدعاء للمسلمين والوعظ والتذكير لهم فينصرف المطلق على المتعارف . ومما يدل على أن مجرد الذكر يسمى خطبة ما روى أن عثمان بن عفان ر لما استخلف خطب في أول جمعة . فلما قال الحمد لله ارتج عليه[١] فقال : أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال وان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المكان مقالا . وستأتيكم الخطب من بعد وأستغفر الله لى ولكم . ونزل . وصلى بالمسلمين الجمعة . وعد ذلك خطبة بمحضر من المهاجرين والأنصار وصلوا خلفه . وما أنكروا عليه صنيعه مع أنهم كانوا موصوفين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكان هذا إجماعا من الصحابة رضي الله عنهم .

وأيضا فإن المطلوب هو مطلق ذكر الله تعالى من غير اشتراط أن يكون في خطبة أو في خطبتين[٢] .

---

(١) ارتج عليه أى ضاعت منه الفكرة ، وعجز عن مواصلة الخطبة .

(٢) بدائع الصنائع جـ١ صـ٢٦٢ .

ويرى الأحناف والمالكية أن ما روى أن رسول الله ﷺ كان يخطب بالناس خطبتين يجلس بينهما فهو دليل على سنية هذا الفعل[١] لا على فرصيته .

ويرى الشافعية والحنابلة أن كون الخطبة اثنتين شرط واجب لقوله ﷺ "**صلوا كما رأيتمونى أصلى**"[٢] ، ولم يصل الجمعة إلى بخطبتين . وقد تعارف الناس على أن خطبة الجمعة ثنتان فتحدد بذلك مفهوم الخطبة اللغوى .

وتبعا لاختلاف الفقهاء يأتى الحديث عن أركان الخطبة فالذين قالوا بأنها ثنتان وضعوا للخطبة أركانا لا تكون خطبة إلا بها ، والذين قالوا إن مجرد الذكر يكون خطبة رأوا ما يكون في الخطبة من توجيهات فهو سنة مشروعة . أى أن ما هو سنة عند هؤلاء هو ركن عند أولئك . أى أن جوانب الخطبة مشروعة عند الجميع وان اختلفت أحكامها ؛ وانى أرجح كونها أركانا لضرورة الإتيان بها لأن الإسلام دين نظام واصلاح . ومن الأولى له مع الخطبة أن يحدد منهجيتها الإصلاحية كأركان لابد منها .

وما هي أركان الخطبة عند من يقول بها ؟

أركان الخطبة أربعة هي :

الأول : أن تفتتح بالتحميد . وأقله الحمد لله . يروى ابن قتيبة أنه تتبع خطب رسول الله ﷺ فوجد أوائل أكثرها هو الحمد لله نحمده . ونستعينه . ونؤمن به . ونتوكل عليه . ونستغفره . ونتوب إليه . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . ومن سيئات أعمالنا . ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له[٣] .

---

(١) فتح القدير جـ٢ صـ٥٩ .

(٢) صحيح ابن حبان . كتاب الصلاة . باب فرض متابعة الإمام جـ٥ صـ٥٠٤ .

(٣) عيون الأخبار جـ٢ صـ٢٣١ .

والشافعية والحنابلة يرون التحميد في الخطبة واجبا لا تصح بدونه لما روى جابر أن النبي **ص** خطب يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم يقول : "أى يتم خطبته بعد ذلك"[١]. والخطبة العادية إذا خلت من التحميد تسمى (بتراء).

هذا ويرى الحنابلة أن الثناء والشكر يقوم مقام الحمد لأدائهما المعنى المقصود من الحمد لله . لكن الشافعية يرون ضرورة النطق بلفظ الحمد ، أو ما يشتق من مادته .

وأبو حنيفة وصاحباه يذهبون إلى أن ما يطلق عليه اسم خطبة كاف في تحقيق المقصود لقوله تعالى : ﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[٢] . فما يحقق الذكر كاف ولو كان قليلا . وقد روى أن عثمان ﷺ قال : " **الحمد لله** " **فارتج عليه فنزل وصلى بالناس من غير نكير** . ويحدد محمد وأبو يوسف حد القلة بما كان قدر التشهد ليستوى على الثناء والصلاة على رسول الله والدعاء للمسلمين[٣] .

ولا يرى المالكية هذا الركن في الخطبة لأن آية من القرآن الكريم تكفى والخطبة عند العرب كلام منمق يفيد معنى أو عدة معان . فإذا احتوى كلام على آية قرآنية جاز جعله خطبة للجمعة عند المالكية[٤] .

الثاني : الصلاة على النبي ﷺ بلفظه الذي ذكره الله تعالى في قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ

---

(١) المهذب جـ١ صـ١١١ .

(٢) سورة الجمعة ، الآية ٩ .

(٣) تبيين الحقائق جـ١ صـ٢٢٠ ، فتح القدير جـ٢ صـ٥٩ .

(٤) كفاية الطالب الربانى . بتصرف .

﴿ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[١] . لأن كل عبادة افتقرت إلى ذكر الله تعالى افتقرت إلى ذكر رسوله كالآذان والصلاة[٢] ، وهذا بعض ما يستفاد من قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[٣] . والخطبة إذا خلت من الصلاة على الرسول سميت "شوهاء" .

والصلاة على النبي ركن واجب عند الشافعية والحنابلة سواء ذكر الرسول باسمه الصريح أو بضميره . وبعض متأخرى الشافعية يشترطون إيراد الاسم الصريح لرسول الله مع الصلاة عليه في الخطبة ولا دليل لهم على هذا الشرط .

وموقف الأحناف والمالكية في الصلاة على الرسول في الخطبة يذهب إلى أنه سنة ، وليس بركن ولا بشرط .

الثالث : الوصية بتقوى الله تعالى في الموضوع الذي فيه الخطيب . لأن النبي ﷺ كان يعظ أصحابه في خطبة الجمعة . وكان إذا خطب علا صوته ﷺ واشتد غضبه . واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش . ثم يقول ﷺ : "**بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ، ويقول : أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله . وخير الهدى هدى محمد** ﷺ "[٤] . والهدف المقصود من الخطبة هو العظة والإرشاد والتوجيه . ولابد من ذلك في الخطبة .

والإجماع منعقد على هذا الركن صراحة أوضمنا لأن الشافعية والحنابلة يصرحون به . أما الأحناف والمالكية وهم يقولون بكفاية بعض الذكر والقرآن في الخطبة يشيرون إليه لأن في القرآن الكرين عظة ونصحا وتوجيها .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥٦ .

(٢) المهذب جـ١ صـ١١٢ ، الكافى جـ١ صـ٢١٠ .

(٣) سورة الشرح ، الآية ٤ .

(٤) صحيح مسلم . كتاب صلاة المسافرين . باب تخفيف الصلاة جـ٢ صـ٥٩٢ .

الرابع : قراءة شئ من القرآن الكريم ولو آية . لأن جابر بن سمرة قال : كانت صلاة رسول الله ﷺ قصدا . وخطبته قصدا . يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس[١] . ولأن الخطبة فرض في الجمعة فوجبت القراءة فيها كالصلاة . **يقول الجاحظ** : " إن خطباء العصر الأول كانوا يرون أن تشتمل الخطبة على آى من القرآن الكريم فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار . والرقة وحسن الموقع . وكثرة الفائدة " .

(٣) الأركان والخطبتان :

وهذه الأركان الأربعة واجبة في الخطبة الثانية كما هي واجبة في الخطبة الأولى لأن ما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر . وذلك رأى قال به بعض الفقهاء الذين حددوا أركان الخطبة الأربعة . وبعض آخر منهم يرى أن التحميد والصلاة واجبان في الخطبة الثانية . وكذلك الوصية بالتقوى في موضوع آخر مغاير للوصية الأولى . وكذلك القرآن الكريم . وذلك أولى لأن تكرار الوصية بعينها أو الآية بعينها غير مفيد . ولا يدعو السامع إلى الانتباه .

(٤) سنن الخطبة :

يذكر الفقهاء سننا عديدة للخطبة . وقد أوصلها بعضهم إلى ثلاثة عشر سنة وهى :

(١) أن تكون الخطبة على منبر . وهو موضع مرتفع أمام الحاضرين وبذلك يتمكن المصلون من رؤية الخطيب ، وكان النبي ﷺ يخطب على جذع نخلة فلما كثر المسلمون اتخذ منبرا مكونا من ثلاث درجات لأنه أبلغ في الإعلام والتوجيه والأفضل أن يكون المنبر على يمين المحراب . وليس بشرط أن يتخذ المنبر من الخشب وعلى صورة معينة بل يكفى أن يكون المكان عاليا . وبعض الفقهاء يكره اتخاذ المنبر الخشبى لأنه

---

(١) الكافى جـ١ صـ٢٩٠ .

يقطع الصف الأول حين الصلاة . كما أنه يضيق المكان وبخاصة إذا كان المسجد صغيرا .

(٢) أن يكون الخطيب مقبلا بوجهه على الناس مستدبر القبلة لأن ذلك أدعى للانتباه . والمصلون إذا رأوا الخطيب مقبلا عليهم يقبلون عليه ... ومن هنا كره الفقهاء تلفت الخطيب يمنة ويسرة لأن تلفته يدعو الناس إلى الانصراف عنه .

(٣) أن يسلم الخطيب على الناس عقب صعوده على المنبر لأن النبي كان يفعل ذلك ، وهو كتنبيه لهم على الحضور النفسى والعقلى .

(٤) أن يجلس بعد سلامه على الناس .

(٥) أن يخطب قائما ما دام يقدر على القيام .

(٦) أن يجلس الخطيب بين الخطبتين للفصل بينهما .

(٧) أن يرفع الخطيب صوته ليسمعه الحاضرون .

(٨) أن لا يحرك أطرافه لينصرف التركيز إلى قوله لا إلى حركته فإن كانت الحركة تفيد قوله فلا بأس . ومما يساعد في عدم الحركة أن يمسك شيئا بيده كسيف أو عصا أو قوس .

(٩) أن تكون الخطبة سهلة اللفظ . بينة المعنى . في متناول حال المستمعين . ولا عبرة بخطبة لا يفهمها المستمعون . ولذلك أجاز الفقهاء أن تكون الخطبة بلغة غير عربية إذا كان المستمعون من غير العرب .

(١٠) أن تكون الخطبة قصيرة بقدر الإمكان وهذا يدعو الخطيب إلى التركيز وعدم الاستطراد .

(١١) ترتيب أركانها لتقدم إلى المستمع في صورة مقنعة .

(١٢) أن تشتمل الخطبة على دعاء للمسلمين جميعا وللحاضرين منهم خاصة تذكيرا بالأخوة الإسلامية والعبودية لله تعالى .

(١٣) أن يحضر الخطيب للمسجد وقت حلول الخطبة . وهذا مدعاة للاهتمام به وبكلامه[١] .

(٥) هدى النبي ص في الخطبة :

يقول ابن القيم : "كان النبي ﷺ إذا خطب احمرت عيناه . وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم .

ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرب بين أصبعيه السبابة الوسطى .

ويقول أما بعد :

وكان يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويكثر الذكر . ويقصد الكلمات الجوامع .

وكان يقول إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته من فقهه .

وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام ، وشرائعه ، ويأمرهم ، وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهى كما أمر الداخل وهو يخطب أن يصلى ركعتين . ونهى المتخطى رقاب الناس عن ذلك وأمره بالجلوس .

وكان يقطع خطبته للحاجة تعرض أو للسؤال يوجه إليه ثم يعود لخطبته فيتمها . وربما نزل من على المنبر للحاجة ثم يعود كما نزل للحسن والحسين وأخذهما ورقى بهما المنبر فأتم الخطبة .

وكان يأمرهم **ص** بمقتضى الحال في خطبته فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها .

وكان يشير بأصبعه السبابة في خطبته عند ذكر الله تعالى ودعائه .

---

(١) أنظر المهذب ج١ ص١١٢ ، الكافى ج١ ص٢٩١ . ٢٩٢ ، تبيين الحقائق ج١ ص٢٢١.

وكان يستسقى بهم إذا قحط الماء في خطبته . يمهل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس فإذا اجتمعوا خرج إليهم وحده من غير حرس أو تابعين . فإذا دخل المسجد سلم عليهم فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه . وسلم عليهم . ولم يدع مستقبل القبلة ثم يجلس ويأخذ بلال في الآذان فإذا فرغ منه قام النبي **ص** فخطب من غير فصل بين الآذان والخطبة .

ولم يكن يأخذ بيده سيفا ولا غيره وانما كان يعتمد على قوس وعصا قبل أن يتخذ المنبر . وكان إذا خطب استدار أصحابه إليه بوجوههم . وكان وجهه قبلهم في وقت الخطبة . وكان يأمر الناس بالدنو منه . وكان يأمرهم بالإنصات ويخبرهم أن الرجل إذا قال: لصاحبه أنصت فقد لغا . ومن لغا فلا جمعة له . وكان إذا فرغ بلال من الآذان أخذ في الخطبة ولم يقم أحد يركع ركعتين البتة ... وهكذا كان هدية **ص** في خطبته"[١] .

(٦) خطبة الجمعة والقواعد العلمية :

بالنظر في هدية **ص** مع الخطبة . وبالتأمل في أركان الخطبة وسننها كما جاءت عن رسول الله نلحظ موافقها التامة للقواعد العلمية التي توصل إليها علماء التربية والدعوة رغبة في إجادة التوجيه والوصول للمصلحة . وهذا التوافق دليل واضح على سبق الإسلام في تعاليمه إلى تحقيق المصلحة . ولعل أهم صور التوافق ما يلي :

(أ) ينادى العلماء بضرورة الإعداد للخطبة عن طريق اختيار الموضوع المناسب . وهذا هو بعينه ما عرف في خطبة الجمعة بمراعاة حال المستمعين . والعلماء ينادون بضرورة معرفة أحوال المستمعين لكى تتبع الموعظة من حاجتهم ، وهو بعينه ما كان يفعله رسول الله لأنه كان إذا علم فاقة خطبهم في

---

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد جـ١ صـ١١٧ .

الصدقة والنفقة ، ومشروعية خطبة الاستسقاء تعنى الربط بين الخطبة والقضايا الاجتماعية المفاجئة التي يعيشها المسلمون .

(ب) يرى العلماء ضرورة تقسيم الخطبة إلى عناصر محددة في إطار الموضوع كله حتى لا يحدث استطراد أو إهمال لبعض جوانب الخطبة وذلك بعينه هو ما يلزم في خطبة الجمعة لأن الفقهاء يرون تقسيم الخطبة إلى أركان هي أجزاء للخطبة كما يرون تسلسل هذه الأجزاء وتتابعها مراعاة للتقسيم . وهذا يحقق الالتزام بالعناصر وعدم الخروج عليها . أو التقصير في الحديث عنها .

(ج) يذهب العلماء إلى أهمية الاعتماد على أسلوب سهل مناسب للمستمعين حيث لا مانع لديهم في استعمال بعض الألفاظ العلمية إن كانت تساعد الناس على الفهم . أليس ذلك هو معنى قول الفقهاء إن على الخطيب أن يرفع صوته ليسمعه الحاضرون وعليه أن تكون خطبته سهلة اللفظ . بينة المعنى . إذ لا عبرة لخطبة لا يفهمها المستمعون .

(د) يوجه العلماء المرشدين إلى ضرورة أن يكون لكلامهم مدخلا محببا إلى المستمعين جذبا للانتباه . وشحذا للهمم . وذلك بارز في اشتراط أن تبدأ خطبة الجمعة بالحمد لله وبالصلاة والسلام على رسول الله . وبالدعاء للمؤمنين لأن ذلك كله يفيد الربط النفسى بين الخطيب ومستمعيه . ويدعو إلى الثقة . وقوة الانتباه . ويحقق فائدة عظمى .

(هـ) يهتم العلماء بأخذ الرأي والحكم من مظانه تأكيدا لأصالته وأحقيته ، فالدواء يفهمه الأطباء . والحكم يجيده الفقهاء . وكل تخصص علمى له رجاله وفنونه . ومن هنا كان اهتمام العلماء بتوجيه المربين نحو تأصيل آرائهم بآراء المتخصصين وهذا هو بعينه ما عناه الفقهاء وهم يشترطون إيراد آيات من

القرآن الكريم في الخطبة الوعظية . لأن المسلم يدرك أن دينه في القرآن الكريم والسنة النبوية . ودلالتهما على الحكم الديني صحيحة .

(و) يرى العلماء ضرورة اشتمال الخطبة على خاتمة . وهذا بعينه ما أمر به الإسلام لأن الركن الأخير في الخطبة هو الدعاء للمسلمين . وهذا معناه أن يؤخر الخطيب وصيته . ونصيحته التي جاءت في موعظته في صورة دعاء أن يوفق الله المسلمين بأن يعملوا بما جاء فيها وأن يلتزموا بما أتاهم به رسول الله ﷺ .

(ز) يركز العلماء على الإيجاز في الخطبة لأن ذلك أدعى للفهم . وأيسر في الإتباع ، وأبعد للسأم .

وهذا فقه في الخطبة يجب أن يتبعه الخطيب . فعن جابر بن سمرة **ر** قال : "صليت مع النبي **ص** فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا"(١) .

وعن واصل بن حيان قال: إني سمعت رسول الله **ص** يقول : "إن طول صلاة الرجل ، وقصر خطبته مئنة (علامة) من فقهه ، فأطيلوا الصلاة ، واقصروا الخطبة ، وان من البيان لسحرا"(٢) .

(ح) ينادى العلماء بضرورة الاهتمام بوضع المؤثرات الصوتية خلال إلقاء الخطبة إيقاظا لانتباه المستمع كالصمت المفاجئ . وارتفاع الصوت أو انخفاضه وبعضهم يضع الموسيقى التصويرية مع تلون أدائها ... وفى خطبة الجمعة تكون هذه المؤثرات واضحة فالانتقال من ركن إلى ركن ، وتلوين الخطيب بصوته رفعا أو خفضا . والجلوس بين الخطبتين . والمواجهة بين الخطيب والناس كل ذلك مؤثرات صوتية تحقق للكلام الأثر الذي اكتشفه العلماء في العصر الحديث .

---

(١) الفتح الربانى جـ٦ صـ٩٠ .

(٢) صحيح مسلم .كتاب المسافرين . باب تخفيف الصلاة والخطبة جـ٢ صـ٥٩٤ .

تلك أهم ما نلحظه من توجيهات الإسلام في الخطبة . وجاء العلم الحديث بما يؤكد سبق الإسلام في إقرار المصلحة للفرد والجماعة .

(٧) دور الخطبة الثانية مع الأولى :

بعد أن اشترط الفقهاء أركانا أربعة للخطبة هي التحميد . والصلاة على رسول الله . والنصيحة . والدعاء . بعد ذلك يسأل بعض الدعاة :

ماذا في الخطبة الثانية من نصيحة ؟

هل يكرر الخطيب ما جاء في الخطبة الأولى ؟

أم يأتى بنصيحة جديدة ؟

والجواب في تصورى ليس في هذا ولا في ذلك ؛ لأن التكرار يؤدى إلى الملل واطالة الخطبة وهذا لا يجوز . كما أن الإتيان بموضوع جديد في الخطبة الثانية يشير إلى انفصال الثانية عن الأولى وعدم الارتباط بينهما . وهذا لا يجوز أيضا .

والحل الأمثل في تصورى هو أن تكون النصيحة في الخطبة الثانية تطبيقا عمليا للأولى كأن تكون الخطبة الأولى في " عناية الإسلام بالشباب " والتطبيق العملى لها **هو رسم خطة عملية لإنقاذ شباب الأمة من الضياع الذي** يعيشون فيه . وكأن تكون الخطبة الأولى في **أهمية العلم** وتكون الثانية حينئذ عن **رسم خطة تربوية للمعلمين** .

إن بعض الخطباء يورد في الخطبة الثانية سؤالا له صلة بالخطبة الأولى . وتكون إجابته هي الخطبة الثانية .

وبعض الخطباء يعلق على القضايا الاجتماعية التي ظهرت خلال الأسبوع ولها صلة بخطبته الأولى .

وبعضهم يجعل الخطبة الثانية دراسة نقدية مقارنة للأولى .

وذلك كله جائز وعلى من وكل إليهم أمر الدعوة أن يجددوا أنفسهم . والأسبوع سبعة أيام ، وفيه متسع لإيجاد الموضوع واعداده . وتكوين الخطبتين بصورة حسنة خالية من التكرار والانفصام . وتلك مهمة وضرورة على الدعاة أن يهتموا بها .

إن التأثير الكبير في خطبة الجمعة يجعلها أمانة كبرى يتحملها الدعاة والخطباء ، وسوف يسألهم الله عن أى تقصير في إعدادها وأدائها ﴿ **وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ .

الفصل الثانى

فقـه العيديــن

تمهيد :

العيد كل يوم فيه جمع ، واشتقاقه من عاد يعود كأنهم عادوا إلى الجمع مرة ثانية .

وقيل اشتقاقه من العادة لأنهم اعتادوه .

وجمع العيد أعياد . يقول الأزهرى والعيد عند العرب الوقت الذي يعود فيه الفرح والحزن ، ويقول ابن الإعرابى : سمى العيد عيدا لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد[١] .

وقد شرع الإسلام للمسلمين عيدين في العام . وجعل فيهما مظاهر البهجة والسرور . والنشاط الاجتماعى والثقافى ما جعلهما عنوانا صالحا على مزايا الإسلام وعظمته ، إن للعيد مناسكه الخاصة به ، وكلها نزل على تقدير الإسلام للحسن والنظافة ، وحبه للجمال والزينة ، وارشاده المسلمين إلى أهمية صلة الرحم ، وضرورة التعاون على البر والتقوى .

وفى مشروعية العيد حث على استقلال الأمة المسلمة ، وغيرها عن سواها ، حيث صار العيد عبادة مفروضة ، للاستغناء به عن يوم آخر كان العرب يختلفون به فأبدل الله أنصاره خيرا مما كان .

وفى هذا الفصل سنتحدث عن فقه العيدين في الإسلام .

وقد آثرت الحديث عن العيدين لما شرع فيهما من الخطبة تتميما للبحث وتعريفا بما في خطبة العيد من فقه وبيان . وسوف يحتاج هذا الفصل للمباحث الآتية :

- **المبحث الأول** : مشروعية العيدين .
- **المبحث الثاني** : قيم إنسانية في العيد .
- **المبحث الثالث** : صلاة العيد .

---

(١) لسان العرب مادة جـ٤ صـ٣١٤

المبحث الأول
مشروعية العيدين

كان للعرب في الجاهلية يومان يملآنهما باللعب ، والهوى ، وتجديد ذكرى الآباء والأجداد ، وقد تخير حكماء العرب هذين اليومين وفق اعتدال الزمن ، والهواء ، والبرودة ، والراحة من التنقل والسفر ، وسموا اليوم الأول بيوم النيروز في أول السنة الشمسية التي تبدأ ببرمهات ، وسموا اليوم الثاني بيوم المهرجان حينما تتحول الشمس في منتصف السنة الشمسية .

ولم يكن للعرب في يوميهما هذين أعمال معينة سوى اللعب ، وشرب الخمر ، وسماع الأناشيد . والقاء الخطب ، وكانت الحرب توقف فيهما ، وكان الاحتفال بهذين اليومين احتفالا قوميا يعم العرب جميعا ، وينتشر في الجزيرة كلها .

وظل أمر العرب على هذا حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدنية المنورة فأبدله الله بهما يومين آخرين ، وجعلهما عيدين المسلمين ، وغير زمنهما ، كما ربط وقتهما بعبادة مفروضة من غير ارتباط باعتدال زمن ، أو هواء ، أو برودة ، وهذان العيدان هما عيد الفطر الذي يأتى عقب شهر رمضان وسمى بعيد الفطر لكون يومه أول يوم يفطر فيه الصائمون بعد نهاية شهر رمضان ، كما سمى اليوم الثاني بيوم النحر لأن الذبائح تنحر فيه تقربا إلى الله تعالى .

وكانت مشروعية العيدين في السنة الثانية بعد الهجرة ، وأول عيد صلاة رسول الله ﷺ هو عيد الفطر من العام الثاني لهجرته . وبعدها أخذ يواظب ﷺ عليه حتى لقى ربه[١] .

---

(١) الفتح الربانى جـ٦ صـ١١٠ .

ومما يدل على مشروعية العيدين ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنهما أنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة . ولهم يومان يلعبون فيهما في الجاهلية فقال ﷺ : "**إن الله تبارك وتعالى قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الأضحى ، ويوم الفطر**"(١) .

وقد حدث هذا التبديل في السنة الثانية من الهجرة الشريفة . والحديث يشير إلى عدم التشبيه بالمشركين في أعيادهم . وقد كان النبي ﷺ يكره موافقة أهل الكتاب في كل أحوالهم ، حتى قالت اليهود : إن محمدا لا يريد أن لا يدع شيئا من أمرنا إلا خالفنا فيه ... ، وقد فعل النبى ﷺ ذلك تمييزا لمسلكهم . واشارة إلى انحرافهم واتباعهم لهوى الفكر ، وضلال العقل .

ومن المؤسف أن المسلمين الآن قد خالفوا هذا الهدى النبوى وتشبهوا بأهل الكتاب في عاداتهم وأعيادهم ، كما يحدث في أيام شم النسيم ، ويوم عيد الأم ، ويوم عيد العمال ، وعيد رأس السنة ، وجعلوا نشاطهم كنشاط أهل الكتاب من عربى اللباس والاختلاط ، ومختلف الأعمال . وهكذا .

ولم يقف الأمر بالمسلمين عند الاحتفال بأعياد أهل الكتاب . بل أخذوا منهم كل شئ ضار كمستحدثات الأزياء ، وألوان الرقص ونغمات الموسيقى والغناء ، واختيار ملوك وملكات الجمال . وكل ذلك لا يرضاه الله ولا رسوله ولا يجوز لمسلم فعله .

وقد خلط المسلمون عيد الفطر وعيد الأضحى بما هو غير إسلامى . فلم يلتزموا بما شرع لهما . بل ملأوهم بما هو غير إسلامى كحفلات السهر في أيام الأعياد ، وبمظاهر الترف والإسراف .

إن الله سبحانه وتعالى شرع للمسلمين العيدين . ويجب أن يحييهما المسلمون بما شرع الله تعالى .

---

(١) سنن أبى داود . كتاب الصلاة . باب صلاة العيدين جـ١ صـ٢٩٥ .

المبحث الثاني
قيم إنسانية في يوم العيد

المسلمون أمة واحدة ، والحب فيهم يجب أن يكون عاما صادقا نابعا من الإخلاص القلبى ، لأن الواجب بين المسلمين حب أصيل أساسه وحده العقيدة ووحدة الهدف المشترك ، وتأكيدا لهذا الواجب شرع الله الأعياد ، ونظم للمسلمين نشاطهم فيها ، وجعلها منبعا قويا للألفة والاتحاد . وذلك لما يأتى :

(أ) ربط العيدين بالعبادة :

شرع الله عيد الفطر بعد رمضان الذي فيه فريضة الصوم . وشرع عيد النحر بعد فريضة الحج ، والصوم والحج من العبادات ذات الطابع الاجتماعى الشامل ، ففى الصوم وحدة السلوك . ومشاركة الوجدان . وادراك لواقع الفقير والمحتاج ، ومع الصوم اجتماع مطول في صلاة التراويح ، وكثرة الإنفاق ، والذكر ، وقراءة القرآن ، واحساس قوى بالارتباط النفسى بالإسلام والمسلمين بسبب تقييد الشياطين ، واغلاق باب النار ، وقد ألف المسلمون حياة خاصة مع شهر رمضان ففيه تكثر أعمال الخير . وتزداد مدارسة الإسلام ، ويعظم اللقاء بين المسلمين ويتكرر ... ومن هنا كان ارتباط عيد الفطر بالصيام وشهر رمضان تتويجا لهذه الروح التي سادت الناس خلال الشهر ، وكأن المسلم يبحث عن إخوته في يوم العيد ليهنئهم بدرجات الفوز والقرب التي حصلوا عليها في رمضان .

والحج . هو الآخر . عبادة يلتقى فيها المسلمون من كل حدب وصوب وقد تجردوا من زخرف الحياة الدنيا ، ولبسوا ملابس بيضاء ككفن الموتى وهجروا الأهل والمال والوطن ، والتقوا في أماكن نشأة الإسلام الأولى . ملبين لله . ذاكرين فضله مؤكدين العزم على الصدق والوفاء وأداء الواجب . وذلك في

صورة جماعية . وكأن هؤلاء الذين يذهبون نوابا عن شعوبهم ، يمثلونهم في البيعة لله ورسوله ، ويؤكدون الأخوة الإسلامية العامة .

إن هؤلاء الحجيج قبل أن يرحلوا من بلادهم التقوا بإخوانهم ليوصوهم وليسمعوا الوصايا منهم ، وليدعوهم إلى الله تعالى ، وكأنهم ذاهبون إلى لا عودة ، ومشاعر الشعوب هي الأخرى تبقى متصلة بالحجيج ، ولذلك جعل الله العشر الأوائل من ذى الحجة . وهى أيام الحج . من أفضل الأيام يزداد فيها الثواب . ويكثر الخير[١] . وسن صوم يوم عرفة لغير الحاج ، لكى يحدث الترابط الروحى بين الحاج وقومه . فكلاهما في عبادة وذكر ، فإذا ما جاء يوم العاشر من ذى الحجة كان العيد . فيتحلل الحاج من إحرامه ، ويعلن صفاءه التام برمى الجمرات ، والتبرؤ من الشيطان ووساوسه . ويعيش غير الحاج العيد ، وأيام التشويق ، يكبر فيها عقب كل صلاة . وذلك هو الاشتراك الروحى بين سائر المسلمين .

إن المسلم عليه أن ينحر في يوم عيد الأضحى ، الحاج ينحر شكرا على ما وفق فيه من عبادة ، وغير الحاج ينحر امتثالا لسنة رسول الله ﷺ

---

(١) من الأحاديث الواردة في فضل هذه الأيام ما يأتى :

(أ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " قال رسول الله ﷺ : " ما من أيام العمل الصالح فيه أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام يعنى الأيام العشر . قال : قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلا إذا خرج رجل بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشئ .

(ب) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه من العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد".

(ج) عن نبشة الهذلى ر قال : قال رسول الله ﷺ : " أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل " . (الفتح الربانى جـ٦ صـ١٦٧، ١٦٨) .

ومن هنا يأتى عيد الأضحى في إطار شعور واحد عند المسلمين وهو ارتباطهم بفريضة الحج .

إن ارتباط الأعياد بالعبادات يجعلها تأتى والنفوس صافية . والقلوب متعلقة بخالقها . وحب الخير سائد . ولذلك تساهم الأعياد مساهمة إيجابية في تحقيق الحب والمودة والتآلف .

(ب) مشروعية الاجتماع والتزاور :

شرع الله تعالى في يوم العيد الاجتماع . ولذلك كانت صلاة العيد في مصلى واسع يلتقى فيه سائر أهل المصر . حتى يهنئ بعضهم بضا . الرجال مع الرجال ، والنسوة مع النسوة . حتى يتم التعارف ويتعمق الود. فعن جابر ﷺ قال : "**كان رسول الله ﷺ يخرج في العيدين . ويخرج إلى أهله**"[١] ولا يقصد بالخروج مجرد العبادة وانما المقصود تحقيق الترابط الاجتماعى ، ولذلك تخرج ذوات الحيض . فعن أم عطية رضي الله عنها **أن رسول الله ﷺ كان يخرج الأبكار ، والعواتق ، وذوات الخدور ، والحيض في العيدين ، فأما الحيض فيعتزلن المصلى . ويشهدن دعوة المسلمين .**

قالت إحداهن : **يا رسول الله إن لم يكن لها جلباب .**

قال ﷺ : **فلتعرها أختها من جلابيبها**[٢] .

وحتى يتم الاجتماع في جو من الألفة والتقبل وعدم الضيق كان الغسل والتطيب والتجمل بالثياب من الأعمال المستحبة في يوم العيد . فلقد روى الفاكه بن سعد ﷺ وكان له صحبة **أن رسول الله ﷺ كان يغتسل يوم الجمعة ، ويوم عرفة ، ويوم الفطر ، ويوم النحر**[٣] .

---

(١) مسند الإمام أحمد . مسند جابر بن عبد الله ﷺ جـ٢٣ صـ١٨٣ .

(٢) سنن الترمذى .كتاب أبواب العيدين . باب خروج النساء في العيدين جـ٢ صـ٤١٩ .

(٣) مسند الإمام أحمد . حديث الفاكه بن سعد جـ٢٧ صـ٢٧٧ .

وكان النبي ﷺ يلبس بردة حرة في يوم العيد . جاء في زاد المعاد أن رسول الله كان يلبس يوم العيد أجمل ثيابه ، وكان يأمر أصحابه بالتطيب بأجود ما يجدون في العيد[١] .

وزيادة في اتساع اللقاء شرع الله أن يذهب المصلى من طريق ويعود من طريق آخر . ويكون ذهابه وعودته ماشيا ليتمكن من تهنئة أكبر عدد ممكن من أصحابه بالعيد .

وفى مشروعية جعل الصلاة في مصلى دليل على هدف الإسلام من التجمع وتحقيق المصلحة الاجتماعية .

وقد ذهب جمهور السلف والخلف والأئمة الثلاثة (أبو حنيفة . مالك . أحمد) إلى أن الصلاة في الصحراء سنة محتجين بمواظبته ﷺ والخلفاء الراشدين بعده على ذلك . ولم يخالف في هذا إلا الشافعى ﷺ في بعض أقواله .

ومشروعية صلاة العيد[٢] ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع . أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ . وأما السنة فلقد تواترت مواظبة الرسول ﷺ على صلاة العيد .وعليه إجماع الأمة إلى يومنا هذا .

(ج) مشروعية التهنئة بالعيد :

شرع الله للناس أن يهنئ بعضهم بعضا بيوم العيد فعن حبيب بن عمر الأنصارى قال: حدثنى أبى قال : لقيت وائلة يوم العيد فقلت تقبل الله منا ومنك . فقال : تقبل الله منا ومنك .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : ولا بأس أن يقول الرجل للرجل يوم العيد تقبل الله منا ومنك .

---

(١) زاد المعاد جـ٢ صـ١١١ .

(٢) يرى بعض الفقهاء أن صلاة العيد فرض كفاية . وبعضهم يرى أنها واجب . وبعضهم يرى أنها سنة مؤكدة والجميع على أنها أحد شعائر الإسلام وسماته .

وحق على المسلم أن يهنئ أخاه بهذا اليوم لما فيه من خير وثواب . فعن أوس الأنصارى عن رسول الله ﷺ أنه قال : "**إذا كان يوم الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق ، فنادوا : اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ، ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، فإذا صلوا نادى مناد : ألا إن ربكم قد غفر لكم ، فارجعوا راشدين إلى رحالكم ، فهو يوم الجائزة ، ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة**"[١] .

(د) مشروعية اللعب والضرب بالدف :

أباح الله تعالى للمسلمين أن يلعبن ويضربن بالدف في يوم العيد في إطار الحلال المشروع . **فعن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام متى تضربان بدفين . ورسول الله ﷺ مسجى عليه بثوبه فانتهرهما فكشف رسول الله ﷺ وجهه فقال : دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد**[٢] .

وقالت عائشة : **رأيت رسول الله ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا أسأم فأقعد . فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو**[٣] . وكان نهى أبى بكر لظنه أن الرسول ﷺ لم يقر ذلك فلما علم بإقرار الرسول سكت .

---

(١) المعجم الكبير للطبرانى . باب الألف . باب فيما أعد الله عز وجل للمؤمنين ج١ ص٢٢٦.

(٢) صحيح البخارى . كتاب الجمعة . باب إذا فاته العيد يصلى ركعتين ج٢ ص٢٣ .

(٣) صحيح البخارى . كتاب النكاح . باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم ج٧ ص٣٨ .

المبحث الثالث
صـــلاة الـعـيـد

صلاة العيد ركعتان يكبر فيهما إثنتى عشر تكبيرة . يكبر في الأولى سبعا عقب تكبيرة الإحرام ، ويكبر في الثانية خمسا عقب تكبيرة القيام من سجود الركعة الأولى يحمد الله ويثنى عليه ويصلى على رسول الله ﷺ بين كل تكبيرتين . ويرفع يده عند كل تكبيرة هذا رأى الشافعى وأحمد والأوزاعى ومالك يرى أن تكبيرة الإحرام وتكبيرة الركوع داخلتان في عدد التكبير وموضع التكبير عندهم في أول كل ركعة يقرأ بعده الفاتحة وسورة .

وأبو حنيفة يرى أن التكبيرات ثلاثا في الركعة الأولى قبل القراءة وثلاثا في الثانية بعد القراءة قبل الركوع مباشرة وبعض الحنفية يجعل العدد سبعا وخمسا في الموضع الذي ذكره أبو حنيفة .

وعلى الجملة فالتكبير في صلاة العيد سنة لا تبطل الصلاة بتركه عمدا أو سهوا .

وخطبة العيدين هما الجانب التعليمى الذي يبدأ بهما العيد ، وموضع الخطبة بعد الصلاة كفعل رسول الله ﷺ وعمل السلف الصالح من بعده . واذا فرغ الإمام من الصلاة استقبل الناس بوجهه . وخطب قائما أو على راحلته لثبوت ذلك عن النبي ﷺ .

والخطبة ثنتان على هيئة خطبة الجمعة يجلس بينهما ويرى بعض العلماء أنها خطبة واحدة .

ويبدأ الخطيب خطبته بالتكبير حيث يكبر مع الخطبة الأولى تسعا تترى ويكبر مع الثانية سبعا تترى .

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن يبدأ الخطيب خطبته **بالحمد لقوله ﷺ كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم .**

ويجمع بين ذلك بأن يكون الافتتاح بالحمد وبعده يكون التكبير . وتدور موضوعات خطبة العيد حول الأمر بالطاعة والنهى عن المعصية في كل ما يناسب اليوم ففى يوم عيد الفطر يأمر بصدقة الفطر ويبين حكمها وقدرها ، وعلى من تجب . ولمن تجب ؟ وفى يوم عيد الأضحى . يذكر الأضحية . وفضلها . وحكمها . ووقت ذبحها .

وبالنظر في الآثار الواردة حول خطبة العيدين يلحظ ما يلي :

أولا : ارتباط خطبة العيد بالأصول العلمية إذ يقف الخطيب على مكان عال ويبرز للناس .

ثانيا : اشتمال الخطبة على الافتتاح والموضوع والخاتمة .

ثالثا : تتضمن الخطبة على الأدلة الشرعية المتضمنة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

رابعا : عموم الموعظة في يوم العيد لأنها تتجه إلى الرجال والنساء وغيرهم .

وعلى الجملة فإن مشروعية الخطبة في يوم العيد دليل واضح على اهتمام الإسلام بالعلم ونشره بين الناس .

الخاتمة

الخاتمة

وبعد ...

فقد انجرت بعون الله تعالى هذا البحث عن "قواعد علم الخطابة وفقه الجمعة والعيدين" وحاولت فيه أن أبرز الأسس التي يجب إتباعها لإعداد خطبة حسنة قادرة على الوفاء بالواجب المطلوب من الدعاة .

وعلى الدعاة أن يلتزموا بالأسس العلمية ، وبخاصة في عصرنا الحديث الذي لابد من مواجهة مشاكله بأسس علمية موضوعية .

إن الخطابة المعاصرة لا يصح معها الارتجال المجرد ، البعيد عن الإعداد والاستعداد ، لأن الأفكار عديدة ، والمجتمعات متنوعة ، والشخصيات البشرية مختلفة إلى حد بعيد ، والخطيب الداعية معرض أن يوجد في مجتمع وينتقل منه إلى غيره ... واذا لم يكن محيطا بقواعد علم الخطابة يعجز عن التغيير الملائم للمجتمع الجديد ... وأيضا فإن المجتمع الواحد تعتريه تغيرات تحوله إلى صورة اجتماعية جديدة . وهذا يقتضى بالضرورة أن يكون الخطيب الداعية ملما بما يحتاج إليه من علوم المجتمع والناس .

ومن سمو الإسلام وكماله أن تشريعه للخطبة في الجمعة والعيدين . يعتمد اعتماد صحيحا على قواعد متينة تتفق مع أساسيات العلم ، وأصول الفطرة . ومبادئ المصلحة والسعادة .

إن الدعوة إلى الله تعالى في أمس الحاجة إلى جهد المسلمين ، وبخاصة الدعاة منهم بعد ما أصبحت الدعوة حرفة يقوم بها أفراد مختارون لها ... وان المرء ليعجب من كثرة الخطباء والدعاة ، وقلة الأثر والنتيجة .

إن أى مدينة ، أو قرية ، أو نجع صغير لا يخلو من عدد من الخطباء ومع ذلك نلحظ أنه لا دور لهم ، ولا اهتمام بما يقولون ، مع وجود استعداد لدى الناس ليفهموا ، ويعلموا ...

ويرجع ذلك . والله أعلم . إلى ابتعاد الدعاة والخطباء عن اتباع خطة علمية منظمة تعتمد القواعد والأسس النظرية ، وتحولها إلى طاقة حركية ، وسلوكا عمليا ، وغاية مقصودة .

ولعل في نجاح بعض الدعاة في المحيط الذي يعملون فيه دليلا على أن الإخلاص والصدق في العمل هو الطريق السليم لإيفاء الإسلام حقه .

لقد حاولت خلال البحث أن أبين قواعد الخطابة في سائر جوانبها ، أصل لهذه القواعد إسلاميا ليعلم الجميع أن الإسلام دين راعى قواعد السعادة وحدد طرق الوصول إليها ، ويسر لأتباعه منهج إبراز حقائق الإسلام للناس ، بوعى ، ودقة واتقان .

إن أى قصور في تبليغ الحق للناس يعود إلى إهمال المسلين الذي تتمنى له أن لا يكون .

وأسال الله سبحانه وتعالى أن يحقق ما رجوته . ويهدينى سواء السبيل وأن يتقبل منى هذا العمل ويجعله لى نورا في الأرض وذخرا في السماء .

والله ولى التوفيق ،،،

أ.د / أحمد أحمد غلوش

فهـرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثالثة	٧
مقدمة الطبعة الثانية	٨
مقدمة الطبعة الأولى	١٠
الفصل التمهيدى	
المدخل إلى قواعد الخطابة	
التمهيد	١٧
المبحث الأول : تعريف علم الخطابة	١٨
المبحث الثانى : أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية	٢٨
المبحث الثالث : علاقة علم الخطابة بالعلوم الأخرى	٣٨
المبحث الرابع : نشأة الخطابة وتطورها	٤٦
الباب الأول	
قواعد علم الخطابة	
التمهيد	٥٩
الفصل الأول	
الخطبة	
التمهيد	٦٣
المبحث الأول : إعداد الخطبة	٦٤
المرحلة الأولى : اختيار الموضوع	٦٧
المرحلة الثانية : إيجاد العناصر	٧٦

الموضـــوع	الصفحة
المرحلة الثالثة : اختيار الأدلة	٧٩
المرحلة الرابعة : التعبير الخطابى	٨٣
(أ) خصائص التعبير الخطابى	٨٨
(ب) الفروق بين التعبيرين الخطابى والكتابى ..	٩٧
المبحث الثانى : محتويات الخطبة	١٠١
رأى العلماء في أجزاء الخطبة	١٠٢
أجزاء الخطبة	١٠٥
الجزء الأول : الافتتاح	١٠٥
الجزء الثانى : بيان الموضوع	١١١
الجزء الثالث : تحديد العناصر	١١٣
الجزء الرابع : الأدلة والتعبير	١١٥
(أ) البيان	١١٥
(ب) المناقشة	١٣٠
الجزء الخامس : الخاتمة	١٣٣
المبحث الثالث : أنواع الخطبة عند أرسطو	١٣٥
– المشورية	١٣٥
– المشاجرية	١٣٦
– التثبيتية	١٣٧
المبحث الرابع : الأنواع الحديثة للخطبة	١٣٩
النوع الأول : الخطابة الوعظية	١٤٠
(١) تعريف الخطبة الوعظية	١٤٠
(٢) موضوع الخطابة الوعظية	١٤٠

الموضـــوع **الصفحة**

(٣) أهمية الخطابة الوعظية ١٤١
(٤) خصائص الخطابة الوعظية ١٤٤
(٥) حالة الخطابة الوعظية اليوم ١٤٩
(٦) طريقة النهوض بالوعظ ١٥١
أولا : إخلاص الواعظ ١٥١
ثانيا : الإحاطة بالموعظة ١٥٢
ثالثا : معرفة الدعوة ١٥٣
رابعا : معرفة المدعوين ١٥٦
خامسا : معرفة لغة المدعوين ١٥٧
سادسا : الالتزام بالأصول العلمية ١٥٨
سابعا : ربط الوعظ بالواقع ١٥٩
النوع الثانى : الخطابة السياسية ١٦١
. التعريف بالخطابة السياسية ١٦١
. عوامل ازدهار الخطابة السياسية ١٦٣
. خصائص الخطابة السياسية ١٦٥
النوع الثالث : الخطابة القضائية ١٧٠
النوع الرابع : الخطابة العسكرية ١٧٣
النوع الخامس : الخطابة الاجتماعية ١٧٦
المبحث الخامس : الفرق بين الخطبة وبين أشباهها ١٨٣
(١) بين المناقشة والخطبة ١٨٤
(٢) بين المحاضرة والخطبة ١٨٧
(٣) بين المناظرة والخطبة ١٩١
(٤) بين الدرس والخطبة ١٩٣

الفصل الثانى
الخطـيـب

الموضـــوع **الصفحة**

التمهيد ١٩٧
المبحث الأول : الخطيب بين الفطرة والاكتساب ١٩٩
المبحث الثانى : إعداد الخطيب ٢٠٦
المبحث الثالث : الصفات العقلية للخطيب ٢١٤
(١) عمق النظرة ٢١٤
(٢) سعة المعارف ٢١٥
(٣) قوة الذاكرة ٢٢٠
المبحث الرابع : الصفات الأخلاقية للخطيب ٢٢٥
(أ) الثقة بالنفس ٢٢٥
(ب) المشاركة الوحدانية ٢٢٦
(ج) الطبيعة العملية ٢٢٨
(د) عدم التردد ٢٢٨
(هـ) مراعاة المستمع ٢٢٩
(و) الروح الجماعية ٢٣٠
(ح) عدم مصادمة الغرائز ٢٣١
المبحث الخامس : الصفات البيانية للخطيب ٢٣٢
أولا : النطق الحسن ٢٣٤
ثانيا : التخلص من العيوب الصوتية ٢٣٨
ثالثا : تخير المعانى الجادة ٢٣٩
المبحث السادس : الصفات الشكلية للخطيب ٢٤٠

الفصل الثالث
المستمعون

الموضـــوع **الصفحة**

التمهيد ٢٤٧
المبحث الأول : مراعاة عقلية المستمعين ٢٤٨
المبحث الثانى : ملاحظة الاتجاهات السائدة ٢٥٢
المبحث الثالث : مراعاة المناسبات عند المستمعين ٢٥٤
المبحث الرابع : مراعاة الاختلافات المهنية ٢٥٦

الباب الثانى
فقه الجمعة والعيدين

التمهيد ٢٥٩

الفصل الأول
فـقـه الجـمـعـة

التمهيد ٢٦٣
المبحث الأول : اسم الجمعة ٢٦٤
المبحث الثانى : فضل يوم الجمعة ٢٦٦
المبحث الثالث : قيم إسلامية من خلال فقه الجمعة ٢٦٩
المبحث الرابع : شروط الجمعة وإيجابية الجماعة ٢٧٧
أولاً : شروط فرضية الجمعة ٢٧٧
ثانيًا : شروط صحة الجمعة ٢٨٤
المبحث الخامس : خطبة الجمعة ٢٩١
(١) مشروعية الخطبة ٢٩١
(٢) أركان الخطبة ٢٩٣

الموضـــوع	الصفحة
(٣) الأركان والخطبتان	٢٩٧
(٤) سنن الخطبة	٢٩٧
(٥) هـــدى ـــ الـــلـــنبى ص ـــ فـــي الـــلـــخطبة	٢٩٩
(٦) خطبة الجمعة والقواعد العلمية	٣٠٠
(٧) دور الخطبة الثانية	٣٠٣

الفصل الثانى
فـقـه العـيـدين

التمهيد	٣٠٧
المبحث الأول : مشروعية العيدين	٣٠٨
المبحث الثانى : قيم إنسانية في يوم العيد	٣١٠
المبحث الثالث : صلاة العيد	٣١٥
الخاتمة	٣١٩
فهرس الموضوعات	٣٢٣

والحمد لله رب العالمين